يونيو (حزيران) ١٩٩٠ ذو القعدة ١٤١٠

استفتاء وجوائز

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest June '90 N° 139

إحياء البارثينون ٢٦
ج.ل. لاهاي، نجم المشردين ٣٤
ليلة "العصفور الازرق" (مأساة واقعية) ٤٠
فضيحة الغجر السويسريين ٤٩
مهاجرون فوق طاق كسرى ٥٦
فن الخطابة السهلة ٦٢
عقد الازدهار (ملحق خاص) ٦٥
مدينة الحدائق في الصين القديمة ٧٣
خدعة العصر: الرياضة والسيجارة ٨٠
اوفير، ملهمة الرسامين ٨٦
الصحارى تغزو البحار ٩١
لتربية اولاد ناجحين ٩٦
زرع كلية نادرة ١٠٠
تبسيط المسائل الحسابية ١١١
كلاب ١١٤
"عيون" العميان ١١٦
مشاكل الجنس والزواج ٧
العمل مفتاح النشاط ١٢٣
ابني كبر واصبح طياراً ١٢٦
كتاب الشهر: اقتحموا الامازون ١٣٠

قصص الحيّات ٣ - حديقة افكار ٥ - صور من الحياة ٣٣ - الطب ٥٤ - الضحك ٧٩ - تأملات ٩٩ - دائرة المعارف ١٢١

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

فويجر ٢

(ص ١٢)

الشخير متى يصبح خطراً؟

(ص ٢١)

من سرق عقد اللؤلؤ؟

(ص ١٠٦)

فندق الشام

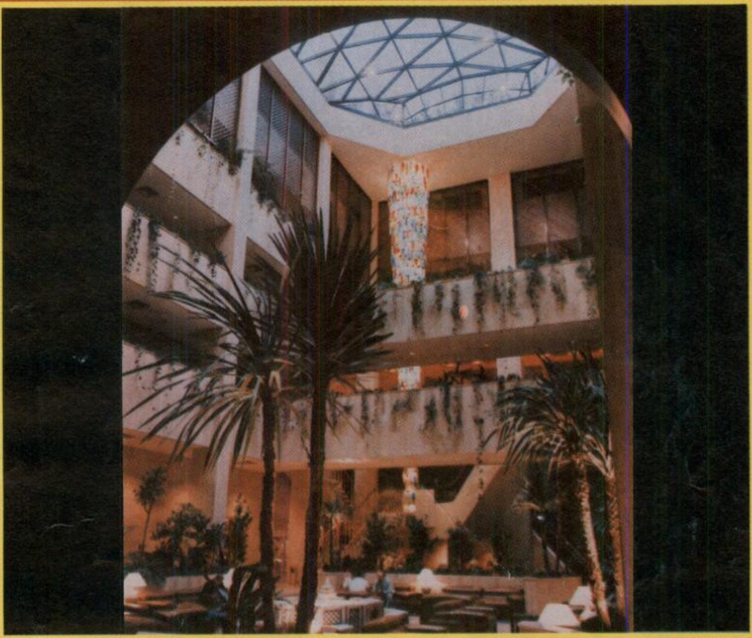

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: **ادمون صعب**.

مديرة التحرير: **راغدة حداد**. امينة التحرير: **نهلا رزق**. محررة مساعدة: **لورا نفاع**. الاشتراكات: **فريال علاف**

مدير القسم الفني: **جورج غالي**. الخطوط: **عبد القادر اسماعيل**.

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس**. الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت**.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح**.

المدير العام المعاون: **داني دحداح – باز**.

التحرير والادارة: **بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان**.

التلكس (الموقت): **ANAHAR 22322 LE**

COLIDI 21058 LE

الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان**.

التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت**.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1990 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

June '90 N° 139 (New Series) Vol. 12

ريدرز دايجست

المؤسسان: **دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس**.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: **كنيث غيلمور**. مدير التحرير: **فرنسيس ج. شيل**. المدير العام: **جورج ف. غرون**.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ«المختار من ريدرز دايجست»، بموجب اتفاق خاص مع شركة «ريدرز دايجست» في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من «المختار»، او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ٥٠٠ل – سورية ٢٠لَ – الاردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١.٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢.٥د

يالهامِن نكهةٍ غنيّةٍ ولذيذة !
Carnation®
Coffee-mate®
كريمة مُبيّضة للقهوة
كوفي - ميت يجعل طعم قهوتك سلِساً لذيذاً
ويُغنيك عن المواد الدسِمة
كارنيشن
كوفي - ميت
يُضيفي إلى قهوتك نكهة غنِيّة
مِن إنتاج Carnation كارنيشن
Carnation
Coffee-mate
NON DAIRY CREAMER
For better coffee flavor

الاناكندة أعظم الافاعي...
أم هي الاصلة؟

قصص الحيّات

صباح كل يوم تزحف كتائب من الاولاد المتجهمي الوجوه الى المدارس حيث يتعلمون حقائق مهمّة مثل عدد السنتيمترات في المتر (مئة) وما هي عاصمة سورينام (باراماريبو). ولكن اذا كان التاريخ يعيد نفسه، فإن الحقيقة المهمّة الوحيدة التي لن يتعلموها هي الجواب عن السؤال الآتي: "ما هي أكبر أفعى في العالم؟"

ابني تلميذ في الصف الابتدائي الثاني. ومفروض أن يكون تعلّم اسم أضخم أفعى في العالم السنة الفائتة. فلو حصل ذلك لما اضطرّ الى سؤال والده، ولكنّا تفادينا المأزق الذي وقعنا فيه.

وصادف أنني كنت أعرف بالتحديد اسم كبرى أفاعي العالم، وهي المعلومة الوحيدة لديّ عن الأفاعي. فقلت له: "انها الأناكندة، وهي حية استوائية جنوب – أمريكية."

فرد على الفور: "كلا، الأصَلة هي كبرى الأفاعي."

قلت له: "الأصلة تنمو وتصبح كبيرة جداً، لكنها بالنسبة الى الأناكندة تبدو بحجم دودة أرض." وفي ذلك مبالغة طبعاً، لكني هدفت الى اثبات نقطة معينة.

وألحّ ابني: "الأصلة هي كبرى الأفاعي. هكذا أخبرني بيلي."

فسألته: "أقلت بيلي؟ بيلي الذي يقطن

CONDENSED FROM THE OREGONIAN (SEPTEMBER 12, '89), © 1989 BY OREGONIAN PUBLISHING CO., PORTLAND, ORE. ILLUSTRATION: JOSHUA SCHREIER

في آخر الشارع؟ أهو خبير الأفاعي الشهير في الصف الابتدائي الثاني؟ إسمع. معروف عن افاعي الأناكندة التي تعيش في البرازيل أن استدارة محيطها تصل الى ١١٢ سنتيمتراً."

– وما هو المحيط؟

"إنه قياس دائرة الجسم. فدائرة جسم الاناكندة تبلغ ثلاثة أضعاف دائرة جسمك."

– وهل تستطيع الأناكندة التغلب على الأصلة؟

"اذا رأت أصلة حية أناكندة ذعرت وتحوّلت حزاماً."

– لن يصدّق بيلي ذلك.

"في الواقع، من السخافة الجدل حول مسألة كهذه. ومن الافضل أن تعرف أنك على حقّ من دون أن تمس بشعور الآخرين."

– آه.

"أخبر بيلي أن أباك يقول إن الأناكندة هي كبرى الأفاعي، وأنّ من يظن خلاف ذلك عليه تصحيح معلوماته."

ومشى ابني الى آخر الشارع لحسم موضوع الأصلة والأناكندة. فجلست مرتاحاً في مقعدي بعدما سددت نقصاً في البرنامج التربوي للبلاد.

رنّ جرس الهاتف بعد بضع دقائق، وكان المتكلّم غلين والد بيلي. قال لي: "أخبرني بيلي أنّ ابنك قال له إنك تدّعي أن الأناكندة هي أضخم أفاعي العالم، وأن كل من يقول غير ذلك هو غبي بلا شك. لا أريد أن أضيع وقتاً طويلاً على هذه المسألة، لكن كبرى أفاعي العالم هي الأصلة التي تقطن في جنوب شرق آسيا. وبتعبير أدق، اسمها بايتون ريتيكولاتوس، ومعروف أن طولها يصل الى عشرة أمتار. أمّا أطول أناكندة جنوب – أمريكية فلم يتعدَّ طولها ثمانية أمتار و٤٥ سنتيمتراً."

فقلت له: "غلين، أنا أقدر جهودك في تثقيف أولاد الحيّ، لكن كبرى أفاعي العالم هي الأناكنـدة، أو أونكتيس مورينوس، التي يبلغ وزنها ضعفي وزن أصلتك، وهي بالتالي أضخم أفاعي العالم."

لكن ذلك لم يردع غلين الذي رد بهدوء: "فكر في الأمر جيداً فتوافقني على أن معظم الناس يقيس الأفاعي من الأنف الى الذنب وليس حول وسطها وكأنها برميل نفايات. ما هي الكلمة التي استعملها ابنك؟ المحيط؟"

فقاطعته: "أعرف ما تقصده يا غلين، ولكن عليك أن تفهم أن قياس أفعى هو أكثر تعقيداً من قياس طول خرطوم مياه في حديقة."

فسألني غلين: "وما أدراك كيف يقاس خرطوم المياه؟ نظرة واحدة الى حديقة منزلك تكفي لمعرفة أن المامك بالخراطيم ليس أفضل من معلوماتك عن الافاعي."

وأقفل الخط.

ثمة أمثولة مهمّة نتعلمها من هذه الحادثة المزعجة. هذا ما قلته لابني. أن الدفاع عن الحقائق والوقوف في وجه الموجة العارمة من المعلومات الخاطئة التي يطلقها الحمقى الجهّال، لعمل يتطلّب رجالا أشداء.

باتريك أونيل ■

حديقة أفكار

- ليست المغامرة سوى اسم رومنطيقي نطلقه على المشاكل.

لوي لامور

- لم يخلُ عصر من الاشادة بالماضي والتأسّف على الحاضر.

ل.أو.و.

- لنكن شاكرين الحمقى، اذ لولاهم لما استطعنا النجاح.

مارك توين

- لا وجود للظلمة، بل هناك قصور في الرؤية.

مالكوم ماغريدج، صحافي بريطاني

- اذا لم تَرسُ سفينتك، إسبح اليها.

جوناثان ونترز، كوميدي

- أؤثر أحلام المستقبل على تاريخ الماضي.

توماس جفرسون

- كل أحمق يستطيع الانتقاد والادانة والتذمّر.

د.ك.

- المرجع الثقة هو من صحّ تخمينه أكثر من مرةً واحدة.

ف.ك.

- الحظ هو التقاء الاستعداد بالفرصة.

أوبرا وينفري، ممثلة أمريكية سوداء

دعي طفلك ينمو مع سيريلاك
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Wheat-Banana
بالقمح والموز
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Rice بالأرز
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Nestlé
نستله
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Wheat- قمح
Nestlé نستله
سيريلاك
الطعام الأول لطفلك بالملع
عندما يبلغ طفلك شهره الرا
لايعود الحليب وحده يكفي
عليك بوجبة من سيريلا
سيريلاك متوفر بعدة أنواع ثلا
طفلك. سيريلاك يحتوي على ا
الغذائية الأساسية الت
لطفلك نموا متناس
وسليما.
Nestlé
تضمن
نس
PI 3086 A

Reader's Digest
المختار
يونيو (حزيران) ١٩٩٠
ذو القعدة ١٤١٠
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

كيف تضيئون عتمات الزواج؟

أسئلة يطرحها المتزوجون انقاذاً لحياتهم المشتركة

طرأ في السنوات الاخيرة تغيير على الاسئلة التي يطرحها عليّ الازواج. فقبل عقد كان رد الفعل الاول لدى الازواج الذين يصطدم زواجهم بعقبات يلخص عادة بعبارة "أريد الانفصال." أما حالياً فان الرجال والنساء الذين أقابلهم ينشدون غالباً علاقات وثيقة دائمة. وهم أكثر نزوعاً الى نشدان مساعدة اختصاصية حين تبدأ المشاكل. وهنا أسئلة جديدة بتُّ أسمعها كثيراً:

١. أنا وزوجتي نعمل ونعتني بالاولاد. فأنى لنا أن نجد وقتاً للجنس؟

الجواب عن هذا السؤال يكون عادة: استخدما حاضنة للاعتناء بالاولاد في نهاية الاسبوع، وانطلقا في عطلة. فلا لوم عليكما في التمتع بعطلة قصيرة من وقت الى آخر تقضيانها بعيدين عن الاولاد والواجبات البيتية. لكني أرى أن الازواج الذين لا يجدون وقتاً وطاقة للتمتع بالعلاقة الزوجية حين يكونون في المخدع

الزوجي لن يتركوا البيت، على الارجح، لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في ممارسة الحب.

الجنس عادة منشّط ومنعش وليس منهكاً. لذلك، حين أستمع الى الازواج يشتكون من أشغالهم الكثيرة التي تحول دون بقائهم "في الأحضان" يمرّ في خاطري بيت من أغنية قديمة: "إني أتوق الى الحب لمجرد كونك بقربي."

هناك كثيرون من الازواج المنهمكين الذين لا يتسنى لهم أن يكونوا "قرب" الشريك. فبعد نهار عمل تهيىء الزوجة طعام العشاء وتنظف المطبخ، فيما يساعد الزوج الاولاد في دروسهم ويراجع الفواتير. وبعد ذلك يجلسان منهارين أمام التلفاز.

حين كانا عروسين كانا يقومان معاً بالاشغال البيتية، هو الى جانبها في المطبخ يضمها ويساعدها، وهي الى جانبه لدى غسل السيارة.

ان الرفقة أمر مهم وحيوي للرضى الزوجي. فالازواج الذين "لا يتسع وقتهم" لممارسة الجنس عليهم بالاكثار من الرفقة، فهي تحسن مزاجهم وتحفزهم على الجماع وإن كانوا منهكين مرهقين. ولهذا الامر حسنته لدى الاولاد اذ يشهدون سلوكاً نموذجياً يحتذونه.

٣ لماذا نتخاصم كثيراً؟

بات خليل وليلى فجأة في خصام دائم بعد ست سنوات من حياتهما معاً. وحين أخبرتني ليلى أنهما خلال معظم سني زواجهما لم يتبادلا كلمة نابية، أدركت أنهما لم يكونا منفتحين وصادقين. فكانا يختزنان الاساءات التي ظنا أنها ستضر بزواجهما اذا كشفا عنها. لكن الغضب المكبوت لا بد من أن يطفح.

خلال جلسات الارشاد تعلّم خليل وليلى التعبير بلياقة عن شعورهما. وباتا يمضيان نصف ساعة كل مساء يعرضان معاً الاساءات والخيبات التي شعر بها كل منهما في النهار، بروح خالية من العداء، ويعبران عن لحظات الحنان التي راودتهما، كل تجاه الآخر.

قالت ليلى لخليل اثناء احدى الجلسات: "أغضب عندما تأخذ سيارتي وتترك خزان الوقود فارغاً. ويؤلمني عدم مراعاتك لمشاعري."

وبدلا من أن يأخذ خليل موقف الدفاع عن تصرّفه، كما كان يفعل في السابق، سألها بهدوء: "تعنين أنك لن تغضبي اذا ملأت الخزان؟"

فردت ليلى: "نعم! لن أغضب، بل سأشعر بأنك تحبني وتهتم بي."

"حسناً، هذا ما سأفعله، لاني أحبك كثيراً وأهتم بك." قال خليل ذلك وقبّل زوجته.

بهذه الطريقة سعى خليل وليلى الى معالجة الغضب على نحو يقوي زواجهما.

فاذا كان تخاصمكما يهدد علاقتكما، فحاولا اتباع القواعد الآتية لـ"الخصام العادل":

□ التزما موضوعاً واحداً ولا تنبشا النزاعات والاساءات الماضية.
□ احسما الخصام بأسرع ما أمكن.
□ لا تتخاصما في الأماكن العامة.
□ لا تتضاربا.
□ لا تغادرا المكان في منتصف الخصام.
□ لا تشيرا الى الرغبة في الانفصال.

ان الزواج الناجح ليس ذلك الذي يخلو من الخصام والمنازعات، بل هو الذي يحوّلها فرصاً لزيادة التفاهم والأمانة بين الزوجين.

٣ أعتقد أن زوجتي تتظاهر بالحصول على رعشة الجماع. فلماذا تفعل ذلك؟

هناك خرافة تقول بأن النساء يتظاهرن بالرعشة لانهن لا يردن أن يعرف أزواجهن أنهن لا يتمتعن بالجماع. والحقيقة أن النساء يعمدن الى هذا التصرف أحياناً للسبب ذاته الذي يجعل الرجال أحياناً يلاقون صعوبة أثناء الجماع. فالحياة العصرية تفرض ضغوطاً على الزوجين لممارسة الجنس "عند الطلب." لذلك فهم يمثلون أدوارهم، وبعض التمثيل لدى النساء هو الرعشة الزائفة حين يكنّ مرهقات أو مشتتات الافكار أو – كما يحدث غالباً – حين لا يحصلن على إثارة كافية.

اذا اعتقد أحد الرجال أن زوجته تتظاهر بالحصول على الرعشة، فليجلس واياها بحنان، من دون أن يحضها على الجماع، الى أن تستجيب فتأتي الدعوة منها وتتدرج الى أفضل السبل لبلوغ متعتها.

٤ لماذا تبالغ زوجتي في التعلق بي؟ هل من دواء شاف؟

أحبت سامية خطيبها جهاد لذكائه وثقته بنفسه. وبعد زواجهما باتت تتكل عليه في كل شيء. وكان ذلك يروقه إذ يُشعره بلذة الحماية والرجولة. لكنه مع الوقت انتهى الى الشعور بالاختناق. وعندما قصداني كانت سامية قلقة لأن جهاد لم يعد حامياً لها وموضعاً لثقتها واعتمادها. وكان جهاد يحاول التحرر منها.

ان رغبة سامية الملحة في عناية جهاد بها نابعة من شعورها بعدم كفايتها. فقلت لها ان السبيل لتنمية الثقة بالنفس هي في زيادة الاستقلال والاعتماد على الذات. وكانت خائفة في البداية من تعزيز استقلالها، فأقنعتها بالمحاولة مرة واحدة. فذهبت ذات مساء الى السينما. وصُدم جهاد حين اتصل ليخبرها بأنه سيتأخر على العشاء ولم يجدها في البيت. كان اعتماد سامية عليه يضايقه، لكنه كان أيضاً مطَمْئناً ومعززاً لثقته بنفسه. وحين عادت قالت له ببساطة: "تناولت شطيرة وانا عائدة الى البيت."

بدأت سامية تدريجاً تنمية شخصيتها واحترامها لذاتها، وهي اليوم تعتز

بقدراتها ولم تعد اتكالية. وفي المقابل، اكتشف جهاد أنه ليس في حاجة الى اتكالها عليه لاثبات رجولته.

٥. كانت لزوجي مغامرة عاطفية، وهو الان يطلب مني الصفح والنسيان. فكيف أستطيع ذلك؟

- لم تكتشف دلال علاقة زوجها منير الغرامية الا بعد مرور سنة. ومثل نساء كثيرات في وضعها شعرت بالخيانة والاذلال.

وكلماتي الاولى التي بادرتها بها تنطبق على كل زوجة تتعرض لخيانة زوجها: "ان القضية ليست بسبب خطأ منك. لست أنت التي ترتكبين الذنب، بل زوجك. ليس في امكانك كبت عواطفه نحو أخرى. لكن ما تقدرين عليه، ومن واجبك أن تفعليه، هو أن تقرري النتيجة التي تريدينها من هذه المحنة."

أنا أنصح بتقويم عميق للزواج. فاذا شعرتِ بأنه جدير بالانقاذ فناضلي من أجله.

قررت دلال انقاذ زواجها، ونجحت. أما أمينة، وهي زوجة "مغدورة" أخرى استشارتني، فتوصلت الى الاستنتاج أن زوجها لن يكون أبداً أميناً لها، وتركته. وهي لاقت صعوبات مالية شديدة في البداية، كما هي حال معظم النساء المطلقات، لكنها تغلبت على واقعها وأصبحت وسيطة عقارية ناجحة.

لانقاذ الزواج، على الشريكين العمل على إعادة الثقة والاتصال بينهما. ولهذه الغاية ينصح العالمان النفسانيان ك. دانيل أوليري وهيلاري توركيفتز باتباع القواعد الآتية:

- أطلبوا من الشريك تغييرات ايجابية في سلوكه بدلا من مهاجمة تصرفاته السلبية.
- استجيبوا توّاً للانتقاد بدلا من التصدّي باتهامات مضادة.
- أقصروا المحادثة على الحاضر والمستقبل. ولا تتصوروا الدوافع أو تحلّلوا الشخصية.
- أصغوا الى كلام الشريك!

حين تحاولون جاهدين أن تغفروا أو تنسوا، تذكّروا أن كثيرين من الازواج الذين يحتفلون بعيد زواجهم الخمسين قد اجتازوا قبلكم أزمات عاطفية صعبة. تشجعوا، لا تيأسوا.

٦. بعد ١٥ سنة أصبحت حياتنا الزوجية رتيبة. كيف نعيد اليها الشعلة الدافئة؟

كان الازواج يطرحون هذا السؤال بعد أن تمضي على زواجهم مدة تراوح بين ٦ سنوات و١٠ سنين. أما اليوم فان الازواج يؤخرون انجاب الاولاد، فتحل الذكرى الخامسة عشرة لزواجهم وهم منهمكون في تربية أولاد صغار، وهذا عبء ثقيل على أي زواج.

ويعجبني ما يرتأيه الباحثان وليم ماسترز وفيرجينيا جونسون في العلاقات

الزوجية الناجحة: المحبة والرغبة الجسدية تقويان وتضعفان مداورة طوال العمر، "وفي الامكان تقبّل ذلك، وحتى الاستمتاع به، اذا حافظ الشريكان على قدرة الاتصال."

اما اذا كان الزواج ينحو الى الرتابة وفقدان الاثارة، فيجدر اعتبار ما يقوله العالم النفساني ر. وليم بتشر من أن معظم الناس لا يقدرون دور اللهو والمرح في الزواج.

هل تذكرون أول أيام حبّكم وكيف كنتم تلهون وتمزحون وتتنادون بأسماء محبّبة؟ كان حبكم في ذلك الحين زاخراً بالضحك والمرح. وعندما أصبحتم آباء وأمهات غلبت عليكم الجدية والرصانة. وقد نصحت كثيرين من الازواج المتألمين بأن يحاولوا العودة الى اللهو، اذ انه يوثق بين الشركاء ويتيح لهم التعبير عن رغباتهم وحتى الانتقاد على نحو لا يجرح المشاعر.

في بعض الاحيان ليس سهلا أن نعود الى اللهو بعد انقطاع، لكن ذلك جدير بالمحاولة. وقد عبّر أحد الازواج عن ذلك بقوله: "ان اللهو والمرح بدّلا وحشة أيامنا ورتابتها بالبهجة والانشراح."

جويس براذرز ■

الكاتبة حاملة شهادة دكتوراه في علم النفس من جامعة كولومبيا، واحدث كتبها "المرأة الناجحة."

رسالة من عالم الخيال

خلال مؤتمر للطبّ النفساني سأل طبيب زميلا له: "ما هي أصعب حالة مرضية صادفتها؟"

فأجابه زميله: "كان لديّ مريض يعيش في عالم الخيال متوهماً أن له عمّاً في أمريكا الجنوبية سوف يترك له ثروة طائلة. فعاش منتظراً رسالة خيالية من محام وهمي. ولم يكن يغادر المنزل أو يفعل أي شيء سوى انتظار تلك الرسالة."

- وكيف أتت نتيجة العلاج؟

"كان علاجاً شاقاً دام ثماني سنوات، تمكّنت بنتيجته من شفاء المريض. ثم وصلت تلك الرسالة اللعينة."

م.ب.

كُلوا تَنْموا

عندما سكبت زوجتي طعام العشاء في صحفة ابننا سامي البالغ الخامسة من العمر، اعترض قائلا: "لماذا تنال أختي ندى دائماً حصة أكبر من الطعام؟" ففسّرت له زوجتي أن ندى، وعمرها سبع سنوات، هي أكبر منه. فقارن سامي الصحفتين مجدّداً وقال: "على هذا المعدل ستظل أكبر مني دائماً."

أ.ف.

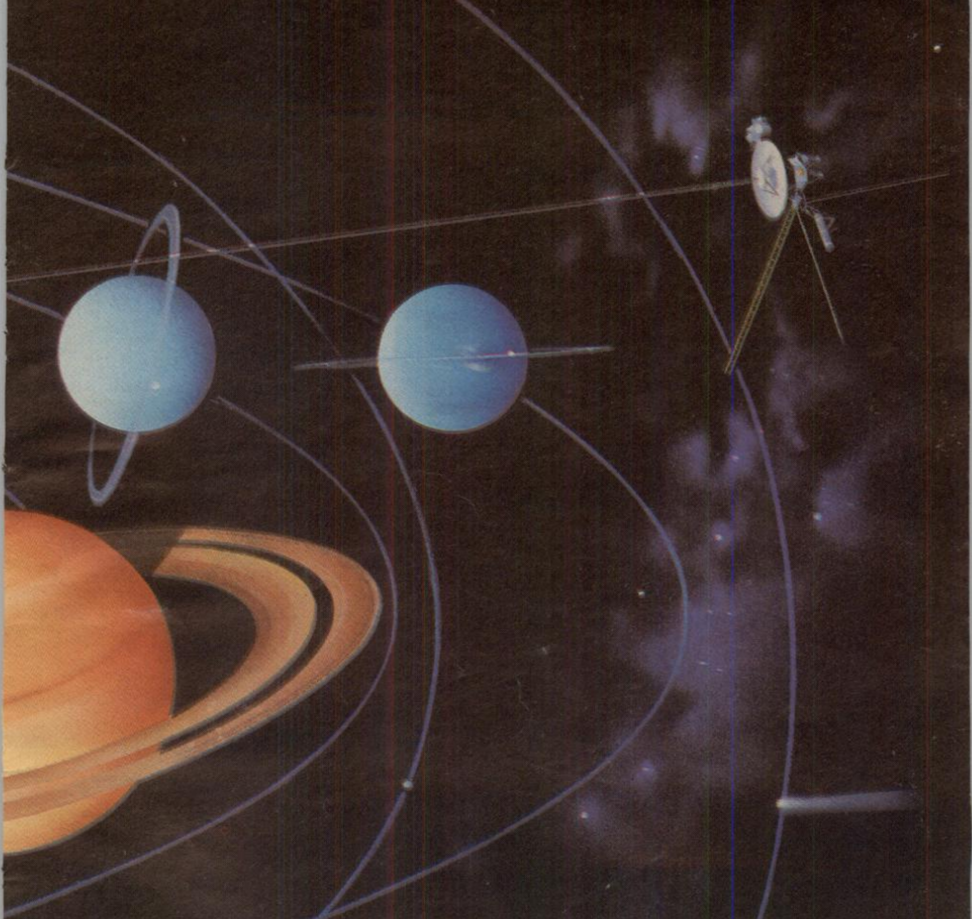

"فويجر-٢"

سَفيرتنا إلى النّجوم

كان وصول المركبة الفضائية "فويجر ٢" الى مقصدها يعادل، الى حفرة تبعد ٣٦٤٠ كيلومتراً تسديد كرة غولف كونياً.

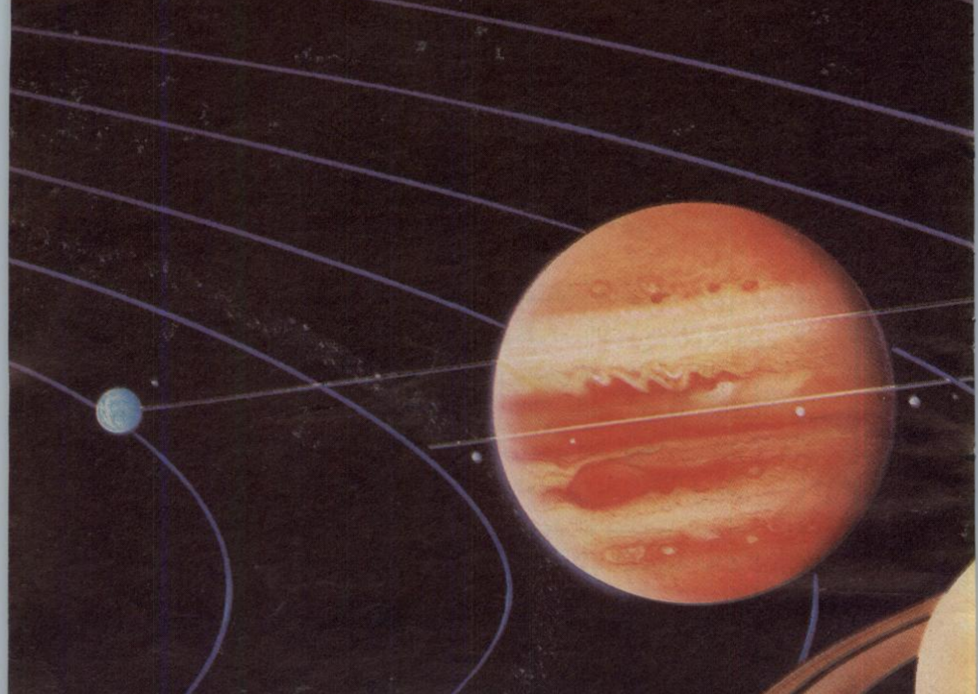

انقضّ طائر الالومنيوم الأخرق فوق القطب الشمالي لكوكب نبتون في أغسطس (آب) ١٩٨٩، ولم يكن هناك ما يشير الى وصوله سوى جهاز إرسال لاسلكي. كانت المركبة الفضائية غير المأهولة "فويجر ٢" تخترق الأبعاد النائية من النظام الشمسي وتبث صوراً وبيانات مذهلة عبر ٤,٥ مليارات كيلومتر الى "مختبر الدفع النفاث" في باسادينا بولاية كاليفورنيا، حيث قبع علماء الفلك ينتظرون بشوق لقاء الكوكب الأزرق. وبعد إتمام المهمة استخدمت "فويجر" جاذبية نبتون مقلاعاً فلكياً وسارعت الى موعد مع اللانهاية.

وكانت "فويجر" حلقت عبر النظام الشمسي على مدى ١٢ عاماً وبثت صوراً مدهشة للمشتري وزحل وأورانوس ونبتون، إضافة الى أكثر من خمسة آلاف مليار نبذة من البيانات العلمية.

لقد برهنت "فويجر" أنها أنجح ما

أُطلق من المسابير الفضائية. وما إن انطلقت هذه المركبة البالغ وزنها ٨٢٥ كيلوغراماً من قاعدة "كيب كانافرال" يوم ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٧٧ حتى بدأت مسارها التاريخي في رحلة مـلأى بالمشاكل الكأداء. فسرعان ما أصيب اللاسلكي اللاقط بعطل تلاه آخر في الجهاز البديل بحيث توقف عن التقاط ذبذبة محددة. (وهذا ما حدا المراقبين على تقدير ما يسع "فويجر" سماعه استناداً إلى حرارتها وبُعدها وحركتها.) وبعد تحليق المركبة فوق المشتري تعطلت رقاقة سيليكون مما تسبب في محو ٣ في المئة من ذاكرة الدماغ الالكتروني. ولدى اقترابها من أجواء زحل تشابكت منصة الرصد التي تحمل آلات التصوير وآلات أخرى. لكن زيت التزليق عاد وتسرب الى نواقل الحركة وقت التلاقي بأورانوس. وبطريقة ما وصلت "فويجر ٢" العاجزة الى نبتون على رغم صممها الجزئي وتعطل بعض آلاتها.

أما اختراق "فويجر" مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر من غيوم الكوكب العليا بسرعة ٩٨٤٠٥ كيلومترات في الساعة فاستلزم فنوناً هندسية معقدة لم يسبق لادارة "ناسا" أن واجهتها قبلا. وقد عمل مهندسو مختبر الدفع النفاث، حيث صممت المركبة وبنيت، على تحديد مسارها بدقة متناهية خلال سنوات من العمل. وعندما وصلت "فويجر" الى نبتون كانت على بعد ٣٤ كيلومتراً فقط من المكان الذي حدده العلماء. وهذا يعادل، كونياً، اسقاط كرة غولف في حفرة تبعد ٣٦٤٠ كيلومتراً. ويقول مدير المشروع نورمان هاينز: "كانت رمية حسنة."

رسالة هامسة. على مر السنوات بث خبراء الدماغ الالكتروني في "ناسا" تحسينات كثيرة الى "دماغ" المركبة التي تلقت "زرعاً دماغياً" بعيد المدى. ولدى اقترابها من نبتون عمل مهندسو المختبر بلا انقطاع على بث الارشادات. لكنهم لم يحددوا المواقع الفعلية للحطام الفضائي المحيط بالكوكب، وبالتالي لم يتسنَّ لهم توجيه مسار المركبة في الدقائق الأخيرة لأن الاشارات تستغرق أربع ساعات لبلوغ نبتون. وكان أدنى اصطدام كفيلا باحباط المهمة، لكن "فويجر" نجحت في تفادي الحطام المداري.

وتلقت المحطـة الأرضية بيـانات "فويجر" عبر إشارات غاية في الضعف (بلغت عشرة أجزاء من مليون مليار من الواط) مما استلزم اعتماد ٣٨ هوائياً لاسلكياً عملاقاً في أربع قارات لاستقبال رسالة "فويجر" الهامسة. ويا لها من رسالة! لقد كشفت أن نبتون هو عالم ديناميكي عاصف متدثر بضباب كثيف من غازي الهيدروجين والهيليوم وسط رياح تضرب الكوكب بسرعة ٢٥٠٠ كيلومتر في الساعة وتدفع غيوماً من غاز الميثان المتجمد. أما النصف الجنوبي للكوكب

CONDENSED FROM NEWSWEEK (SEPTEMBER 4, '89), © 1989 BY NEWSWEEK, INC., NEW YORK, N.Y.
ILLUSTRATION: ROB WOOD. PHOTOS: COURTESY OF NASA

كوكب المشتري، وبقعته الحمراء الكبيرة ماثلة بوضوح، مع الأقمار "يو" و"أوروبا" و"غانيميد" (من فوق الى تحت). وفي أسفل اليمين لقطة قريبة لحركة الغيوم المضطربة فوق أكبر كوكب في النظام الشمسي.

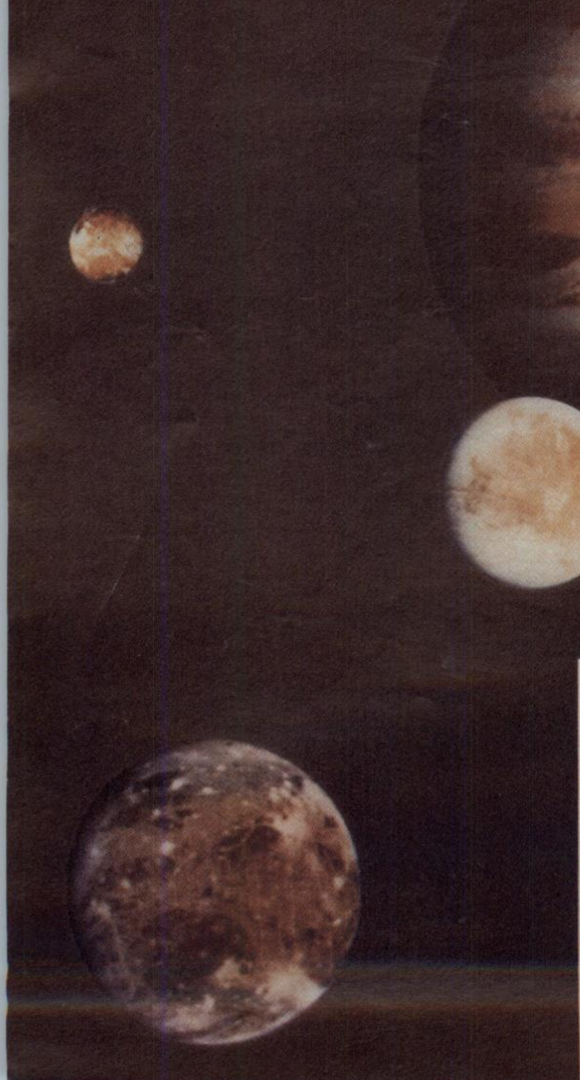

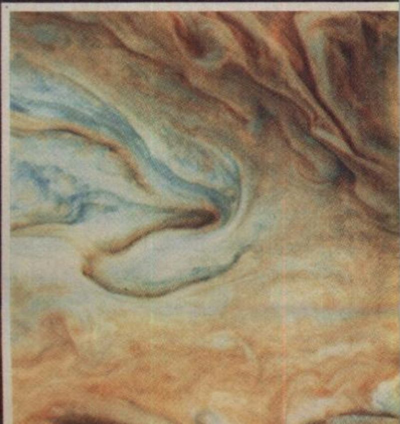

تريتون، قمر نبتون المرقش باللونين الوردي والازرق. وجدت "فويجر" دلائل على براكين جليدية ورقع خشنة ربما سببتها زلازل تريتون.

فهو موئل لنظام عواصف هائل من أعاصير متضادة ينتشر فوق بقعة في حجم الأرض ويعرف باسم "البقعة السوداء الكبيرة."

وخالط رؤية "فويجر" لنبتون منظر قمره الاكبر "تريتون" الذي وصفه العالم الجيولوجي لورنس سودربلوم بأنه "شيء لم يسبق أن رأينا ما هو أكثر منه إثارة للفضول." وتريتون هو القمر الكبير الوحيد في النظام الشمسي الذي يدور عكس دوران كوكبه الام. وقد أطلّ تريتون بوجهه المرقش الشبيه بالرخام الايطالي الوردي البهي.

ويتراءى تريتون كأن تاريخه مر بمراحل شبيهة بما تتعرض له الجيلاتي (آيس كريم) عندما نحملها الى المنزل في قيظ الصيف بحيث تتحول من حال التجمد الى حال السيلان ثم تعود فتتجمد ثانية. فلربما كان تريتون يوماً كوكباً انتزع من مداره الشمسي بجاذبية نبتون الحاضنة.

رحلة الى اللانهاية. جاءت الاكتشافات الجديدة سريعة بحيث باتت محاولة فهمها كلياً شبيهة بالشرب من خرطوم سيارة إطفاء. والتاريخ العنيف للنظام الشمسي هو الأكثر شخوصاً للعيان في ما اكتشفته "فويجر" من حلقات وأقمار، أولا حول المشتري وزحل، ثم حول أورانوس ونبتون. يقول رئيس علماء المشروع ادوارد ستون: "لقد ركزت فويجر انتباهنا على أهمية التصادم." اذ قد تنتج من التصادم الكوني الذي يماثل عملية نحت قوية للنظام الشمسي، حلقات متباينة تراوح أشكالها بين الحزام المضيء حول زحل والدوائر الاحدى عشرة الضيقة الحادة حول أورانوس.

وبعدما أنجزت "فويجر ٢" مهمتها الاساسية سيُعمد هذه السنة (١٩٩٠) الى إيقاف عمل آلتي التصوير ومكشاف الأشعة دون الحمراء والمقطاب.[١] وسيفاد من الكهرباء المدَّخرة لتشغيل آلات تقيس

---

(١) Photopolarimeter وهو اداة لتعيين مقدار استقطاب الضوء.

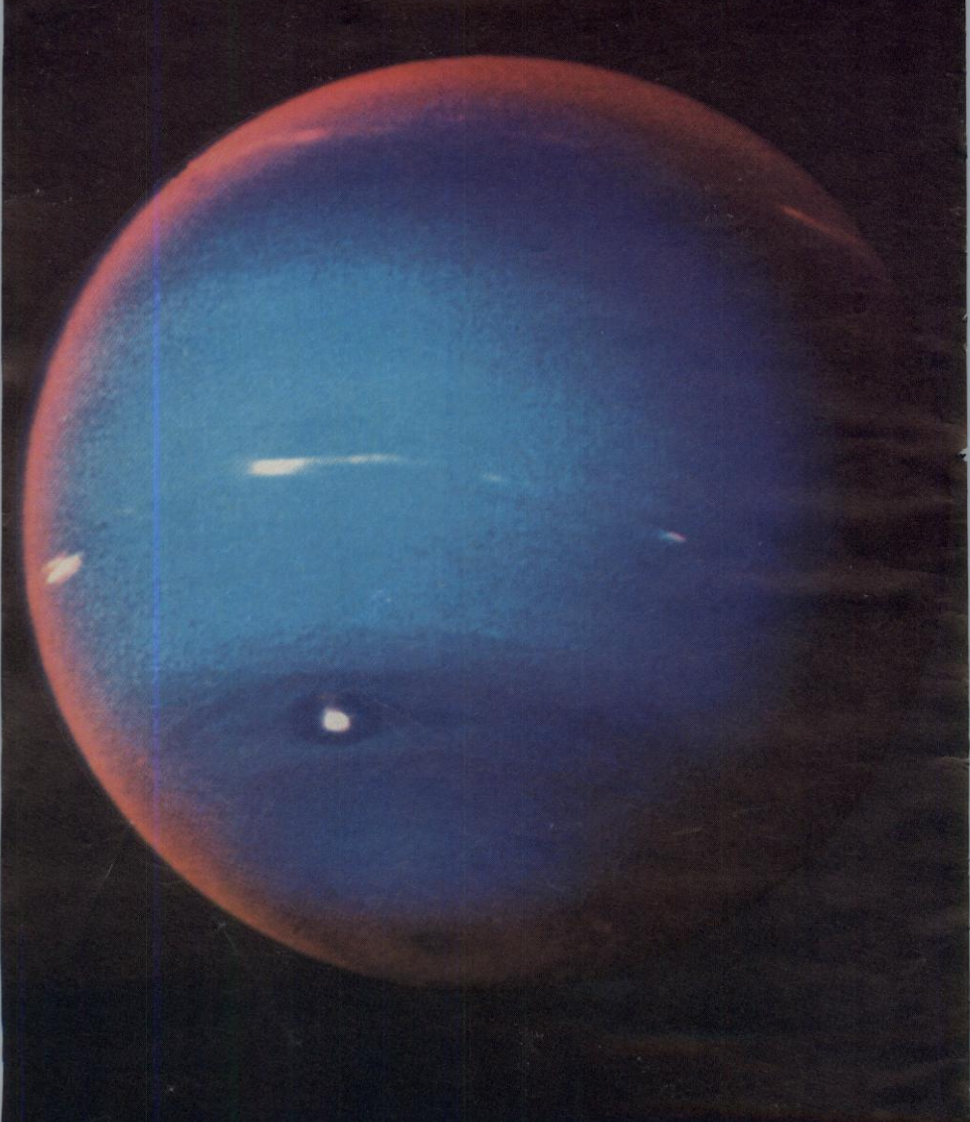

يتباهى نبتون الازرق بثمانية أقمار، ستة منها بقيت مجهولة الى أن بثت "فويجر ٢" أخبارها. واكتشفت المركبة كذلك أربع حلقات على الأقل حول الكوكب. يقول العالم الجيولوجي في المشروع لورنس سودربلوم: "يا له من أسلوب لمغادرة النظام الشمسي!"

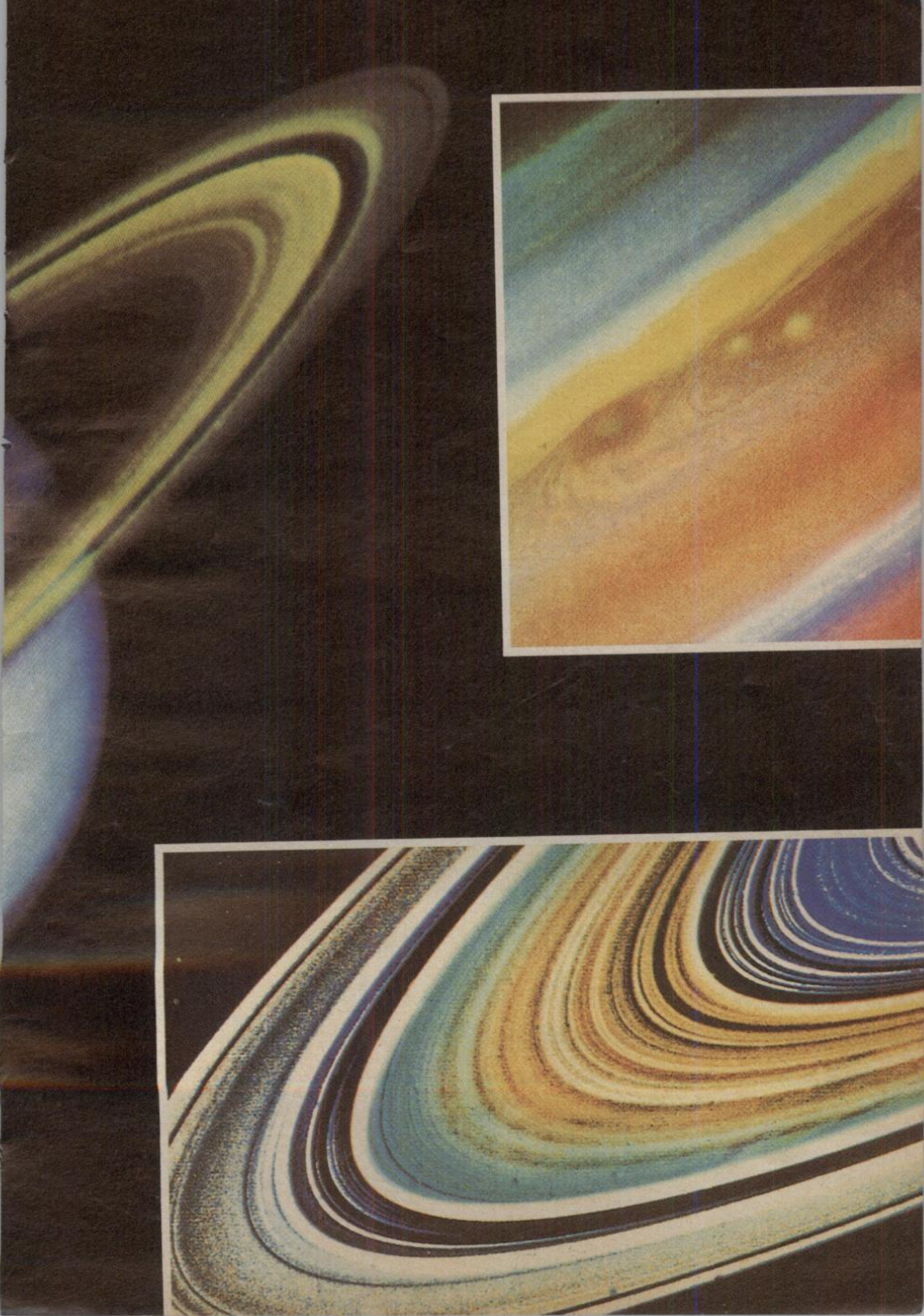

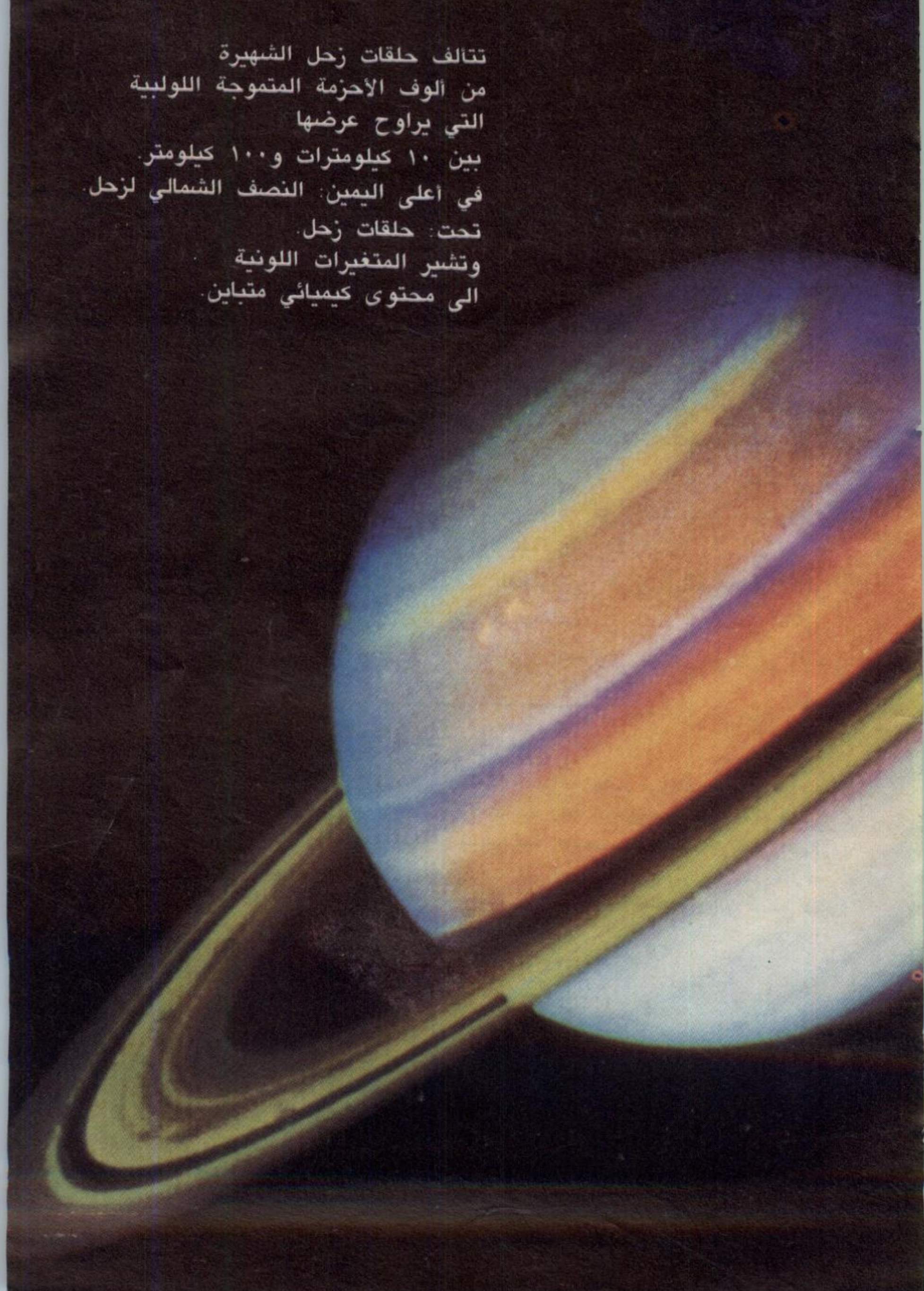

تتألف حلقات زحل الشهيرة
من ألوف الأحزمة المتموجة اللولبية
التي يراوح عرضها
بين ١٠ كيلومترات و١٠٠ كيلومتر.
في أعلى اليمين: النصف الشمالي لزحل.
تحت: حلقات زحل.
وتشير المتغيرات اللونية
الى محتوى كيميائي متباين.

الحقول المثيرة والجسيمات دون الذرّية المتناثرة في المسار الى الفضاء النجمي.

ومن المرجح أن تتوقف "فويجر" عن العمل في السنة ٢٠٢٠ من جراء قصور محركاتها عن امداد أجهزة الاتصالات بالطاقة. ويُتوقع أن تغدو سنة ٤٠١٧٦ على مسافة ١،٧ سنة ضوئية[٢] من النجم "روس ٢٤٨" وهو بقعة غازية حمراء متلألئة. وفي السنة ٢٩٦٠٣٦ ستمر "فويجر" على مسافة ٤،٣ سنوات ضوئية من نجم الشِعرى اليمانية (سيريوس).

قد يبدو الاحتمال بعيداً، ولكن ربما كان أحد هذه الكواكب مأهولا بكائنات ذكية تكتشف هذا الجوَّال الصغير الصامت. فإن حصلت على "فويجر" فستجد في جنبها اسطوانة نحاسية مطلية بالذهب ومزودة ابرة فونوغراف ولفائف. فاذا عرفت كيف تديرها استمعت الى تحيات في ٦٠ من لغات الأرض (وواحدة بلغة الحيتان) إضافة الى أصوات الطبيعة الأرضية كقصف الرعد ونقيق الضفادع وبكاء طفل رضيع.

وإن لم تصادف المركبة أحداً، فستطفو الى الأبد عبر مجرتنا "درب اللبانة" كسفيرة لسكان الأرض الفضوليين الذين أطلقوها على أمل ترك بصماتهم في اتساع الزمن الكوني.

شارون بيغلي وماري هاجر ■

(٢) السنة الضوئية وحدة طول تعادل المسافة التي يقطعها الضوء في الخواء في سنة واحدة، اي نحو ٩،٥ آلاف مليار كيلومتر.

إفرست محجوز!

منذ تسلق السر ادموند هيلاري وابن قبيلة الشيربا تنزنغ نوركاي قمة افرست في العام ١٩٥٣، توالى متسلقو هذه القمة وبلغ عددهم ١٦٤ رجلا وامرأة من أحد وعشرين بلداً مختلفاً. وقد نجح نيبالي وياباني في تسلق قمة افرست ثلاث مرات، وتمكن ايطالي من تسلقها مرتين. وما زالت قمة افرست تأسر ألباب المتسلقين. ويتوجّب على من يودّ تسلقها تقديم طلب الى وزارة السياحة النيبالية. ولكن ليعلم الطامحون الى تسلّق هذه القمة بالطريقة السهلة: افرست محجوز حتى السنة ١٩٩٧.

د.د.ك.

... وعاقل يفهم

أعمل مهرِّجاً في الحفلات. مرة بدأ أحد المدعوين يضايقني في منتصف أدائي زارعاً الفوضى في وصلتي. حاولت تجاهله فما ارعوى، فلجأت الى وسيلة أخرى: أحطت كتفه بذراعي وحدّقت الى عينيه قائلاً: «يا سيد، أنا يُدفع لي لألبس هذا الزي وأقوم بأعمال مجنونة، وأنت ما عذرك؟»

فلم يعد ينبس بكلمة.

ن.ج.

الشخير

مَتى يصبح خطرًا على الحيَاة؟

مـرض يبعده خفض الـوزن والانقطاع عن التدخين والكحول

مضت أشهـر على ليس باتـون المحاسب في مدينة سيدني بأوستراليا، وهو يعاني نعاساً متفاقماً أثناء النهار. وغلب عليه التعب ذات صباح الى حد أنه أغفى لحظة فيما كان يشرح لزميل ميزات مطبعة مكتبية صغيرة، فاجتُذبت أصابعه داخل الآلة التي سحقتها بين أسطواناتها. وتمكن الاطباء من انقاذ أصابع باتون، لكنه بقي رهين المرض الذي سبب الحادث: "الأبنيا"، أي انقطاع التنفس أو الاختناق أثناء النوم.[1]

حتى السبعينات لم يكن انقطاع التنفس أثناء النوم معترفاً به كعلّة تستوجب العناية الطبية. لكن الابحاث اعتبرتها مشكلة صحية واسعة الانتشار تصيب نحو ٢٥٠ ألفاً من الاوستراليين.

يقول الدكتور بول زيمرمان مدير الطب الصدري في مستشفى "برنس تشارلز" في بريزبين: "نعتقد أن خمسة في المئة من البالغين قد يكونون مصابين بنوع ما من الابنيا."

والذين يعانون الابنيا ينطلقون في رحلة خطرة كل مرة يأوون الى مخادعهم. فهم يتوقفون عن التنفس مئات المرات في الليل ويبدأون نوبة اختناق حتى الموت. فأنسجة الحنجرة الرخوة لدى المصابين بالابنيا الانسدادية[2] (وهو النوع الاكثر شيوعاً) تنهار مما يؤدي الى تقلص الحنجرة، فيهبط مستوى الاوكسيجين في الدم وتعصف الانقباضات بالحجاب

---

(١) Sleep apnea

(٢) Obstructive sleep apnea

الحاجز الى أن يستجيب الدماغ لاشارات الخطر. عندئذ يبدأ النائمون استعادة وعيهم وتنفّسهم اذ يندفع الهواء بغزارة الى داخلهم. وهم في الصباح لا يتذكرون اختناقهم ولا غطيطهم في نومهم، الا أنهم يشعرون بالارهاق قبل أن يبدأوا نهارهم. أما أولئك الذين يعانون الأبنيا المركزية[٣] الأقل شيوعاً فانهم ينقطعون عن التنفس لفترات طويلة دونما سبب ظاهر.

عيادات النوم. يتذكر مدير مصرف في جنوب أوستراليا يدعى إيان دوسون مناسبات أغفى فيها فوق طاولة مكتبه. وهو يقول: "كان ذلك مربكاً أشدّ الارباك، اذ كان الموظفون يسمعون الغطيط منبعثا من مكتبي." والغطيط يترافق غالباً والابنيا الانسدادية. (انما لا يعود سبب الغطيط دائماً الى الابنيا.) فنسيج الحنك الرخو في أعلى الحلق يهتز حين يندفع النفَس عبر مجرى هوائي ضيق أو مسدود جزئياً. فأثناء نوبة أبنيا ينسدّ المجرى كلياً. ويقول الدكتور زيمرمان: "يحدث هذا حين ترتخي عضلات الحلق اثناء النوم، والسبب الجذري هو كون مجرى الهواء الاعلى أضيق من الطبيعي، إما وراثياً وإما بسبب البدانة."

ومما يزيد في مأساة ضحايا الأبنيا أنهم معرضون للاصابة بمرض القلب والسكتة الدماغية (الفالج) وارتفاع ضغط

(٣) Central apnea

مريض "ابنيا" يتنفس عبر آلة «CPAP»

PHOTO: TONY MAGUIRE

الدم. كما أن نقص الاوكسيجين الذي يعانونه في الليل قد يؤدي الى تلف في الدماغ. وفي الحالات المعتدلة قد يسبب هذا التلف نقصاً في الذاكرة، إنما في الحالات الشديدة قد يتسبب في اضطراب نفساني حادّ. والى ذلك، فحتى خبل الخرف قد يعزى الى الابنيا. وتشير الابحاث الحديثة الى أن الأبنيا قد تؤدي دوراً في متلازمة الموت الفجائي أثناء الطفولة.[٤] وتظهر دراسات أن المصابين بالابنيا معرضون أكثر من سواهم لحوادث اصطدام السيارات. يقول الدكتور مايكل دود الطبيب في "وحدة اضطرابات النوم" في مستشفى "رويال برنس ألفرد" في سيدني: "إننا ننظر الى رأس جبل جليدي طبّي مغمور."

وفيما تزداد المعرفة بالابنيا تتدفق طلبات المعالجة على الهيئات الطبية المختصة. ففي قائمة الانتظار لدى وحدة "رويال برنس ألفرد" ألفا شخص، قد يطول انتظار بعضهم سنتين ليحظى بالمعالجة. وهذه هي حال "عيادات النوم" العشر الأخرى في المستشفيات الحكومية في أنحاء أوستراليا. وقد افتتح حديثاً عدد من العيادات الخاصة في أماكن مختلفة من البلاد.

شخير فاختناق. يوصَل المرضى في عيادات النوم بأسلاك الى أجهزة مراقبة متنوعة كي يتسنّى للاطباء الاطلاع على صورة كاملة لحالاتهم. وذات ليلة، في ساعة متقدمة، رحت أراقب التقنيين في احدى العيادات الخاصة في سيدني وهم يثبتون الالكترودات[٥] اللاصقة الى صدر نويل ادواردز (٤٣ عاماً) الذي قدم من بابوا نيو غينيا للمعالجة، ووصلت سبعة من أطرافها الى جهاز تخطيط القلب، وخُصِّت أربعة أخرى بقياس التنفس. ثم ثبت الكترودان في رجلي ادواردز (حركات عضلات الرجلين تكشف الكثير عن أنماط النوم) وفي ذقنه (هنا يهبط نشاط العضل قبيل نوبات الابنيا الحادة). بعدئذ جاء دور الرأس. زرع الكترودان على جانبي عيني ادواردز واثنان خلف اذنيه واثنان في أعلى رأسه وواحد على جبينه لقياس حركات العينين ونشاط الدماغ. وأولجت في منخريه شوكتان بلاستيكيتان لقياس تدفق الهواء. وأخيراً ثبت مقياس للاوكسيجين في اذنه لمراقبة مستوى الاوكسيجين في الدم. والمجموع ٢١ سلكاً متعددة الالوان موصولة بجسم ادواردز. وهو قال مبتسماً: "أشعر كأني مسخ فرنكنشتين."

وادواردز هو من الذين يغطون في نومهم (يشخرون) شأن معظم ضحايا الابنيا الانسدادية. لذا فانه وزوجته ينامان في غرفتين منفردتين، لكن زوجته لا تني تسمع غطيطه. ويقول ادواردز مكتئباً: "ان غطيطي يسمع عن بعد ١٠٠ متر من منزلنا." وقد خبرت لاحقاً بعضاً

(٤) Sudden - infant - death - syndrome
(٥) الالكترود او اللاحب قطب كهربائي.

من معاناة عائلته فيما كان في عهدة الاطباء تلك الليلة.

كان رفيق ادواردز في الغرفة موظفاً حكومياً من العاصمة كانبره. وبعدما أطفئت الأنوار ساد السكون ولم يعد يسمع في الغرفة سوى صوت مكيف الهواء وحفيف ١٨ قلماً على لفة ورق في المرسمة المضاعفة.[٦] وبعد ساعة اذا بصوت خشن ينبعث فجأة عبر جهاز الاتصال الداخلي من غرفة ادواردز. توقف الصوت لبضع ثوان ثم عاد أعلى من السابق. وتعاظم الشخير الى ضراوة كأنه صادر عن وحش غاضب واقع في شرك منصوب له في الغرفة ٣.

عندئذ بدأت نوبات الابنيا. دامت النوبة الاولى ٢٠ ثانية. فحبست أنفاسي الى أن قطع السكون القلق شخير هائل. وبعد بضع عشرة شخرة تكرر الانقطاع، انما كان هذه المرة صوت اختناق خفيف. وأخذت نوبات الابنيا تطول وتزداد تكراراً. وبعيد منتصف الليل باتت تمتد ٤٥ ثانية وتتكرر بين فترات من ست شخرات.

مشي على الهواء. حين بدأت احدى النوبات شرحت لي التقنية ماريا بريك ما تدل عليه الخطوط المرسومة على الورقة: "إن الذرى والوهاد في مقياس التنفس تتقلص الى خطوط مستقيمة في أثناء الاصابة بالابنيا. لكن المرسمة العضلية[٧] الموصولة بالحجاب الحاجز تظهر نمطاً من لطخات الحبر، مما يدل على أن الحجاب الحاجز ماضٍ في الانقباض على رغم عدم وصول الهواء اليه." وهناك خط آخر في الرسم البياني يظهر قراءات مقياس الاوكسيجين الملقوط على الاذن، ويفاد منه أن مستوى الاوكسيجين في دم ادواردز آخذ في الهبوط بحدة. والمستوى الطبيعي أعلى من ٩٥ في المئة. تقول باريك: "لقد هبط الآن الى ٦٠ في المئة." ولا يلبث ادواردز أن يطلق احدى شخراته الطويلة المكبوتة التي أصبحت مألوفة، فيرتفع خط الاوكسيجين عمودياً على ورقة المرسمة البيانية.

صباح اليوم التالي بانت أحداث الليل التي مرّ بها ادواردز مسجّلة على ٩٠ متراً من الورق. وقال مدير العيادة إن عدد نوبات الابنيا التي تعرض لها ادواردز تلك الليلة زاد على أربعمئة. وأضاف: "دامت أطول هذه النوبات ٩٠ ثانية،" وهي التي سجلت قبيل الثانية ليلاً.

عند هذا الحد دخل ادواردز مرحلة حركة العينين السريعة أثناء النوم، وذلك هو الوقت الذي يرتخي فيه الحلق او ينسدّ. وهبط مستوى الاوكسيجين الى ٤٩ في المئة وانخفض معدل نبض القلب الى ٤٠ في الدقيقة. قال الطبيب: "هذا هو نصف المعدل الطبيعي. ومثل هذا الاجهاد قد يؤذي القلب ويجعل من الابنيا

(٦) Polygraph . وهي اداة لتسجيل عدة نبضات مختلفة في آن، كنبضات القلب والشرايين معاً.
(٧) Electromyogram . وهو جهاز يسجل الانقباضات والاسترخاءات العضلية.

حالة مرضية تهدد الحياة."

ولحسن حظ ادواردز وأمثاله أن مساعدتهم باتت ممكنة. ففي العام ١٩٨٠ نجح البروفسور كولين سوليفان مدير وحدة "رويال برنس ألفرد"، في تكييف آلة تستخدم في غرفة الطوارىء للحؤول دون انهيار رئتي المريض التالفتين. واستخدم نموذجه الاول «CPAP»[٨] لدفع الهواء برفق في منخري ضحايا الابنيا لابقاء مجرى الهواء الاعلى مفتوحاً.

وكانت الآلة تبعث ضجيجاً مزعجاً وتحدّ كثيراً من التحرك أثناء النوم، لكنها حققت نتائج مثيرة. يقول العامل الميكانيكي رون وود: "بعد الليلة الاولى شعرت كأني أمشي على الهواء. فقد منحتني نوماً هانئاً للمرة الاولى منذ سنين." وقد أدخلت تحسينات على الآلة، وهي تنتج الان تجارياً في أوستراليا. وهناك آلات مماثلة في أوروبا والولايات المتحدة.

التشخيص المبكر. في وحدة "رويال برنس ألفرد" عمدت الى تجربة الآلة «CPAP». انها مجهزة بكمامة بلاستيكية شفافة ذات أطراف محشوّة كيما تنطبق براحة حول الأنف. ويمتد من مقدّمها أنبوب طويل شبيه بخرطوم الفيل يوصل الى صندوق معدني على الطاولة بجانب السرير. ثبّتُ الكمامة على وجهي وأدرت الآلة فانبعث منها صوت حفيف. وشعرت بدفقَتَيْن من هواء بارد انسابا داخل منخريَّ نزولا في مؤخر حلقي. وغمرني احساس بالانتعاش كالذي يبعثه تمرين التنفس العميق.

وهناك ضحايا أبنيا مثل كين مايلز أشعرهم استخدام كمامة «CPAP» بفرق هائل. فقد كانت زوجته اعتادت شخيره، وهي تروي: "كنت أرتعب للفترات الطويلة التي بدا فيها كأنه انقطع عن التنفس." ثم قرأت ذات يوم عن مرض الابنيا في احدى المجلات الطبية في المكتبة حيث تعمل، واكتشفت ما صحَّ أنه علة زوجها. واليوم غاب شخيره باستخدام آلة «CPAP» التي لا يُسمع لها سوى دندنة ناعمة.

تقول وندي ويل وهي ربة منزل في سيدني يعاني زوجها وابنتها (٧ أعوام) الابنيا: "المشكلة الكبرى اليوم هي ادراك الناس أن هناك علة تدعى الابنيا."

ان تشخيص الاصابة بالابنيا لا يعني بالضرورة الحكم بالنوم مدى الحياة الى جانب آلة «CPAP». يقول الدكتور دود: "إذا حدّدت الاصابة في وقت مبكّر، فان خفض الوزن والحدّ من تناول الكحول والانقطاع عن التدخين كافية في بعض الاحيان."

ومتى ألمتَّ الاوساط الطبية بهذه الحالة المرضية فسيتاح لضحاياها نوم ليلي هانىء.

طوني ماغير ■

(٨) continuous positive airway pressure، اي "الضغط الايجابي المتواصل عبر مجرى الهواء."

البارثينون

إنها لمن تجارب الحياة المثيرة أن تعبر رواق بروبيلايا الفخم الرخام، وتقف على سطح الاكروبوليس الأبيض الرمادي الاملس متأملا هيكل البارثينون المتصدع الذي يطل فوق قمة الصخرة نموذجاً للآثار المنطبعة في أذهاننا، عظيماً في سقوطه، كما كان في علاه يوم تصدَّر روائع أثينا القديمة. وتشاهد عند الطرف الشمالي للصخرة نصب الاركتيوم، أو مقام أثينا، فيما يتراءى عند حيد ضيق وراء البروبيلايا نصب "أثينا نايكي."

لتأمُّل هذه الحجار القديمة، يؤم الأكروبوليس نحو خمسة ملايين زائر سنوياً.

تُعتبر معالم الاكروبوليس الأثرية الأربعة التي بُنيت في الفترة الممتدة بين عامي ٤٤٧ و٤٠٥ قبل الميلاد، مثالا لا

بين الأمس والغد

هل سيؤدي ترميم البارثينون الى تشويه هذا الأثر الحضاري البارز؟

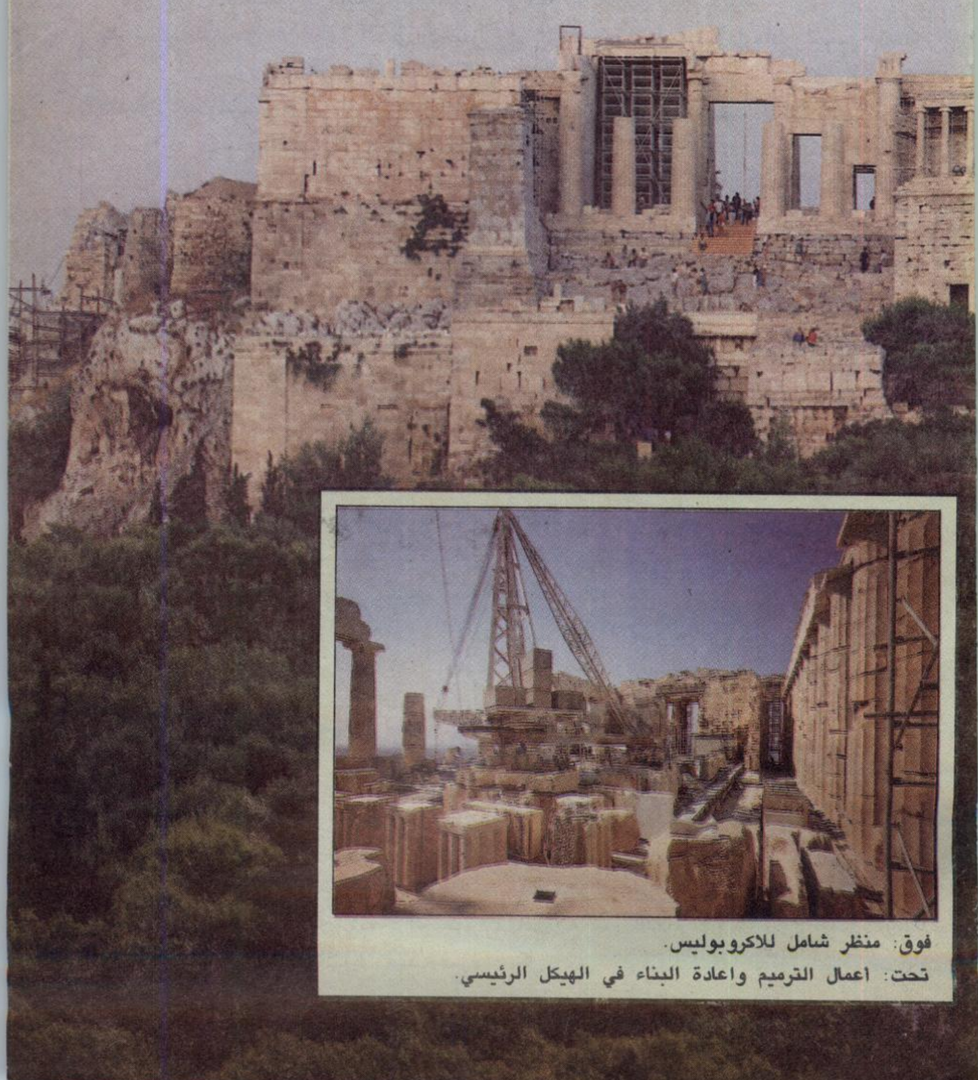

فوق: منظر شامل للاكروبوليس.
تحت: أعمال الترميم واعادة البناء في الهيكل الرئيسي.

يضاهى في فن العمارة القديم. وهي، الى ذلك، أبرز الذخائر المحسوسة التي تناهت إلينا من "العصر الذهبي" أيام كان بريكليس وأفلاطون وسقراط ويوريبيدس يتمشون في شوارع أثينا.

في أوائل السبعينات صُعق اليونانيون عندما تحققوا من أن هذا الكنز الوطني معرض للانهيار. وكانت هذه المعالم الأثرية دعمت بالملازم في أوائل هذا القرن في محاولة خاطئة لتقويتها. إلا أن الملازم صدئت وراحت في تأكلها تشقق الجدران الرخامية القديمة. والى ذلك، تبين أن تلوُّث الهواء والمطر الحمضيّ تسببا على مدى نحو ثلاثة عقود في أضرار بمنحوتات البارثينون المتبقية تفوق ما سببته الحروب وأعمال النهب خلال ٢٥ قرناً.

مبنى أم أطلال؟ في العام ١٩٧٥ شكلت لجنة للحفاظ على معالم الاكروبوليس، مهمتها الاساسية الاشراف على صيانة هذه الآثار. وهي تضم اليوم أحد عشر عالماً يونانياً في حقول الآثار والهندسة والعمارة والكيمياء. وفي السنوات التي تلت، عمد تقنيون من "مركز ديمقريطس للابحاث النووية" الى تخطيط شقوق البارثينون التي تكاد لا ترى بالعين المجردة، بواسطة جهاز لقياس المتغيرات في الحرارة السطحية. وقُصفت الجدران بأشعة "غاما" للحصول على صور ثلاثية الأبعاد للشقوق الداخلية. وعمد الكيميائيون منذ فترة قريبة الى تخطيط دقيق ومفصل للاضرار الناتجة من أنواع مختلفة من التلوث. وتستخدم رافعة لانزال التماثيل المتضررة وحفظها في صناديق استعدادا لنقلها الى متحف جديد يزمع بناؤه على مقربة من الاكروبوليس.

لكن ما بدأ عملية إنقاذ واضحة تحوَّل برنامجاً ضخماً ومثيراً للجدل. إذ حين يُستكمل تنفيذ هذا البرنامج في التسعينات، ستكون أعمال الترميم غيرت جذرياً مظهر الأكروبوليس والنظرة الى التاريخ اليوناني في آن. يقول ستيفن ميلر الرئيس السابق لـ"الكلية الامريكية للدراسات الكلاسيكية" في أثينا: "إنه أعظم مشروع يُنفذ في الأكروبوليس مذ تم بناء البارثينون قبل ٢٥٠٠ سنة. وعندما ينتهي العمل به سيسهل تقدير هذا المعلم كمبنى وليس كأطلال."

وتقول جودث بايندر عالمة الآثار الأمريكية وأحد أبرز المختصين بالأكروبوليس: "إن إعادة البناء هذه لأمر مفرح، بل مفرح جداً. وكان لزاماً القيام بها لأن الاكروبوليس يتداعى فعلاً منذ ١٥ سنة، وقد صار على قابي قوس أو أدنى من نهايته."

أما كيف سننظر الى الأكروبوليس في السنوات المقبلة فأمر يتوقف الى حد بعيد على رؤيا مهندس العمارة اليوناني مانولس كوريس (٤١ عاماً) الذي يتولى منصب المدير الأعلى لأعمال الترميم في الموقع منذ العام ١٩٧٥، ولا يشير إليه كل من عرف عمله بأقل من صفة

© 1988 BY FERGUS M. BORDEWICH. CONDENSED FROM CONDÉ NAST TRAVELER (DECEMBER '88), NEW YORK, N.Y PHOTOS: PAUL WARCHOL

"عبقري." يقول هرمان ج. كيناست عضو "المعهد الالماني للآثار" في أثينا: "يتصف كوريس بمقدرة تمكنه من التفكير في المبنى تماماً كما فعل بانوه الأولون، وتماماً كما يفعل حَجَّار الرخام ومدير الانشاءات والمموِّل. وهو في الوقت نفسه عالم رزين وفنان مبدع."

أحجية حجار. تنتثر في أرجاء الاكروبوليس شظايا من رخام البارثينون التي عقد كوريس العزم على فرزها وجمعها ما أمكن، وإعادتها الى مواقعها الأساسية. أما كيف يحدد كوريس مصادر الشظايا الرخامية الشاردة، فذاك متاح من طريق قياس التركيب الحبَيْبي لكل قطعة ودرجة صلابتها وقابليتها للتطريق ومدى استجابتها لعمل الآلات على سطحها وانماط شقوقها وتأكلها.

وفي يوم قاس من شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، فيما كانت ريح آكلة تسوط صف أعمدة البارثينون، راح كوريس يتجول في أنحاء الاكروبوليس متنقلا بين كتل الرخام وهو يقيس آثار الأزاميل القديمة على وجه الرخام الاملس ظاهراً. ثم قال مشيراً الى أربع بلاطات أفقية بالغة التضرر: "لا بد من أن هذه القطع جزء من كتلة واحدة." وهو يفترض أنها من إفريز ضيق يحوط قاعدة قاعة البارثينون المركزية. ويشرح: "إن آثار الازميل تتبع نمطاً يدل على أن يداً واحدة أنجزت هذا العمل. وترى عند طرف هذه الكتل شريطاً طوله ٢٠ سنتيمتراً يدل على تأكل الحجر بفعل الأمطار. وهذا يُظهر أن الحجر كان ناتئاً بمقدار ٢٠ سنتيمتراً من الجدار، وبالتالي فإن مكانه هو قاعدة القاعة المركزية. إلى ذلك يمكن الاستنتاج تحديداً أن مكان هذه الكتل هو الناحية الشمالية من المبنى التي هي أكثر تعرضاً للعوامل الجوية."

ومنذ العام ١٩٧٦ تعرَّف كوريس الى نحو ١٠٠٠ قطعة عائدة الى البارثينون وركّب بها نحو ٢٠٠ مدماك أوثقها بملازم لا تصدأ من التيتانيوم بعدما ملأ الفجوات

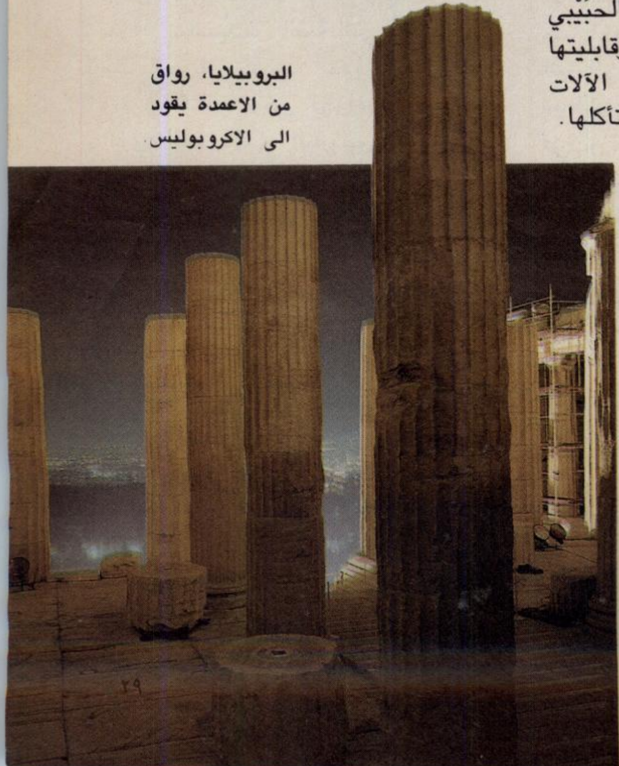

البروبيلايا، رواق من الاعمدة يقود الى الاكروبوليس.

برخام جديد. وهو يأمل بذلك أن يجعل البارثينون أقرب الى شكله السليم مما كان مذ مزّقه حصار البنادقة عام ١٦٨٧.

ثورة النقاد. على رغم أن المشروع لا يزال في حال تطور، فلقد وافقت "لجنة الحفاظ على الاكروبوليس" على المبادىء الاولية الواردة في برنامج كوريس. وهو يقترح رفع جدران القاعة الداخلية في البارثينون ثلاثة أمتار أو أربعة وإعادة بناء خمسة أعمدة ضخمة كانت تقف وراء صف الأعمدة الشرقي. إلى ذلك يقترح إعادة نصب بضعة أعمدة رومانية أقيمت خلال عملية إعادة بناء قديمة وشكلت جزءاً أساسياً من القبة التي علت المبنى منذ تحويله كنيسة لمدة ٩٠٠ سنة. وينوي كذلك عرض أجزاء من المسجد الذي أقيم داخل البارثينون بعد الفتح الاسلامي. وهكذا لن يرى الزائرون فقط وجهاً محسَّناً لمبنى البارثينون، بل قرائن واضحة عن العهود الروماني والبيزنطي والافرنجي والاسلامي التي تطاول ٨٠ في المئة من تاريخه.

لكن هذه المخططات أثارت سخطاً عارماً لدى النقاد في اليونان وفي الخارج على السواء. وبين هؤلاء من يؤكد أن دمج عناصر تاريخ البارثينون يُفقد أعمال الترميم فرصة ابراز "العصر الذهبي" اليوناني. وقد كتب سيمون جنكنز في صحيفة "صندي تايمز" البريطانية مقالا اتهم فيه مرمّمي البارثينون بـ"الجبن الاكاديمي" لأنهم فوّتوا فرصة إعادة بناء المعبد البريكلي الأصلي على رغم امتلاكهم المعرفة والمهارة للقيام بذلك.

ونظر آخرون بكآبة الى مبادرة كوريس الرامية الى ابدال قطع الميتوب* المتضررة بفعل التلوث بنسخ بغية الحفاظ على شكل البارثينون القديم. ويؤكد المؤرخ الفني الأمريكي فنسنت سكلي أن هذه "فكرة سيئة لن تؤدي الى الشكل الصحيح."

ويبدي فريق آخر من النقاد قلقاً من أن يشوه أي عمل ترميمي روعة التأثير الجمالي للبارثينون. ويتمحور هذا النقد حول ما يشكله الترميم من خطر يتهدد الانطباع النفساني في المجتمع الغربي منذ أجيال عن جوهر النمط الكلاسيكي اليوناني. ويدافع عن هذا الرأي جوردان ديماكوبولوس مدير مصلحة ترميم الآثار في وزارة الثقافة اليونانية، إذ يقول: "البارثينون رمز تجب معاملته برقة. ولن يؤدي ترميمه الا الى احداث صورة جديدة تماماً. فان أردنا إعادة بناء البارثينون لاهداف تربوية، فلماذا لا نبني واحداً جديداً في مكان ما من ضواحي أثينا؟"

ويدور الجدل في أساسه حول معنى الماضي. ويقول كوريس: "ترى احدى المدرستين المتنازعتين أن من الخطأ استكمال الآثار لأنه يؤدي الى تزوير التاريخ. وتنحو مدرسة أخرى الى الاعتقاد أن من الأفضل إضافة بعض

(*) الميتوب (metope) فسحة فاصلة بين واجهتين في إفريز او طنف. وتكون عادة مزدانة بصورة منحوتة.

زوائد لجعل الآثار أوضح وأكثر ارشاداً."

وقد جاهدت "لجنة الحفاظ على الأكروبوليس" بقوة للوصول الى تسوية بين دعاة الحد الأدنى ودعاة الحد الأقصى. وأكد رئيسها شارلميوس بوراس وهو أستاذ آثار مرموق، أن في سياق عمليات الترميم لا يُعاد تقطيع الرخام الأصلي، وتمكن إزالة الزوائد الجديدة اذا دعت الحاجة. ويضيف: "لقد أخذنا في الاعتبار مبدأ المعكوسية في مشروعنا، بحيث اذا وجدنا لاحقاً قطعاً أصلية نعمد الى إزالة ما زدناه من رخام أو اسمنت ونعيد القطع الأصلية الى مكانها."

عظام تحت الشمس. ظل الأكروبوليس مدى قرون مكاناً يلجأ إليه المزارعون الاغريق في أزمنة الخطر. وتدريجاً تطورت بلدة أثينا الى مدينة، وتحولت مقاماتها البسيطة معابد. وحدث في القرن الخامس قبل الميلاد تطور جعل من الاكروبوليس نصباً يلهم العالم. إذ بعدما قادت اثينا الولايات اليونانية آنذاك الى النصر في الحروب الفارسية، أقنع بريكليس مواطنيه بإقامة مبان جديدة على الاكروبوليس دلالة على القوة الجديدة للمدينة. فغدا الأكروبوليس خليطاً من المقامات والمعابد المطلية بألوان صارخة يغلب عليها الأحمر والأزرق الغامق والمطلية بماء الذهب.

وخلال أكثر من ألفي سنة تغير شكل الأكروبوليس باستمرار شبه دائم. فلقد غير الرومان بنية معظم مقاماته واكتظت تخومه بتماثيل النذور من أغنياء الامبراطورية وأقويائها. واعتُمد في القرن الثالث كقلعة في وجه الهجمات البربرية. وفي القرون الأربعة التي تلت عمَّت اليونان موجات بشرية من القوط والمغول (الهُوْن) والعرب والسلاف خلَّفت قبائل جديدة تشرَّبتها الامبراطورية البيزنطية.

وفي وقت لاحق حولت البروبيلايا منزلا للاساقفة البيزنطيين، والبارثينون كاندرائية، والاركتيوم مع "رواق العذارى" التابع له، مسكناً لعائلة نافذ تركي، فيما اقتُلعت حجار معابد أخرى لبناء القصور والكنائس والقلاع.

وفي القرن الثالث عشر احتل الصليبيون الافرنج القلعة، وتلاهم أدواق فلورنسا الذين سلَّموا الاكروبوليس الى الأتراك عام ١٤٥٨. ومع نهاية العام ١٨٠٠ اكتظ الاكروبوليس بمساجد ومنازل تعلوها أبراج وحصون من القرون الوسطى توزعت بغير انتظام في أرجائه وسط حماية المدفعية العثمانية المنصوبة في دائرة من الشرفات ذات الفتحات الحربية.

وفي العشرينات من القرن التاسع عشر انضم أكثر من ألف أجنبي متيَّمين بأسطورة الكمال اليوناني القديم الى صفوف الثورة اليونانية التي أطاحت الحكم العثماني. وبعدما فرضت بريطانيا وفرنسا وروسيا أميراً بافارياً على اليونانيين، شرع الرومنطيقيون الاوروبيون في إعادة بناء البلاد الجديدة

والأكروبوليس وفق مثالهم الكلاسيكي.

بدأ العمل في ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٨٣٤. وأعلن ليو فون كلنز مهندس العمارة البافاري الذي تولى إدارة المشروع: "يجب إزالة جميع آثار الأقدام البربرية." فدمر عماله كل أثر بيزنطي وتركي وافرنجي حتى توهج "العصر الذهبي" كعظام ماشية نافقة تحت الشمس.

"**نظيف أخيراً**." خلال العقود التالية تابعت أجيال من المرممين التصور إياه. وفي العام ١٨٣٦ أُزيلت آخر آثار القلعة عن البروبيلايا، وأُعيد بناء معبد "اثينا نايكي" من عناصره الأصلية التي نظفت من بقايا الأسوار التركية المفككة.

وبحلول العام ١٨٤٥ أعيد ١٥٨ مدماكاً الى قاعة البارثينون المركزية. ومع نهاية القرن أعلن مدير الآثار ب. كافاديس بفخر أن الاكروبوليس قد "نُظِّف أخيراً من جميع البقايا البربرية."

وفي العام ١٩٠٠ بدأت عملية ترميم أخرى قادها المهندس المعماري نيكولاس بالانوس الذي استعمل ما طاولته يداه من رخام من دون مراعاة الموضع الأساسي الملائم لكل قطعة، كما عمد الى تفصيل كتل رخامية قديمة بشكل يؤمن سد النقص الحاصل. وبالانوس هو مَنْ بدأ استعمال الملازم الحديد التي أدى تأكسدها الى التصدع الحاصل اليوم في النصب القائمة. وعندما انتهت "ولايته" في العام ١٩٣٧ كان أعطى الاكروبوليس شكله الحالي. يقول كوريس: "إن صورة الاكروبوليس الحالية عَرَضية. وهو يبدو كما هو اليوم لأن بالانوس لم يحصل على التمويل اللازم لترميمه بمقدار أكبر أو لتأمين الرخام المناسب."

وخطط كوريس الرامية الى زيادة القرائن الحية عن الفترة التي تلت العصور الكلاسيكية تمثل جهداً متواضعاً لتذكير العالم بأن لليونان تاريخاً يتجاوز حقبة "العصر الذهبي" القصيرة جدا.

يقول إفي تولوبا القيِّم السابق على الاكروبوليس: "لا يحق لنا أن نتجاهل حقبة ما لمجرد اعتقادنا أنها سيئة. علينا أن نبرز كل فترة بكل ما لها وما عليها."

إن الاضفاء المتعمد للمثالية على الأكروبوليس في القرن التاسع عشر، ومشاريع إعادة بنائه في القرن العشرين، وحتى الأضرار المتأتية من التلوث العصري، كلها جزء من تاريخ البارثينون. وأعمال الترميم في ذاتها تعبير تاريخي وتجسيد لموقف من الماضي.

فرغوس م. بوردفيش ■

شرح لنا أستاذ علم النفس أن الدراسات أظهرت أن معدل فترة الانتباه المتواصل لدى الانسان العادي لا يتجاوز أربعين دقيقة. ثم تابع محاضرته التي استمرت ثلاث ساعات.

ن.ر.

صور من الحياة

حبل الكذب...

■ اتفقت وزوجتي على الخروج لتناول العشاء في مطعمنا المفضل، لكننا لم نحجز طاولة. وعندما وصلنا، وجدنا أن كثيرين سبقونا وينتظرون إخلاء طاولة. فسجّلت اسمي لدى المضيفة، وجلسنا ننتظر دورنا في ردهة الاستقبال.

وبعد قليل غادر زوجان المطعم متذمرين من طول الانتظار. ولم تمضِ دقائق حتى نادت المضيفة: "السيد حديد؟" فلم يجب أحد. وأعادت الكرّة من دون جدوى. فأقنعت زوجتي بأن ندّعي أننا الزوجان حديد فنحصل على طاولة من دون انتظار. وإذ تقدّمنا من المضيفة، قالت: "السيد حديد؟" فأومأت بالايجاب. فقالت: لقد كنا نتوقع وصولكما، فعائلتكما تنتظر في الداخل."

ت.س.

عواطف مختلطة

■ بعد مرور أشهر على انضمامي كعازف غيتار الى فرقة موسيقية، سألنا أحد الحاضرين في حفلة لماذا سمّينا فرقتنا "العواطف المختلطة." فأجابه عازف البيانو: "لأنك عندما تسمعنا لا تعرف ما اذا كان عليك أن تضحك أو أن تبكي."

ر.ش.

أرقام مهمة

■ قرر ابن صديق لي تأسيس عمل خاص عندما بلغ السن الحادية والعشرين، فساعده والده في شراء بعض تجهيزات المكتب، وبينها آلة هاتف مجهزة بذاكرة الكترونية تتسع لعشرة أرقام.

وذات يوم زار صديقي ابنه في مكتبه الجديد. وفيما هو ينتظر، لاحظ ان الهاتف مبرمج بأرقام مهمة. وفي أعلى اللائحة قرأ كلمة "طعام." واشباعاً لفضوله، رفع السمّاعة وكبس الزر الاول، فردت زوجته في المنزل.

م.س.

رومنطيقيان

■ كنت واقفاً في ردهة فندق أنتظر دوري لحجز غرفة، فسمعت زوجين أمامي يطلبان غرفة بسرير مزدوج. فاعتذر موظف الفندق قائلا إن جميع الغرف المتوافرة مجهزة بسريرين منفصلين. فقال الزوج، وقد خاب ظنه: "لست أدري ما العمل، فنحن ننام في سرير واحد منذ ٤٤ سنة."

وسألت الزوجة: "أيمكن وضع السريرين جنباً الى جنب؟"

فتبسَّم الروّاد المنتظرون وتمتم أحدهم: "يا للرومنطيقية!"

فأضافت الزوجة: "أريد أن أكون قريبة منه لكي أنخسه عندما يشخر!"

ب.س.

جَان ـ لوك لاهَاي
نجم المشرّدين

كان جانحاً متشرداً فبات مغنياً شهيراً ورمز أمل للمشردين

"جان - لوك، السيدة سيغولين رويال مستشارة الرئيس فرنسوا ميتران للانعاش الاجتماعي تنتظر منك اتصالا هاتفياً بقصر الايليزيه."

حدّق المغني الطويل الناحل الجسم من تحت شعره الكثيف الفاحم السواد الى وجه المنتج جيرار بدرون وسأله مندهشاً: "هل قالت لك ماذا تريد؟"

- نعم. الأمر يتعلّق بالمؤسسة.

بعد حلول أغنيته "بابا المغني"[1] في المرتبة الاولى على لائحة الأغاني الشعبية، وبلوغه الشهرة وهو في الثامنة والعشرين من عمره، بدأ جان - لوك انشاء مؤسسة لمساعدة الاولاد المشبردين.

ولم يكن شيء أنجز بعد، اذ كان لا يزال يبحث عن مبنى للمأوى الأول. وسأل

(١) Papa Chanteur

PHOTO: SIPA PRESS / BENAROCH

المغني الشاب بدرون وهو يدير قرص الهاتف طالباً القصر الرئاسي: "أتظنها دعابة سمجة؟"

وبعد أسبوع، في ١٧ فبراير (شباط) ١٩٨٦، دخل المغني مكتب الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران. وبنتيجة حديثهما وضعت مدرسة مهجورة في ناحية "كليشي" على أطراف باريس في تصرّف جان - لوك. وفي ٨ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ افتتح الرئيس ميتران أول مراكز "العائلات المئة" وقال للاهاي: "إن المهمة التي أخذتها على عاتقك ليست سهلة. سوف تحتاج الى الجرأة، ولدي حس باطني بأنك تملك منها الكثير."

أثار كلام ميتران مشاعر جان - لوك، فعاد بتفكيره متذكراً رحلته الطويلة. لقد كان جانحاً متشرداً تخلّى عنه والداه. وها هو رئيس فرنسا يكرمه اليوم. يا لغرابة الاقدار!

حياة تشرد. جان - لوك مغنّي روك تباع مئات الآلاف من أسطواناته سنوياً. وهو أمضى نحو سنتين مضيفاً في عرض تلفزيوني شعبي فرنسي رائج بعنوان "لاهاي دونور"[٢] كرّس معظمه لأعمال المنظمات الانسانية. وهو في عيون الجمهور شاب كريم الأخلاق الى حد أن استقامته المفرطة تجعله مملا أحياناً. لكنه بالنسبة الى جيل من المراهقين المعدَمين يمثل رمزاً للأمل. لقد صنع نجاحه بنفسه رافضاً الخسارة والاستسلام اللذين أثقلا كاهله ولم تكن له فيهما يد.

وطفولة جان - لوك تشبه فصلا من رواية "البؤساء." فقد وضع في وصاية الدولة وهو رضيع في شهره السادس. وفي السن السادسة أعيد لفترة قصيرة الى كنف والدته إيفيت العاملة الفقيرة في "باساج دو ليبارن"[٣] أحد أحقر شوارع باريس. وبعد ثلاثة أشهر، إثر شجار عنيف بين إيفيت وشركائها في المسكن، أعادته عاملة اجتماعية الى الميتم.

حاولت السلطات الحكومية ايجاد عائلة مناسبة تتبنى جان - لوك، لكن مساعيها خابت. وفي السنة ١٩٧٠ وحدها هرب الصبي من الميتم عشر مرّات. وفي السنّ الحادية عشرة، خلال مخيّم صيفي تقيمه السلطات الحكومية، سرق سيارة مدير المخيم وقادها الى أن سقطت في حفرة. وتخطى ذلك حدود احتمال مصلحة الانعاش الاجتماعي، فأعادته الى والدته في باساج دو ليبارن.

بات جان - لوك يقطن في وسط مكتظ بالمتسولين واللصوص ومدمني الكحول وتجار المخدرات. والتحق بزمرة من عصابات الشوارع، وزاول مهنة النشل التي بلغ بها الذروة بعد سنتين عندما سرق ساعة يد وأقراطاً من واجهة صائغ. فرتّب له ضابط محلي في الشرطة، كان صادقه، أمرَ نقله الى مأوى "دانفير - روشرو" في باريس.

على رغم اكتفائه المادي في المأوى، شعر جان - لوك بوحدة قاتلة. وكان

(٢) Lahaye d'Honneur

(٣) Passage de l'Epargne

يمضي نهاره مستمعاً الى الاغاني المفضلة لديه من راديو ترانزستور. وحفظ أغنيات المطربين أنطوان وجوني هاليداي وبدأ يقلّدهما. ومرة تسلل الى قاعة "الاولمبيا" حيث حضر حفلة موسيقية أحياها ميشال بولناريف. وافتتن بالاصوات والاضواء والمعدّات الفنية والجو المشحون، فصمم، وهو في عمر الثانية عشرة، على أن يصبح مغنياً.

أغنيات خائبة. عندما بلغ جان - لوك السادسة عشرة غادر حضن مصلحة الانعاش الاجتماعي طوعاً ليعود الى الشارع بعدما يئس معلّموه من تلقينه مهنة ما. وعاش في الأحياء الفقيرة القذرة وزاول أعمالا عرضية مختلفة. وكان في الامسيات يملأ دفاتره بكلمات الأغاني الشعبية، ويتطوع من وقت الى آخر كمغن بديل. وهو يتذكّر: "أنني لم أتعلّم مهنة، لذا تمسكت بأحلامي في أن أصبح مغنياً."

وفي الثامنة عشرة دبر له أحد أصدقائه عملا كنادل في ناد ليلي، وقال له صاحب النادي: "اذا أردت الغناء بعد الثالثة صباحاً فلا مانع لدي."

كان صوت جان - لوك جميلا وشكله حسناً. وفي الليلة الثالثة لفت انتباه صاحب مطعم مجاور يدعى جيرار بدرون، فقال له: "هذا ليس مكانك. سأساعدك في امتهان الغناء، وفي هذه الأثناء يمكنك أن تعمل لدي." وعملا بنصيحة بدرون، أرسل لاهاي أشرطة مسجّلة الى عدة شركات للاسطوانات.

لم تحظَ أغنيته المسجلة الاولى التي موّلها بدرون، باهتمام يذكر. فباع المنتج مجموعة البطاقات البريدية القديمة التي يملكها، لكي يمول تسجيل أغنيتين جديدتين، لكن حظهما لم يكن افضل من حظ الاغنية الاولى. وتساءل جان - لوك، وقد ثبطت همته، هل سيتسنى له النجاح يوماً.

ثم في مارس (آذار) ١٩٨٠ أوقفته الشرطة لركوبه دراجة نارية من دون خوذة. فمثل أما المدّعي العام مدركاً أنه في ورطة حقيقية بسبب حكم سابق مؤجل التنفيذ لارتكابه سرقة سيارة للمرة الثانية. وحدّق القاضي الى عيني جان - لوك وقال له: "اسمع يا لاهاي. إنّ الخيار يعود اليك. فإما ان تعد بتصرف حسن واما أن تذهب الى السجن." وفهم جان - لوك قصد القاضي. وهو يقول: "شيء ما في أسلوب ذلك القاضي أقنعني بأن لا مجال للعودة الى الحياة التي كنت أعيشها." والى ذلك كانت الفتاة أوريلي، وهي أيضاً من قدامى مشردي مأوى الانعاش الاجتماعي، دخلت حياته قبل بضعة أشهر. لذا قطع جان - لوك عهداً لقاضي المقاطعة ان يدير ظهره لماضيه نهائياً.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ اعطاه ميكاييل، وهو ناظم أغان التقاه قبل حين، لحناً لاغنية شعبية. فدندن جان - لوك الكلمات الاولى: "المرأة، المرأة التي أحبها..." ثم قال: "الإيقاع غير مناسب. إجعله أسرع." فوافقه ميكاييل وغيّر ايقاع اللحن. وقدم جان - لوك النسخة

المعدّلة الى بدرون الذي وافق على أن يكون المنتج للمرة الأخيرة.

ذهبيتان! في احدى أمسيات يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ كان مدير محطة «NRJ» الاذاعية في ملهى حيث يعمل صديق لجان - لوك منسقاً للاسطوانات والاشرطة الموسيقية. فسمع الاغنية وقرر أن يبثها على الهواء. فانهالت الاتصالات الهاتفية على المحطة من مستمعين معجبين. وبعد ستة أشهر بيع من الاسطوانة مليون نسخة واحتلت المرتبة الاولى على لائحة الاغاني الشعبية الرائجة.

ونمت ذخيرة جان - لوك بأغان كتبها له ميكاييل والملحن ألان لانتي. وفي العام ١٩٨٣ أطلق أسطوانته الكبيرة الاولى بعنوان "ادعني براندو"[٤] التي فازت أيضاً بجائزة "الاسطوانة الذهبية." ثم تألّق في الاولمبيا. وفي السنة التالية قدم عدة حفلات في أنحاء فرنسا. وبالمال الذي كسبه اشترى واحداً من أحب أحلامه، وهو بيت يخصه. ففي احدى جولاته الفنية في منطقة "فانديه" استهواه بيت قديم على شاطىء بحيرة فاشتراه.

ثم حلّت عليه سعادة أخرى. اذ أخبرته أوريلي انها تنتظر مولوداً. وليلة ٢٩ يونيو (حزيران) ١٩٨٤ وضعت طفلة سمياها مارغو. وكانت بهجة جان - لوك عارمة فلم يستطع النوم. والتقى بعض أصدقائه في مقهى صباح اليوم التالي، وأتاه الالهام فكتب أغنية "بابا المغنّي." وهي تهويدة لطفلة لن تعرف أبداً الوحدة التي يعانيها طفل تخلّى عنه والداه، وقد باتت أكبر نجاحاته.

ومع أن حلمه بالشهرة تحقق، فانه لم يشعر بالرضا التام. وفي أوائل ١٩٨٥ ألغى فجأة كل ارتباطاته وانصرف الى التفكير في أهداف حياته. وحضّه الناشر ميشال لافون على كتابة سيرته، وكان جان - لوك أخبره عن طفولته في المأوى. فاعتزل في منزله وأنجز الجزء الأول من "العائلات المئة" الذي يروي تفاصيل نشأته. وأنزل الكتاب الى الاسواق في ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ وبيع منه مليون ومئتا ألف نسخة خلال ١٢ شهراً.

دفء المنزل. فتحت الكتابة عيني جان - لوك، وهو يقول: "أدركت أن هناك أعمالا أهم من الغناء علي انجازها في الحياة. وفكرت في ألوف الأطفال التعساء الذين تخلّى عنهم والدوهم، مثلي. وشعرت أن علي واجباً تجاههم. فمن يتفهم حاجتهم الماسة الى الحب أكثر منّي؟"

وبعد أحاديث مطولة مع الصديق والمحامي المالي باتريك روكسل، ظهرت معالم مشروع جديد لانشاء سلسلة من الملاجىء تؤوي الصغار المفصولين موقتاً عن عائلاتهم. ويشرح جان - لوك عمله: "أردت أبداع مكان لا يؤمن حاجات الأطفال المادية فحسب، بل كذلك جداً ينعمون فيه بدفء المنزل."

وكانت الصعوبة الاساسية إيجاد

(٤) Call Me Brando

مكان مناسب للمأوى الأول. وفي أوائل ١٩٨٦ أطلق لاهاي نداءات في الاذاعات يطلب المساعدة لانجاز المشروع. وكان الاتصال الهاتفي من القصر الرئاسي أحد الردود على نداءاته.

كانت المدرسة القديمة التي قدّمها الرئيس فرنسوا ميتران تحتاج الى ورشة اصلاح شاملة. وطوال الصيف عمل جان - لوك وزوجته أوريلي وباتريك وزوجته مومو في كشط جدران البناء وتجصيصها وطليها. وجلبت النداءات الاذاعية التي أطلقتها مؤسسة "العائلات المئة" مئات المتطوّعين، اضافة الى هبات من مؤسسات الطلاء والسجاد وورق الجدران والاسرّة وأدوات المطابخ والحمامات. وتحوَّل البناء تدريجاً ملاذاً مشرقاً بهيجاً لخمسة وثلاثين ولداً. وفي ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ بات المركز جاهزاً. وفي احتفال مؤثر حضره جان - لوك وكلّ المتطوّعين، استقبلت المجموعة الاولى من الاولاد. ويذكر جان - لوك: "سرعان ما حلّت صيحات الفرح مكان الدموع، وشعرت أن البناء القديم استعاد علة وجوده."

منذ ذلك اليوم استقبل مركز "العائلات المئة" في كليشي أكثر من ٢٠٠ ولد. وما يميزه عن الملاجىء العادية، انفتاحه. فالوالدون يشجَّعون على زيارة أولادهم كلما اتيحت لهم الفرصة. وعندما يتأخرون عن الحضور تكتب اليهم المؤسسة أو تتصل بهم هاتفياً حاضّة إياهم على المجيء. ويقول جيرار سوريس مدير مأوى كليشي: "هدفنا ايقاظ حسّ المسؤولية لدى هؤلاء الوالدين. فنطلب منهم توقيع دفاتر علامات أولادهم واصطحابهم الى طبيب الاسنان أو الى صفّ الرقص. وهكذا نتمكن من مقابلة أولياء الاولاد، وكثيرون منهم يأتون الى الملجأ بانتظام."

"لاهاي دونور." بات على جان - لوك ايجاد طريقة للمحافظة على سير عمل المؤسسة ومتابعة مهنة الغناء في آن. وجاءه حل من معدّ البرامج التلفزيونية دومينيك كانتين الذي اقترح عليه تقديم برنامج تلفزيوني طويل. وبُثّ برنامج "أعطني يدك" حياً من مسرح "الأمبير" في باريس في ١٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦. وأطلق جان - لوك، وهو محاط بنجوم من عالم الفن، نداء طالباً فيه دعماً مالياً لتوسيع مؤسسته. وكان صادقاً وعاطفياً الى حد أنه جمع خلال السهرة نحو ٢٠ مليون فرنك فرنسي (نحو ٤ ملايين دولار). وانطلق روكسل، الذي عيّن رئيساً للمؤسسة، لمباشرة انشاء ملاجىء أخرى.

وبعد مرور بضعة أشهر على تقديم البرنامج التلفزيوني الخيري الطويل، اقترح كانتين عرضاً تلفزيونياً نصف شهري يكون جان - لوك مضيفه. وتردد لاهاي في القبول، ففي السن التاسعة والعشرين قد لا يملك خبرة كافية للاضطلاع بهذا النوع من المسؤولية، بل ربما عرض مهنته كلها للخطر. ولكن بعد مناقشة الامر مع زوجته قرّر أن يقبل التحدي.

وبث برنامج "لاهاي دونور" في مارس (آذار) ١٩٨٧. وكان المشاهدون، بين عرض ترفيهي وآخر، يعرّفون الى فاعلي خير وقيمين على أعمال انسانية وتطلب اليهم المساعدة في مساعيهم. وبفضل البرنامج تمكنت منظمات انسانية كثيرة من جمع تبرعات سخية. كما كان البرنامج، الذي توقف عرضه في صيف ١٩٨٨، مصدراً لتبرّعات قدّمت الى مؤسسة "العائلات المئة" وما زالت تتدفق عليها. وهي موّلت مخيماً صيفياً في "دوردون." وبالتعاون مع "تضامن فرنسا - البرازيل" موّلت المؤسسة مأوى للأولاد المشردين في ريو دي جانيرو. ولا يعتمد أي من هذه المشاريع على دعم مالي حكومي. وقد اشترت المؤسسة بناء بسبعة ملايين فرنك (نحو ١،٢ مليون دولار) في كليشي بدلا من المبنى الحالي.

اختبر جان - لوك لاهاي عدة أنماط من الحياة ولمّا يتجاوز الثلاثين. فهو نجم ساطع في عالم الروك ورجل اعمال، ومؤلف كتاب هو أحد الاعمال الأكثر رواجاً. ولكن عندما تسأله عن موضوع فخره الاكبر يجيبك: "عائلتي والمؤسسة، أما الباقي فعابر." وهذا ليس قليلا في صبي تخلّى عنه والداه.

كاترين غاليتزين ■

نصيحة طفلة

جف الحبر في قلمي فتقطع خطه ثم توقف كلياً عن الكتابة. فقالت لي طفلة الجيران التي تبلغ الرابعة من عمرها: "أبي أشعل عود ثقاب ووضعه تحت قلمه." أعجبتني الفكرة، فأشعلت عود ثقاب متسائلا لماذا لم يخطر لي استخدام هذه الطريقة القديمة. ولكن، وا أسفاه! أقلام الحبر الحديثة مصنوعة كلياً من البلاستيك. وما ان مس اللهب قلمي حتى سقط طرفه باعثاً رائحة حادة وناثراً رذاذاً من الحبر.

فقالت الصغيرة: "هذا تماماً ما حصل لقلم ابي."

ج.ن.

نخوة في محلها

دخل رجل متجراً للآلات الموسيقية لشراء كاتم يخفف صوت كمانه. وعندما عرف سعره قال انه ليس قادراً على دفع ثمنه، وغادر المتجر مسرعاً. وبعد أيام قليلة عاد وبدأ يعدّ الاوراق النقدية ثمن الكاتم. فبادره البائع: "ظننتك غير قادر على دفع ثمن الكاتم."

فأجابه عازف الكمان: "انا غير قادر على ذلك فعلا، لكن جيراني ساهموا في الدفع."

ا.س.

مأساة واقعية

ليلة "العصفور الأزرق"

استسلم الصياد وابنه للقدر
فيما المنقذون يصارعون الامواج

ILLUSTRATION: JEFFREY MANGIAT

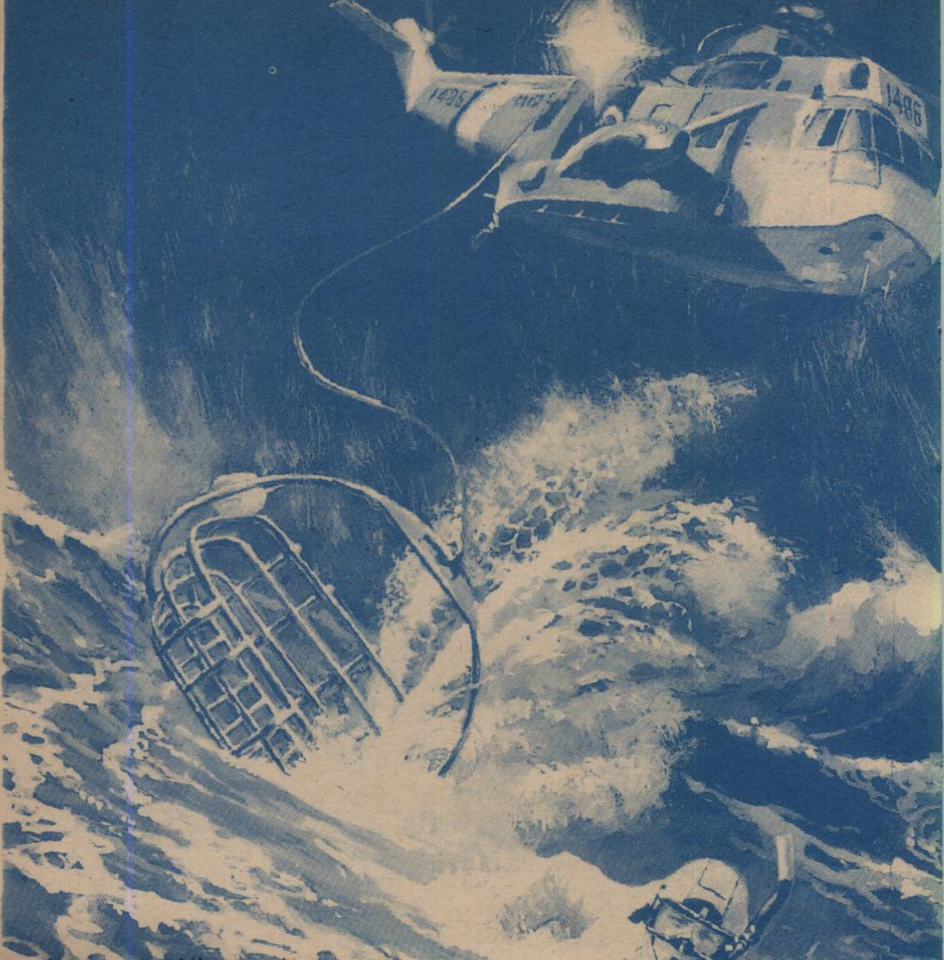

انبلج فجر العاشر من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ واضاء نوره المياه قبالة شاطىء بلدة سيتكا في ولاية الاسكا. وعلا صياح النسور ذات الرؤوس البيضاء من الجبال المكسوة باشجار الصنوبر والممتدة على طول الخط الساحلي.

وتوهج نور مصباح من نافذة بيت صغير عائم مستكين في جون ظليل، بينما ارتطمت الامواج برفق على جانبي زورق طوله ثمانية أمتار رسا بجانب البيت وما لبث نور الصباح الطالع أن كشف عبارة "العصفور الأزرق" مرسومة بأحرف أنيقة على مؤخر الزورق.

سأل جيم بليدز ابنه كلنت: "هل نصطاد في منطقة الرأس اليوم يا بني؟"

وكان كلنت نوتيا بارعاً مع انه لم يتجاوز السن السادسة، فوافق أباه بايماءة من رأسه ملؤها حماسة وتلهّف.

يقع رأس إدجكومب على طرف جزيرة كروزوف ويعج بسمك السلمون، لكن عيبه الوحيد أنه غير محميّ من البحر. ففي ما عدا جزيرة سانت لازاريا الصغيرة، لا يفصل بينه وبين اليابان سوى مياه المحيط.

قبّل جيم زوجته جيل مودعاً وذكّرها بأن تُبقي جهاز الاتصال اللاسلكي البحري على القناة ٧٠ كي يتسنى لهما الاتصال الدائم. ووقفت جيل على شرفة البيت العائم تراقب "العصفور الازرق" يهدر مبتعداً عن الجون.

كانت جيل دائمة القلق حيال سلامة عائلتها. ومع ذلك، فهي وزوجها جيم لم يكونا ليفضلا اي شيء على كسب عيشهما من البحر. فمنذ صباح ذلك الأحد، عندما التقيا في وايومنغ قبل سنوات، وهما يحلمان بألاسكا. وقد أنعم عليهما الله بولدين رائعين.

ارتجفت جيل برداً في الهواء الجليدي، فجمعت ملء ذراعيها حطباً وهرعت الى الداخل لتوقظ ابنها كيرت البالغ الثالثة من عمره.

"اننا نغرق!" في منطقة الرأس، بعد ظهر ذلك اليوم، ارتفع موج المحيط على نحو غير مألوف. وراح الزورق يعلو مع كل موجة وافدة، فيرى جيم وكلنت اليابسة، ثم يهبط فترتفع المياه حولهما كالجدران.

بيد أن جيم وكلنت اعتادا الصيد في مثل تلك الظروف. ولأن موسم صيد سمك السلمون شارف الانتهاء مع فصل الصيف الذي لم يبق منه سوى ٢٣ يوماً، فلم يسعهما أن ينتظرا طقساً أفضل. والى ذلك كان الصيد وفيراً. ومع حلول الساعة الثانية بعد الظهر كانا اصطادا عشر سمكات كبيرة يقدّر ثمنها بـ٧٥٠ دولاراً وزنة الواحدة منها نحو تسعة كيلوغرامات.

في اللحظة التي قرر جيم العودة، أطربه رنين الاجراس المعلقة في أطراف صنارة الصيد إذ حمل له الأمل في كسب مئات أخرى من الدولارات. فأرخى الصنارة ثم راح يتصارع مع بضع سمكات حتى رفعها الى متن الزورق. أما كلنت الذي أصابه دوار البحر، فاستلقى في قمرة الزورق.

نظر جيم حوله ولاحظ أن زوارق الصيد الاخرى غادرت المكان ولم يبق الا واحد. وعلم ان الظلام سيدركه قبل أن يتمكن من قطع مسافة العشرين كيلومتراً الى سيتكا. ولأن "العصفور الأزرق" لم يكن مزوداً رادارا، قرر جيم أن يرسيه وراء جزيرة سانت لازاريا. واتصل بزوجته لاسلكياً ليعلمها بقراره فقالت له مضطربة: "اسمعني يا جيم، أنا لست مطمئنة الى هذه الفكرة." وهي علمت أن اقتراحه سيضطره الى العمل طوال الليل في اعادة تركيز المرساة كي لا ينجرف الزورق ويرتطم بالصخور المميتة في الجزيرة. لكنها علمت أيضاً أنها لم تكن المرة الاولى يمضي الليل هكذا.

أدار جيم الجهاز اللاسلكي الى القناة

الخاصة بنشرات الاحوال الجوية واستمع الى التقرير ذاته تُعاد تلاوته. ولم تكن النشرة الجديدة متوقعة قبل الثالثة صباحاً، لذلك اعاد تحويل الجهاز الى القناة ٧٠.

ولو أبقى الجهاز مضبوطاً على القناة الخاصة بالاحوال الجوية لاستمع الى نشرة الطوارىء التي أذيعت في الساعة ٦،٥٧ مساء محذرة من "عاصفة متوقعة، وازدياد في سرعة الرياح الغربية وصولا الى ٤٠ عقدة (نحو ٧٥ كيلومتراً في الساعة) خلال الليل، وارتفاع موج البحر ستة أمتار."

في وقت لاحق وقف جيم في عنبر الزورق يزيل الجليد العالق على السمك. وشعر فجأة بعصفة ريح عنيفة أدارت الزورق، فانتقل فكره الى ابنه في حجرة الدفة، فهرع اليه وقال له: "ارتدِ بذلة النجاة." أطاع كلنت الامر من دون أن يتملكه ذعر، ثم اعاده والده الى السرير المثبت في جدار الزورق.

من مزايا بذلة النجاة المصنوعة من مطاط اسفنجي برتقالي أنها تغطي الجسم كله وتحفظ حرارته وتبقي الشخص عائماً. ومن دونها، فان مياه المحيط التي تتدنى حرارتها الى أربع درجات مئوية قد تسبب الوفاة في أقل من نصف ساعة.

أدار جيم محرّك الزورق وهو يعمل على الديزل وقوته ٣٥ حصاناً، وسلّط الضوء الكاشف على المياه فرأى أمواجاً عاتية ترتفع ستة أمتار وتتحطم على جرف مثلّم يبعد حوالى ٢٠ متراً. ففكّر في انهما اذا اصطدما بذلك الصخر تمزّقا إرباً.

زاد جيم سرعة المحرّك ورفع المرساة. وكانت الريح تصفر في اذنيه والثلج المتطاير يلسع عينيه. وبلغ سوء الرؤية حداً لم يعد يرى معه أبعد من مترين، حتى في الضوء الكاشف.

ثم وقع المحظور، إذ انقضت على "العصفور الازرق" موجة عاتية حملته وارتفعت به. وبعد هنيهة خالها جيم دهراً، شعر بقاع الزورق ينفصل عن الهيكل، وصمّ أذنيه دوي طاحن يشبه صوت مطرقة ثقيلة تنهال ضرباً وسحقاً. فشغّل ناقل الحركة الارتدادي لكي يبعد الزورق عن الصخور، وقلبه يخفق بعنف.

مرة أُخرى، رفعت الزورق موجة عالية، وأرتجّ الخشب اذ ارتطم الزورق بالصخور. فحوّل جيم الجهاز اللاسلكي الى القناة ١٦ التي يشرف عليها خفر السواحل وراح يصرخ مستغيثاً: "النجدة! النجدة! النجدة! النجدة! هنا زورق الصيد العصفور الازرق. لقد ارتطمنا بصخور سانت لازاريا. اننا نغرق!"

جنح الزورق الى اليمين ثم الى اليسار، وتطايرت أدوات المطبخ من الخزائن في غرفة الدفة، ودوى صوت صفارة الخطر منذراً بامتلاء جوف المركب بالماء.

مهمة شاقة. كانت جيل بليدز تقرأ في علّية المنزل العائم عندما عصفت به ريح شديدة وتكسّرت على جدرانه أمواج عاتية بلغ ارتفاعها متراً ونصف متر. فقالت في

نفسها: يا إلهي! ماذا حلّ بجيم؟ ثم هرعت الى الجهاز اللاسلكي ونادت: "العصفور الازرق؟ العصفور الأزرق!"

وعندما لم تتلق جواباً تحوّلت الى قناة خفر السواحل، فسمعت صوت جيم يقول بصوت هادىء: "لست متأكداً من موقعي."

فاستنتجت أنه ضلّ طريقه. وما لبثت ان سمعت صوتاً يسأله: "كيف السبيل للاتصال بزوجتك؟" فقاطعته جيل: "هنا قاعدة العصفور الأزرق. بالله عليك يا جيم، توخَّ الحذر!"

وعلى الأثر اتصلت بصديقي العائلة بن ولورا هوبارد اللذين عمما الخبر بدورهما على الاصدقاء، فحوَّل هؤلاء اجهزتهم اللاسلكية لاستقبال القناة ١٦.

في المحطة الجوية في سيتكا أجفل خفير السواحل المنقذ السبّاح جيفري تنكس، اذ انطلقت صفارة الانذار فجأة وسمع صوتاً عبر نظام الاتصال الداخلي يعلن: "هناك زورق مشرف على الغرق قرب صخور لازاريا."

صُعق تنكس عندما رأى من النافذة جورب الهواء* يطير مع الريح في اتجاه معاكس، وقطرات المطر تنهمر على المبنى كأنها حصى. ارتدى بذلة الغطس وتناول زعنفتيه ومنظاره وأنبوب التنفس تحت الماء، وجرى الى الطوافة التي حملت الرقم ١٤٨٦. وخلال دقائق كان الرائد البحري جون ويدون، وهو طيار متمرس أمضى ١٣ سنة في الخدمة، يشد حزام الامان حول جسده ويجلس متأهباً والى جانبه مساعده الملازم الأول غريغ بريثويت. وجلس وراءهما قرب الباب المفتوح رقيب الآليات الجوية كارل سايلور، وكانت مهمته تشغيل رافعة الانقاذ. وتولى فني الالكترونيات في سلاح الجو مارك ميلن مهمة الاتصالات اللاسلكية بالمحطة الجوية.

اما تنكس فجلس وراء الجميع منتظراً إقلاع الطوافة. كانت شفرات المروحة تهتز وتترجح في الهواء كالالواح التي يقفز عنها الغطاسون. وفكر في أن المهمة ستكون شاقة ومعقدة.

الطوافة في خطر. بدأ مؤخر "العصفور الازرق" يغوص تدريجاً في الماء، وكانت الامواج تتكسر على ظهره. وفي حجرة الدفة المترنحة نظر جيم الى وجه كلنت الذي لفته بذلة النجاة، فلم يصدّق ما رأت عيناه: الفتى يغط في نوم عميق.

علا في الجو صوت يقول: "العصفور الأزرق! هنا طوافة الانقاذ ١٤٨٦ من خفر السواحل. هل تسمعني؟"

وكان طاقم الطوافة يبحث عن الزورق وسط ظلام دامس بينما الطوافة تتمايل وتهتز في الرياح العاتية والثلج يسقط على علو ٢٥٠ متراً فوق الماء.

شعر جيم بالدم يغلي في جسده إذ أدرك ان الطوافة قد تصطدم بهوائي جهازه اللاسلكي. فظل يصرخ حاملاً المذياع في احدى يديه والضوء الكاشف في يده الاخرى يلوّح به نحو السماء.

(*) كيس مخروطي الشكل مفتوح من الجانبين. ومعلّق على سارية للاشارة الى اتجاه الريح.

هتف الميكانيكي سايلور عبر سماعات الرأس: "يا كابتن، هنا الميكانيكي سايلور. اني أرى وميض ضوء كشاف." وإذ كان "العصفور الازرق" في تلك اللحظة راكباً ذروة موجة مزبدة، شاهد ربان الطوافة ومعاونه بقعة بيضاء. فنادى بريثوبت: "لقد رأيناك. سوف نكون عندك خلال دقيقتين."

بدأ ويدون هبوطاً دائرياً في اتجاه معاكس للريح. وعندما استوت الطوافة في اتجاه "العصفور الأزرق" كان الزورق اختفى.

تفحّص ويدون وبريثوبت آلاتهما فتبين لهما أن هبة ريح جارفة عصفت بالطوافة وأبعدتها حوالى ١٠ كيلومترات من دون أن يتنبّها الى ذلك، فتبادل الاثنان نظرات مشدوهة.

أما في الزورق تحت، فاجتاحت موجة عملاقة حجرة الدفة قاذفة كلنت ومغرقة المكان بالمياه. فتبلل جيم حتى وسطه وراح يصرخ في الجهاز: "أسرعوا! الزورق يمتلىء ماء، إننا نغرق!"

ذعرت جيل لدى سماعها الاستغاثة على الجهاز اللاسلكي في المنزل العائم. فهي لم تكن تدري أن "العصفور الأزرق" يغرق. وللحظة سيطرت على مخيلتها صورة مخيفة لولدها يتخبط في الماء ويضرب الهواء بذراعيه كي يبقى عائماً. فصلّت بصمت: "أتوسل اليك يا الهي أن تحفظه فهو ما زال طفلا."

بعد جهد وكفاح مرير تمكن أفراد الطاقم من العودة بالطوافة الى مسرح الاحداث. وسلطوا أضواءهم الغامرة على الزورق فرأوا مياه البحر حوله خضراء تنذر بشر عظيم، وتتسابق فوقها أمواج مزبدة يزيد ارتفاعها على ثمانية أمتار تنهال على جانب الزورق فينهار عاجزاً ازاءها. وما ان لمح ويدون شخصاً متشبثاً بحبال الاشرعة والصواري حتى عصفت بالطوافة ريح عنيفة دفعتها نزولا والى الوراء وأفقدت الطاقم السيطرة عليها. وإذ شاهد سايلور المحيط يقترب وهو جالس قرب الباب المفتوح حاملا سلة الانقاذ، صرخ بذعر شديد: "ارتفع! ارتفع! ارتفع! ارتفع!"

بعد الارتفاع حاول ويدون وبريثوبت دفع الطوافة بأقصى قدرتها، إلا أن أضواء "العصفور الأزرق" ما فتئت تتلاشى امام أعين أفراد الطاقم وكأنهم يراقبونها من النافذة الخلفية لسيارة مسرعة.

فجأة، لاحظ ويدون أن مؤشر طوق التدوير في الطوافة المرتعدة ارتفع الى ١٢٣ في المئة، وهي الدرجة التي يتعطل معها جهاز نقل الحركة الذي يصل المحرك بالشفرات. ولكن إن هو حاول تخفيف سرعة الطوافة بواسطة المخنق، فهي ستتحطم لامحالة.

تابع الطياران محاولتهما دفع الطوافة الى أقصى حدود قدرتها، ومع ذلك ظلّت تندفع الى الخلف وكأنها طائرة من ورق في مهب الريح، فظن كلاهما أن لا سبيل الى النجاة.

وفي الزورق تحتهم أوثق جيم رباط بذلة نجاة كلنت برباط بذلته التي ابقاها السحاب مغلقة حتى أسفل صدره فقط.

ثم أدخل ذراعي ابنه في الجزء الأعلى وغطى رأسه بالقلنسوة. الا انه شعر باحباط عندما عجز عن اغلاق السحّاب كله. فهو هكذا لن يكون محمياً.

قرار خطير. اخيراً حالف الحظ خفر السواحل إذ خفّت الرياح المعاكسة الضارية موقتاً، وعادت الطوافة تحلّق في اتجاه الزورق على رغم هبّات ريح متقطعة.

لكن مشكلة من نوع آخر واجهت افراد الطاقم، اذ لم يستطيعوا تبين فتحة بين الصاري وحباله والمقصورة، تتسع لتمرير سلة الانقاذ. فتناول بريثوبت المذياع وقال: العصفور الأزرق! يجب أن تغادر الزورق." فلا سبيل للنجاة سوى القفز الى ذلك الخضم الهائج.

حمل جيم ابنه الى مؤخر الزورق وجلس على السياج مولياً ظهره البحر. ثمّ ضم ابنه الى صدره ورفع ركبتيه وارتمى الى الخلف.

وللحال ابتلعتهما موجة عاتية علوها ثمانية أمتار، وتدفقت المياه الفائقة البرودة عبر الفتحة في بذلة جيم فاصطكت أسنانه بعنف وانبهرت أنفاسه.

حاول جيم عبثاً أن يسبح مبتعداً عن الزورق إذ ظلت الامواج العاتية تجرفهما نحوه حيث لا مجال لوصول سلة الانقاذ. وأخيراً سنحت فرصة لافراد الطاقم إذ ارتفع مقدم الزورق عمودياً وانزلق "العصفور الأزرق" الى القعر حيث رأى ويدون أضواءه الكاشفة على عمق ثمانية امتار تحت سطح الماء.

أنزل سايلور السلة، إلا أن موجة عاتية قلبتها قبل أن تصل اليهما. وهو أعاد الكرة مراراً من دون جدوى، إما بسبب الامواج وإما بسبب الريح الهائجة التي ما فتئت تبعد الطوافة. وفي إحدى المرات اقتربت السلة من جيم لكنه لم يستطع امساكها.

وتناهى الى تنكس، عبر سماعتي الرأس، صوت ربّان الطوّافة يقول له متردداً: "جيف، لن نتمكن من انجاز مهمة الانقاذ ما لم ننزلك الى البحر. هل تريد ذلك؟"

تسارعت نبضات قلب تنكس، فهو أدرك تماماً أنه لم يسبق لأي من سبّاحي الانقاذ أن أُنزل الى بحر في مثل ذلك الهيجان. وفيما هو يحدّق الى البحار البائس الذي رآه في الضوء الغامر يعلو ويهبط وسط المحيط الغاضب، كان رذاذ المطر المتجمد يجلد وجهه. وقال في فكره: "ما داموا عاجزين عن انزال سلة اليه، فكيف يخرجونني أنا من الماء؟"

كان القرار عائداً اليه، فالقفز في ذلك المحيط عمل انتحاري، ولكن هل سيتمكن من العيش مطمئن الضمير ان هو لم يفعل ذلك؟

أخذ نفساً عميقاً وأجاب: "فلنحاول."

"لقد قتلته!" شعر تنكس بالرباط يضغط تحت ابطيه وهو ينزل نحو بذلة النجاة الطافية تحت زعنفتيه. وفجأة هبّت ريح أبعدت الطوافة. وما ان انزلق تنكس من رباطه حتى ابتلعته الامواج. وعندما ارتفع الى سطح الماء ارتعب اذ لم يكن

يدري في أي اتجاه يسبح.

فوقه مباشرة، قوّم ويدون الموقف بسرعة وكان تنكس شاخصاً بنظره الى الطوافة وبينه وبين الضحيتين البائستين ٧٠ متراً.

وجّه الربّان تعليمات الى سايلور بإلاّ تفارق عيناه تنكس. أما هو فسلط أنواره الكاشفة على بليدز. وعلى الفور، فهم تنكس قصده فسبح في اتجاه الضوء بكلّ ما أوتي من قوّة. وبعد كفاح مرير ضد أمواج الجبال شاهد شيئاً فضياً يلمع: انه شريط عاكس للضوء ألصق على بذلة نجاة. فتابع السباحة حتى وصل الى وراء جيم بليدز مباشرة. وعندما أداره، وجد نفسه يحدّق في عيني طفل متسعتين، فصعق وانتقل بفكره الى ابنه الصغير مما زاد اصراره على انقاذهما. وهو قال لهما مطمئناً: "لا تقلقا، اننا معتادون هذه الاعمال."

أنزل سايلور السلة مرة أخرى. لكن الريح العاصفة أبعدت الطوافة من جديد، وقذفت الامواج الهادرة السلة بعيداً.

بعد نصف ساعة من المحاولات اليائسة التي كادت تودي بحياة جميع افراد فريق الانقاذ، فكّر ويدون بالتخلي عن العملية، فاستمرار المحاولات قد يودي بحياة سبعة اشخاص. وسأل رفيقيه: "ما رأيكما لو انزلنا اليهم قارب نجاة ينقلهم الى اليابسة؟" وعندما لم يجبه أحد، قال: "لا بأس، فلنحاول مرة أخيرة."

خفّت الريح قليلا فتمكن تنكس من الامساك بالسلة، ودفع جيم وكلنت داخلها. ثم أشار الى سايلور لكي يرفعها. كان بوده أن يتسلّقها هو أيضاً، لكنه اندفع مبتعداً فالرافعة لا تقوى على حمل أكثر من ٢٧٠ كيلوغراماً، وبذلة جيم ممتلئة بالمياه.

رفع سايلور جيم بليدز وابنه الى الطوافة فارتميا على أرضها التي بللتها المياه المنسابة من بذلتيهما.

أنزل سايلور السلة تكراراً، وما ان تمكن تنكس من الصعود اليها حتى هبّت ريح هوجاء ادارت الطوّافة. فنظر ويدون وبريثوبت هلعين من وراء الحاجب الزجاجي ورأيا السلة وفيها تنكس تتقاذفها أمواج عاتية. وكان كل ارتطام لها بالماء يعقبه انفجار قوي أبيض فتهتز الطوافة. فصرخ سايلور: "اي الهي!" اما ويدون فردد بصمت: "لقد قتلته!"

أخيراً تحررت سلة الانقاذ من الامواج، لكنها ظلت تترجح بعنف، ولم يتمكن ميلن وسايلور من رفعها مرة واحدة من دون أن يضرباها بأسفل الطوافة. وهما تشبثا بالحبل محاولين ايقاف تدويمها الى ان سحباها داخل الطوفة.

تدحرج تنكس من السلة. ولفرط ما أصابه من دوار ظل عاجزاً عن الحركة. وبعد بضع دقائق رفع رأسه قليلا، ورأى جيم وابنه جالسين بالقرب منه، فرسم لهما بأصابعه اشارة النصر، التي بادلاه بمثلها وقد افترّ ثغراهما عن ابتسامتين عريضتين. فالكابوس ولّى الى غير رجعة.

نال أفراد طاقم الطوافة ١٤٨٦ أوسمة رفيعة تقديراً للبسالة التي ابدوها. ومنحتهم "جمعية الطيران البحري" لقب

"أفضل طاقم طوافة" لتلك السنة. كما فازوا بجائزة "المؤسسة الامريكية لخفر السواحل" ومنحوا "وسام ألاسكا" و"وسام الطيران المميز"، وهذا هو ارفع جائزة للطيران غير الحربي يمكن أن ينالها خفر السواحل. وكان تنكس أحد الفائزين بـ"جائزة الاميرال تشستر ر. بندر" التي تمنحها مؤسسة خفر السواحل.

يقول ويدون: "الحقيقة أننا تجاوزنا حدود قدرتنا، فأنا بذلت كل ما اكتسبته من مهارة، كما اننا استنفدنا حظّنا. لكن الأمر تطلّب أكثر من ذلك، ومع أنني لست واعظاً، فلا بدَّ لي من أن أشير الى الصلوات التي رفعت من أجلنا. لقد نلنا الجوائز، لكنّ الفضل في نجاحنا يعود الى الله."

آلن سيكورا ■

"أوريغامي"

أدرّس اللغة الانكليزية للاجانب. وبحكم عملي، ألتقي أولاداً من حضارات مختلفة. ومن تلاميذي فتاة يابانية في الثامنة من عمرها بارعة في فن الـ"أوريغامي" الذي يعتمد طيّ الورق. فسألتها، وقد أدهشتني موهبتها، كيف اكتسبت الأساليب الفنّية المدهشة تلك. ثمّ استرسلت في الخيال، فتصورتها طفلة في اليابان تجلس في حضن جدّها العجوز وهو يلقنها فنّاً تناقلته الأجيال اليابانية منذ القدم. وكم كانت دهشتي عندما أجابتني: "لقد تعلمتها من كتاب استعرته من مكتبة المدرسة."

ج.ك.

نصيحة سياحية

كنت مسافرة برفقة أختي وصديقتنا في رحلة طويلة الى أوروبا. فرافقنا والدانا الى المطار لوداعنا. وكانت الرحلة بالنسبة الينا مغامرة حقيقية، فلا أقارب لنا في أوروبا ولا أصدقاء، وسنتكل على أنفسنا ونتعرف الى أناس جدد كل يوم. وإذ دنا موعد اقلاع الطائرة ودَّعنا والدانا وتوجها الى المخرج. ولم تنفك أمي عن الالتفات الينا محاولة التفكير في نصيحة أخيرة تسديها. وفجأة انفرجت أساريرها وصاحت عبر البهو: "اياكنّ والحديث مع غرباء!"

م.ل.هـ.

عريس في البيت

بعد مرور أسبوع على زواجنا تأخر عريسي ساعة عن موعد رجوعه من عمله. فشعرت بقلق تحوّل غضباً بعد وصوله. لكنني لم أستطع تمالك نفسي عن الابتسام عندما شرح لي بحياء أنه نسي أنه متزوّج، فعاد الى "البيت" لتناول طعام العشاء مع والديه.

ن.ا.

الغجر السويسريّون: مأساة جوّالة

فشل محاولات القضاء على أقلية منبوذة

ليس سهلا أن تترعرع كغجري في سويسرا. وبالنسبة الى مارييلا مير (٤٢ عاماً) كان الأمر كابوساً مروعاً. ففي العام ١٩٤٧ حاولت أمها قتلها وهي طفلة ليأسها من المستقبل الذي ينتظر غجرية. اذذاك تدخلت مؤسسة خيرية للاطفال تدعى "برو جوفانتوت"[١] وآوتها في منزل لدى أسرة تربيها. غير أن مارييلا أُخضعت في عامها الخامس لعلاج بالصدمات الكهربائية، ونقلت بعد ذلك الى منزل آخر ثم آخر.

وعلى رغم حبها للقراءة وتفوقها في المدرسة اتُهمت بصعوبة المراس، ونقلت الى عيادة للعلاج النفسي وهي في التاسعة من عمرها حيث عولجت مجدداً بالصدمات الكهربائية ثم أودعت منزلا جديداً لدى أسرة أخرى.

وفي العاشرة من عمرها علمت مارييلا أن لها أماً. لكن مسؤولا في مؤسسة "برو جوفانتوت" قال لها: "لا تذكري اسم أمك أبداً! فهي فاسقة وأبوك رجل محتال!"

وعندما بلغت الثانية عشرة تلقت رسالة من والدتها. اذذاك شعرت مارييلا برغبة جامحة في رؤيتها، فسرقت ١٠٠ فرنك من المدرسة وحاولت شراء بطاقة قطار. لكن شرطياً قبض عليها وأحالها على اصلاحية. فاحتجت: "لا أدري لماذا تقولون دائماً انني مجرمة. جل ما أريده هو رؤية أمي."

وبعد وضعها بضعة أشهر في سجن انفرادي أُحيلت على عيادة للعلاج النفسي ووضعت قيد المراقبة. وأخضعت لمزيد من جلسات التقويم والعلاج بالصدمات الكهربائية.

وحين بلغت مارييلا العشرين من عمرها وغدت طليقة من تحكم مؤسسة "برو جوفانتوت" كانت مكثت في ١٦ منزلا مختلفاً وترددت على خمس عيادات نفسية وثلاث اصلاحيات وسجن واحد.

لقد قاسى مئات الاولاد في سويسرا مآسي مماثلة كجزء من خطة سرية للقضاء على نمط حياة أقلية منبوذة هي جماعة الجانيش[٢] المعروفة غالباً بالغجر. وقد نَفّذت هذه الخطة – المعروفة

---

(١) Pro Juventute

(٢) Jenische

باسم "مشروع الاحسان الى الاولاد الرحَّل" – مؤسسة "برو جوفانتوت" التي تحظى بدعم حكومي وهي من أكثر المؤسسات الخاصة احتراماً في سويسرا.

والمروع أن هذا البرنامج الذي ساعد في تنفيذه رجال شرطة وسلطات محلية، استمر حتى العام ١٩٧٣.

أقلية منبوذة. بدأت سويسرا حملتها المناهضة للغجر عام ١٩٢٦ عندما تورطت عائلة غجرية في كانتون تيتشينو في نزاع مع السلطات التي اتهمتها باهمال أطفالها. وتفجَّر نزاع آخر في بال عندما أرادت عائلة غجرية سحب أولادها من المدرسة للمشاركة في رحلة القافلة السنوية. حينذاك طلب قاضٍ اتحادي من مؤسسة "برو جوفانتوت" وضع الأولاد في منزل لدى أسرة ترعاهم. وكان ألفرد سيغفريد، وهو أستاذ سابق ومسؤول قديم العهد في "برو جوفانتوت"، تبرع بالعناية بأي طفل غجري يحال على منظمة الأطفال هذه. وسرعان ما بنى سيغفريد امبراطورية بيروقراطية بعدما أولى هذه المهمة عنايته الفائقة.

بدت نية سيغفريد في مساعدة الأطفال على النمو في "ظروف منتظمة" حسنة من حيث المبدأ. لكنه كان متعصباً آمن بأن التشرد "مرض" وأن الغجر شعب متحدر من عرق دونيّ. ورأى أن السبيل الوحيد لازالة هذه "اللطخة" عن وجه المجتمع السويسري هو في ابعاد أطفال الغجر عن والديهم واعطائهم هويات جديدة وجعل رجوعهم الى أصولهم أمراً مستحيلا. قال: "على من يريد مكافحة التشرد ازالة مجتمعات الشعوب الجوالة وتشتيت العائلات اذا لزم الامر. ليس هناك من سبيل آخر."

يقول فريدي فاسلر أمين سر "ناشيت جانيش" وهي منظمة مناصرة للغجر: "لقد قضى هتلر على ٤٠٠ ألف غجري، لكن سويسرا حاولت القضاء على أقلية منبوذة من طريق الدمج الاكراهي لاطفالها في المجتمع."

أم ملوَّعة. آنا روش (٦٥ عاماً) غجرية تعيش على مقربة من بال انتُزع منها خمسة من أطفالها. حُرمت عام ١٩٤٩ رعاية ابنتها (٣ أعوام) وابنها (عام واحد) عندما مرضت واضطرت الى دخول المستشفى. وكان زوجها تعرض لحادث أقعده عن رعاية الطفلين، فأودعتهما موقتاً أقارب لها. تدخلت "برو جوفانتوت" وأخذت الطفلين رافضة الكشف عن مكانهما.

وبعد بحث دام عدة أشهر اهتدت آنا الى ولديها في بيت للاطفال في بلدة شير. وسُمح لها برؤية ابنتها، لكنها لم ترَ ابنها الذي قيل لها انه نائم ولا يمكن ازعاجه. وبعد مدة تلقت رسالة أنبأتها أن ابنها قد مات. قالت: "لم أقوَ على زيارة قبره الصغير كي لا يتحطم قلبي."

وبحجة او بأخرى سُلبت آنا روش

أطفالها الثلاثة الآخرين. ومع خسارة كل طفل كانت تشعر بيأس متعاظم. قالت: "حتى الحيوانات تدافع عن صغارها أما نحن الغجر فلا يسمح لنا بذلك."

لم تكف آنا عن البحث عن أطفالها. ولكن عندما وجدت ابنة لها بعد سنوات، رفضت هذه رؤيتها. ومع ذلك تقدمت بشكوى لاستعادة رعاية أولادها، غير أن المحاكم أسقطت دعواها.

وفي العام ١٩٧١ قررت آنا إخبار الصحافة بقصتها. فأتصلت بهانس كابريه مراسل صحيفة "بيوباكتر." لم يصدق كابريه روايتها بادىء الأمر، فقصد حيّها وتحدث الى جيرانها ومعارفها الذين أكدوا له أن آنا تتصف بأخلاق رفيعة وهي أهل للمسؤولية. كما أكدت له القابلة التي حضرت ولادة أطفالها: "لا أجد كلاماً يفيها حقها كأم."

تشتيت عائلات. تابع كابريه تحرياته. وتحدث الى مسؤولين وأناس آخرين عرفوا آنا، فاكتشف أنها تقول الحقيقة. وروى له غجر آخرون قصص رعب حقيقية. من ذلك قصة روبرت هوبر تاجر التحف الناجح ورئيس المنظمة الغجرية "راجنوسنشافت در لاندستراس" الذي انتُزع من عائلته وهو في الثالثة من عمره وقضى السنوات التالية وهو يُنقل من منزل الى آخر، الى أن أُدخل السجن وهو في السادسة عشرة من عمره. وعلى رغم براءته لم يخلَ سبيله حتى بلغ التاسعة عشرة. قال: "في معظم المنازل والمزارع التي أرسلت اليها مع أولاد في مثل وضعي، لم يُنظر إلينا الا كأيدٍ عاملة رخيصة."

كذلك انتُزع كليمنس ج. من منزل والديه وهو في الرابعة من عمره. مكث فترة قصيرة في أحد المنازل، ثم وُضع في منزل مزارع حيث كان يُضرب بقسوة. وما لبث أن نُقل الى منزل آخر، ولمّا فرَّ منه حوِّل الى اصلاحية. وعندما بلغ التاسعة عشرة التقى مصادفة شقيقته أنيتا التي انتُزعت هي أيضاً من والديها اضافة الى ثلاثة اخوة آخرين. فما كان من "برو جوفانتوت" إلا أن أرسلتها الى السجن، لا لسبب ظاهر إلا لأنها وجدت شقيقها. ومضى كليمنس يبحث عن والديه لسنوات، وعندما وجدهما كانا مطلقين.

وبعدما جمع كابريه قصصاً مماثلة أولى اهتمامه مؤسسة "برو جوفانتوت" حيث كشف عن عملية للقضاء على نمط الحياة الغجرية. قال: "اقتنعت بأن الهدف من هذه العملية هو القضاء على حياة الغجر بتشتيت عائلاتهم."

وعندما طلب كابريه تفسيراً من "برو جوفانتوت" تلقى جواباً لم يرضه. وبعد سنة من الأبحاث نشر كابريه روايته في ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٧٢. وفي مارس (آذار) ١٩٧٣ أعلنت "برو جوفانتوت" وقف "مشروع الاحسان الى الاولاد الرحَّل." وكان سيغفريد توفي قبيل ذلك

غير آسف على ما أتاه من أعمال.

غير أن "برو جوفانتوت" مضت في وضع سد منيع في وجه الصحافة آملة نسيان هذه القصة المؤسفة. ولم يتغير موقفها الا عام ١٩٧٩ عندما عُيِّن فرنر ستوفاشر أميناً عاماً للمؤسسة، اذ أعلن أنه بعد كشف ملفات سيغفريد أصيب بصدمة. قال في اجتماع لمجلس الأمناء وهو يقرأ مقتطفات من رسائل الاطفال الى أهلهم: "أكاد لا أصدق كم عانى هؤلاء الأطفال. لقد كتب أحدهم رسالة الى أهله جاء فيها: أكتبوا الي وإن مرة واحدة لاعلم أنكم ما زلتم أحياء. لكن الرسائل لم تصل لأنها لم ترسل أبداً."

ترميم الماضي. عانى الغجر مشاكل كثيرة مذ غادروا الهند عام ٨٠٠. وهم قبائل رُحَّل اقتبسوا لغتهم "الرومانية" من الهندية وعاشوا في عربات تجرها الخيول. وكانوا يحطون الرحال حيثما يجدون مكاناً يناسبهم، ويكسبون قوتهم من عملهم في الحدادة والسمكرة والتجارة وقراءة البخت والتسول. وصلوا الى أوروبا في عصر النهضة، فقوبلوا بالعداء والريبة لأنهم كانوا عديمي الجذور وذوي حضارة مختلفة وبشرة دكناء.

لم تتقبل سويسرا، الحريصة على النظام والنظافة والانضباط، الشعب الغجري المنطوي على ذاته والضارب ترحالا في الأرض. وحتى في أيامنا لا تتجاوز نسبة السويسريين الذين يؤيدون إفْراد أراض لمخيمات الغجر، الثلاثة في المئة. ولكن خلال السنوات الأخيرة ظهرت دلائل على أن الحكومة السويسرية ترغب في معالجة قضية الاقلية الغجرية التي أجبرت على حمل الجنسية السويسرية عام ١٨٥٠.

وتحاول مؤسسة "ناشيت جانيش،" بمساندة الحكومة، مد يد العون الى ٦١٩ طفلا وعائلاتهم الذين وقعوا ضحية لبرنامج القضاء على نمط العيش الغجريّ. يقول أمين سر المؤسسة فريدي فاسلر: "اننا نحاول ترميم الماضي. لقد ساعدت هذه المؤسسة الغجر في العثور على الاقرباء المفقودين. ومن ذلك ما حدث عام ١٩٨٧ في سان غال عندما وجد جاكوب فازر (٧٥ عاماً) شقيقته ايدا (٧٢ عاما) بعد انفصال دام

G. HUSER BY COURTESY OF THE RADGENOSSENSCHAFT DER LANDSTRASSE

الفرد سيغفريد.

٦٨ عاماً. بالنسبة الى جاكوب كانت تلك خاتمة سنوات من البحث المستمر. وقالت ايدا: "شعرت دوما بأن لي اخوة وأخوات، لكني لم أكن متأكدة من ذلك."

اعتذار رسمي. خصصت الحكومة السويسرية ثلاثة ملايين ونصف مليون فرنك (٢،٣ مليون دولار) لمساعدة الضحايا الذين يعانون ضائقات مادية. وحتى مؤسسة "برو جوفانتوت" تبرعت بمبلغ نصف مليون فرنك (٣٣٠ ألف دولار) هو ريع مشروع سنوي لبيع الطوابع خصص لهذه الغاية.

وفي ٣ يونيو (حزيران) ١٩٨٦ أعلن رئيس الاتحاد السويسري آنذاك ألفونس ايغلي: "أود أن أعتذر علناً الى الغجر بسبب ما حدث قبل أكثر من عشر سنين." وبعد سنة قدمت "برو جوفانتوت" اعتذاراً رسمياً اعترفت فيه "بالاساءة الى أقلية الجانيش من جراء الاعمال التي قامت بها الادارة السابقة." واليوم يرئس ايغلي لجنة شكلتها مجموعة "ناشيت جانيش" لتوزيع المساعدات.

كذلك أُحيلت جميع سجلات "برو جوفانتوت" والملفات الشخصية للضحايا، العائدة الى برنامج سيغفريد، على المحفوظات الحكومية. وشُكلت لجنة لجمع شمل العائلات الغجرية المشتتة تولّى ادارتها برنهارد هانلوسر الأمين العام المساعد لوزارة الداخلية.

يقول هانلوسر: "اني أحاول المساعدة لشعوري بأن ظلماً كبيراً قد أصاب هؤلاء المواطنين السويسريين."

ومن كلامه أن الدولة تعتبر نمط الحياة الغجرية شرعياً. ويرى هانلوسر أن على الكانتونات السويسرية أن توفر للجانيش أراضي لاقامة مخيماتهم، وأن على المجتمعات السويسرية ايجاد حل لمشاكل الغجر التعليمية وذلك بتوفير الدروس للاولاد الرحَّل كما فعل كانتونا برن وبال بنجاح. ويأمل هانلوسر أن يستيقظ الضمير السويسري على ادراك أن الغجر جزء حيوي من حضارة سويسرا المتعددة الجوانب. يقول: "لقد آلت الدولة على نفسها الآن المحافظة على هذه الاقلية الحضارية."

وقطعت الدولة الخطوات الاولى نحو بلسمة جروح الماضي. واليوم جاء دور الشعب السويسري ليتخلص من تحامله على هذه الاقلية ويخفف من معاناتها. يقول هانس كاربيه: "لا يجوز أن تتكرر مآسي الجانيش في الأمس مع أقليات أخرى في الغد."

راول تونلي ■

مسح ابني اثر القبلة التي طبعتها على خده قبل اخلاده الى النوم. فسألته: "لماذا تمسح قبلتي يا حبيبي؟"
فقال لي: "أنا لا أمسحها، بل أشدها الى خدي."

ن.س.

عقار جديد للصلع

■ أظهرت أبحاث جديدة أن دواء قيد التجربة قد ينجح في تنمية شعر بعض الرجال الصلع. ففي اختبار أجري على ٣٢ رجلا في جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس انجلس، وجد طبيب الجلد ريتشارد أ. ستريك أن المرضى الذين استعملوا عقار "كيوكتول"[١] زاد شعر رؤوسهم بنسبة ١٢ في المئة مع نهاية السنة، بينما خسر الذين استعملوا عقاقير وهمية ٩ في المئة من شعورهم. ويشير التقرير الذي عرض على "الاكاديمية الامريكية لأمراض الجلد،" الى أن عقار "كيوكتول" يبدو كأنه يعيق تفاعل هورمونات ذكرية معينة مع خلايا جُريبات الشعر. وكانت أبحاث سابقة أظهرت أن الصلع الذكري[٢] يحدث غالباً في حضور الهورمونات المنشطة للذكورة. وكشفت أبحاث الدكتور ستريك أن ليس للعقار أي تأثير في القدرات الجنسية للرجل.

ومع أن رجالا قليلين فُحصوا للتأكد من فوائد "كيوكتول"، فإن النتائج التي توصل اليها الدكتور ستريك هي بأهمية نتائج الدراسات الأولية لعقار مينوكسيديل[٣] وهو العقار الوحيد لمعالجة الصلع الذي وافقت عليه الادارة الامريكية للأطعمة والعقاقير.

"وول ستريت جورنال"

(١) Cyoctol

(٢) Androgenetic alopecia

(٣) Minoxidil

حصى المرارة

■ إن خطر الاصابة بحصى المرارة هو أكثر احتمالا لدى البدينين. لكن هذا الخطر قد يزيد اذا ما اعتمد الشخص البدين حمية صارمة. هذان الاكتشافان ظهرا في دراستين منفصلتين أكدتا على العلاقة بين الوزن وحصى المرارة.

وتظهر دراسة "الهيئة الصحية للممرضين" في بريغام والمستشفى النسائي في بوسطن بولاية مساتشوستس أن خطر الاصابة بحصى المرارة يتضاعف لدى النساء اللواتي يزيد وزنهن بين ٧ و٩ كيلوغرامات على المتوسط. والمرأة التي يزيد وزنها بين ٢٣ و٣٤ كيلوغراماً على المتوسط تواجه ستة أضعاف الخطر الذي تواجهه امرأة عادية الوزن.

لكن اعتماد نظام صارم لخفض الوزن، كالامتناع المطوّل عن تناول الطعام أو الخفض الحاد لكمية الوحدات الحرارية التي يتناولها المرء يومياً، يزيد احتمال الاصابة بحصى المرارة. وهذا ما تظهره دراسة ثانية رأسها الدكتور رودجر ليدل الذي يعمل حالياً في المركز الطبي بجامعة ديوك في دورهام بولاية كارولينا الشمالية. فمن بين ٥١ بديناً اتبعوا نظام حمية لمدة ثمانية أسابيع لم يستهلك خلالها الواحد منهم أكثر من ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً، تكونت حصى المرارة لدى ١٣. فالبدانة و"الصَوْم" عاملان يبدلان في تركيبة عصارة الكبد مما يزيد احتمال تكوّن حصى المرارة.

صحيفة "إنسايت"

الماريوانا والذاكرة

■ يعاني المراهقون الذين يتعاطون الماريوانا مشاكل في الذاكرة القصيرة الأمد خلال مدة ستة أسابيع أو أكثر بعد توقفهم عن تعاطي المخدر. هذا ما أظهرته الابحاث في كلية الطب بجامعة جورجتاون الامريكية.

وفي الدراسة التي نشرتها "المجلة الامريكية لامراض الاطفال" تمَ امتحان عشرة مراهقين يسرفون في تعاطي الماريوانا، إذ أوكلت اليهم مهمات تتطلب ذاكرة قصيرة الأمد. وهم أظهروا ضعفاً واضحاً في الذاكرة بالمقارنة مع الذين لا يتعاطون الماريوانا. واستمرت نتائج اختبارات بعضهم على هذا المنوال لمدة ستة أسابيع بعد توقفهم عن تعاطي المخدر.

ويقول الدكتور ريتشارد هـ. شفارتز الذي اشرف على الدراسة: "إن فقدان الذاكرة هو من أهم المشاكل التي يعانيها المراهقون الذين يتعاطون الماريوانا."

صحيفة "ساينس نيوز"

القرنية والكولسترول

■ ان الحلقة البيضاء التي تحوط قرنية العين هي مؤشر الى ارتفاع مستوى الكولسترول في الدم. وتظهر نتائج دراسة جديدة صدرت في نشرة "الجمعية الامريكية لفحص البصر" أن المرضى الذين تحوط قرنياتهم حلقات بيضاء يعانون درجات مرتفعة من الكولسترول في الدم، بصرف النظر عن أعمارهم، وهم بالتالي معرضون أكثر للاصابة بأمراض القلب. وكانت هذه الحلقة تعتبر سابقاً علامة طبيعية للتقدم في العمر.

وتنصح الدراسة من لديهم حلقات بيضاء حول قرنياتهم بمراجعة أطبائهم لفحص مستوى الكولسترول في دمهم.

نشرة "الجمعية الامريكية لفحص البصر"

النيتروغليسرين والذبحة

■ ينصح الاطباء مرضى الذبحة الصدرية باستعمال رقعة نيتروغليسرين لاصقة كل صباح وابقائها لمدة ٢٤ ساعة. لكن ثلاثة من أهم مصنّعي رقع النيتروغليسرين اكتشفوا حديثاً أن الاستخدام المتواصل لهذه الرقع قد يضعف مفعول العقار. ويشير أودهو تاداني، طبيب القلب في جامعة أوكلاهوما، الى أن كثيرين يكتسبون مقاومة للنيتروغليسرين المستعمل لتوسيع جدران الاوعية الدموية. فإذا تواصل دوران العقار في الدم، توقفت جدران الاوعية الدموية عن الاتساع. ومن شأن رقع النيتروغليسرين منع الذبحة الصدرية اذا نزعت لبعض الوقت كل يوم.

وعلى المرضى مراجعة أطبائهم، إذ ان بعضهم قد يحتاج الى عقار آخر لتأمين حماية متواصلة من الذبحة الصدرية.

صحيفة "هيلث"

مهاجرون

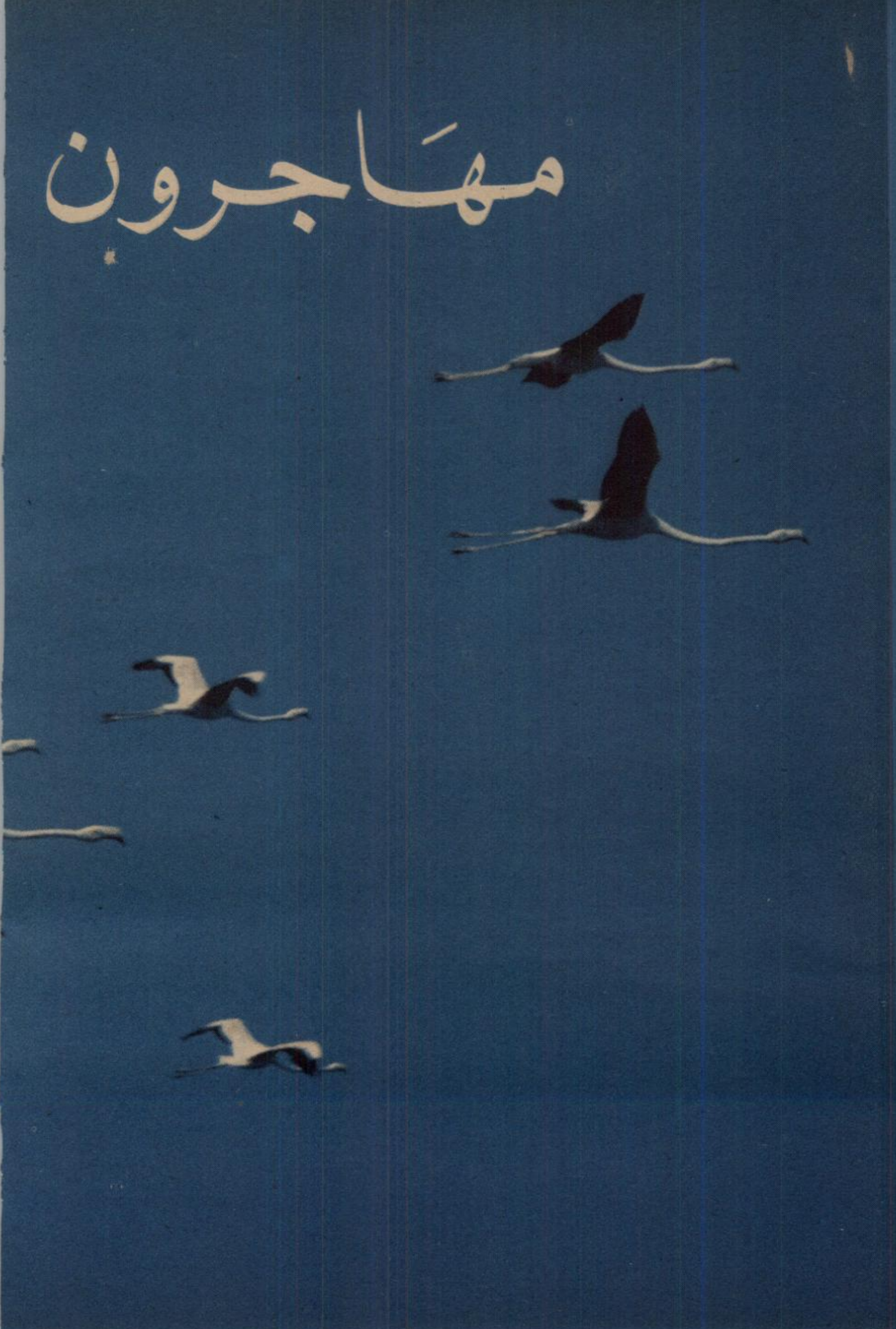

فوق طاق كسرى

ها هي تأتي: طيور الماء وطيور الوقواق
وصائدات الذباب وغيرها من الطيور
المهاجرة التي تعبر العالم العربي رفوفاً اليوم كما كانت تفعل
قبل عصر بساط الريح

خلال زيارتي الاولى لبغداد في صيف ١٩٧٠، اصطحبني جداي الى طيسفون القريبة، وهي مدينة فرثية قديمة. وتعود شهرة الموقع الى آثار قاعة مقنطرة عملاقة في "طاق كسرى."[١]

واذ أجلت بصري في القاعة سمعت رفرفة قوية ثم رأيت لقلقاً ضخماً أبيض يحط في عش بأعلى القنطرة.

كنت حينذاك في الثامنة من عمري، أي أصغر من أن أتساءل كيف وصل اللقلق الى ذلك المكان. ولكن، خلال رحلتي الثانية الى بغداد في الشتاء الماضي (١٩٨٧) أدركت السبب عندما شاهدت العش خالياً. واللقلق الابيض واحد من طيور العالم العربي المهاجرة. الكثير منها يتوقف في الطريق بين وسط أوروبا ومواطنه الشتوية في افريقيا الجنوبية. أما البقية فتزور العراق في الصيف ويكون وصولها مدعاة سرور عظيم لمحبي الطيور في الشرق الاوسط.

مجازات ثلاثة. منذ ما قبل بابل القديمة وقوافل الطيور المهاجرة تعبر العالم العربي. وللوصول اليه، يتعين على كل الطيور تقريباً، سواء أكانت آتية من صقلية القريبة أم من شمال غرب أوروبا، أن تعبر البحر الابيض المتوسط الهائل. لكنها في النهاية تصل عابرة المياه على امتدادات تبلغ ٦٥٠ كيلومتراً. وسنة بعد سنة، أثناء استراحة هذه الطيور في طريقها من المناطق الافريقية المجاورة للصحراء واليها، تتحول المجاري المائية العربية والغابات والحدائق معرضاً للطيور حيث تتزاحم رفوف ضخمة فوق الاشجار أو على رقعة من مرج أو على قصب نابت على ضفة نهر.

ثمة ثلاثة مجازات جوية مفضلة لدى الطيور المسافرة من اوروبا الى افريقيا. الاول ينقلها فوق مضيق البوسفور وجزر المتوسط الشرقية، عبر الشرق الاوسط والخليج العربي الى السودان أو عبر مصر الى ساحل افريقيا الشرقي. اما الثاني، وهو مجاز جبل طارق - شمال افريقيا، فينقلها من شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا والبرتغال) نحو المغرب والجزائر. أما الثالث فيتيح لها مجال دخول تونس أو ليبيا من الطرف الجنوبي لايطاليا.

خلال رحلة على امتداد المجاز الجوي الشرق الاوسطي، أجرى الكولونيل ريتشارد مينرتزاغن، وهو عالم طيور بريطاني، دراسات عن الطيور في سورية. فوجد أجناساً أوروبية معششة في خرائب القنوات والمعابد والابراج الرومانية القديمة. اما جبل الدروز، او جبل العرب، الذي يبعد حوالى مئة كيلومتر الى الجنوب الشرقي من دمشق والواقع على حافة الصحراء السورية، فكان يعج بقبرات الكلندرة والقبرات ذوات الاعراف وطيور الابلق (أبو بليق). اما بحيرة اليمونة التي قامت على ضفافها

---

(١) طيسفون، أو قطيسفون أو سلمان باك، أنقاض مدينة جنوب بغداد ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد. احتلها الفرثيّون وجعلوها عاصمة لملكهم. ثم احتلها الفرس عام ٢٢٤ واقام فيها كسرى الثاني قصراً ضخماً هو "طاق كسرى."

مستوطنة رومانية قديمة ويتفجر فيها نبع كبير من منحدر جبلي، فزاخرة بعصافير الخوري والشماس[٢]، والذعرة وأنواع أخرى.

وعلى امتداد المجاز الجوي عينه، تشهد مناطق الاردن الجبلية أكبر تجمع للطيور المهاجرة. وكانت محمية شوماري للحياة البرية في منطقة واحة الازرق مخصصة اصلاً لحماية الحيوانات المحلية المنقرضة أو المعرضة لخطر الانقراض مثل المارية العربية وهي ضرب من البقر الوحشي. ولكن عندما أظهرت الاحصاءات أن قرابة ١٣٥ نوعاً من الطيور، معظمها مهاجر، تحتشد حول مقرها الرئيسي، حولت هذه البقعة محطة كبرى لتجمع الطيور.

ويشاهد سنوياً ما يزيد على ٢٠٠ نوع من الطيور في الانحاء الاردنية. بعضها يتوالد أو يحاول التوالد هناك، وهذا الامر يمنح الاردن أهمية حيوية.

المحطة اللبنانية. تتخذ الطيور المهاجرة من أشجار الارز العملاقة في لبنان محطات استراحة. اما تيارات الهواء الدافئة فوق سهول البلاد وأوديتها وبحيراتها فلا تزال جزءاً من المجاز الجوي الذي تسلكه الطيور الكاسرة المهاجرة، والذي يعتبره علماء الطيور من أجمل المشاهد المؤثرة.

وفي سياق وصف هذا المشهد كتب عالم الطيور البريطاني س. فير بنسون: "عندما شاهدت الممر الخريفي العظيم للمرة الاولى كدت لا أصدق عيني، اذ في غضون ٤٥ دقيقة مر من هناك اكثر من ٤٠٠ نسر."

وتعتبر دلتا النيل في مصر مكاناً حيوياً للطيور المهاجرة التي تسلك المجاز الشرق الاوسطي. وأبرز المستوطنات هناك برك ساحلية وداخلية عدة بالاضافة الى منطقة المحلة/ بور سعيد. وتؤوي هذه الاراضي المهددة بالاستصلاح قرابة ٦٥٠ الفاً من الطيور المائية المشتية و١٣٠ الفاً من الطيور المخوِّضة المشتية. وهكذا تتجاوز هذه الاعداد معايير الاهمية التي وضعها في العام ١٩٧٤ "المؤتمر الدولي للمحافظة على الطيور المائية والمستنقعات" والذي حدد "المنطقة الحيوية" بتلك التي تستطيع ايواء ما يزيد على واحد في المئة من العدد المقدر لطيور المجاز الجوي لاي من الانواع المهاجرة، أو بتلك التي تتسع لاكثر من ١٠ آلاف طائر من ذلك النوع. وهكذا فإن حماية مستنقعات دلتا النيل تعتبر مسألة حرجة.

وقد أفاد الاقتصاد النفطي العربي الطيور المهاجرة على نحو مدهش. ففي وسع ملايين الطيور التي تحلق عبر المناطق الشمالية للمملكة العربية السعودية أن تتبع خَط انابيب النفط الذي يجتاز الصحراء الشاسعة. وتحوط كل محطة ضخ هناك جزيرة خضراء نمت بفضل المياه التي جرّت لتشغيل المحطة مما اقام بقعاً خضراء غنية بالنبات.

---

(٢) هي من نوع "ابو قلنسوة" الذي يعرف ذكره بالخوري وانثاه بالشماس.

وفي المملكة العربية السعودية أنشأت "دائرة الظهران للمنافع العامة" في شركة "ارامكو" ما يعرف بـ"البقعة الممتازة لتربية الطيور في المنطقة الشرقية" او "بحيرة لانهارت" التي تتدفق اليها المياه من محطات تكرير مياه المجاري في الظهران. وما كان في الامس صحراء أصبح اليوم بحيرة مسيجة بالقصب وأشجار الطرفاء، يقصدها عشاق الطيور لمشاهدة النحام والصقور (الباز) والشنقب (الشكب أو البكاسين) والصُرَد (النهس او الدغناش) والسمامة والوروار (الخُضّار) والدخلة (الهازجة) والذعرة والابلق.

أما مجاز جبل طارق - افريقيا الشمالية فيفيد من قرب اسبانيا من المغرب. وتفضل القبرات سلوك هذا الممر لانها تشعر أنها في موطنها بين المساحات المزروعة بالخضر على نحو متفرق. كما يسعها أن تعشش في الصحارى المحصّاة الواقعة جنوب شرق المغرب، حيث يندر ان تعيش مخلوقات أخرى.

خط ايطاليا - تونس. أكثر المجازات مدعاة للاهتمام هو مجاز ايطاليا - تونس الذي سلكته المراكب الرومانية للوصول الى قرطاجة. واليوم، كما في الايام الغابرة، تحلق أسراب من الطيور تفوق أنواعها الـ٢٠٠ متوجهة الى بحيرة اشكول في تونس، الواحة الطبيعية الوحيدة الدائمة الاخضرار في افريقيا الشمالية. وفي حين تم تجفيف معظم مستنقعات العالم العربي الشاسعة من أجل استثمار ارضها وتلبية حاجات السكان الذين يتزايد عددهم على نحو هائل، فان بحيرة اشكول محمية بثلاثة اتفاقات دولية.

في فصل الشتاء تغذي هذه البحيرة ستة أنهر، أما في فصل الصيف فتغذيها مياه البحر المتوسط. وهي تؤوي طيوراً من بيئات متفاوتة، فتختلط فيها طيور النُكات الآتية من المجر (هنغاريا) وأسوج (السويد) والدانمرك وألمانيا بطيور النحام المحلية. وفي الربيع، عندما تتفتح الزهور في المنطقة المحيطة بالبحيرة، تزخر التلال بالفراشات الملونة وبرفوف السنونو (الخطاف) التي تهاجر معاً الى أوروبا. وعندما تتضاءل مياه البحيرة في الصيف تتحول مستنقعاً من المياه المالحة يبيض فيه السمك وتندفع اليه مجموعات خاصة من أسماك المحيطات بحثاً عن القوت. وفي الشتاء، عندما تحول فيضانات الانهر الستة البحيرة ملاذاً للمياه الحلوة، تجتاحها عواصف من الطيور التي تقتات بالحشرات. وتحوم هذه الطيور كالغيوم فوق البحيرة. وتأتي اليها ثلث أعداد البط في أوروبا لالتهام الجذور المغذية وبراعم عشب الديس الوافر (الاشقيل أو بصل الفأر).

ان موقع هذه البحيرة المهم في المجاز الجوي - (تبعد مسافة دقائق عن المتوسط و٤٠٠ كيلومتر الى شمال الصحراء الكبرى). يوفر للطيور المهاجرة منتجعاً مميزاً قبل انطلاقها في الايام الحارة والليالي القارسة البرد.

العمل والراحة. معظم الطيور تبدأ هجرتها من أوروبا قبل زحف الجليد اليها. وتتحرك تلك الطيور عموماً، أثناء الهجرة، على نحو أسرع مما تفعله أثناء سفرها العادي، فيهاجر بط البلبول من أوروبا الى أماكن مثل تونس والعراق وعُمان بسرعة تبلغ ٨٢ كيلومتراً في الساعة.

وعلى رغم ان في وسع الطيور المهاجرة التحليق من دون انقطاع بسرعة فائقة تمكنها من الوصول الى مواطنها الشتوية بوقت قصير نسبياً، فانها تتوقف عادة، في طريقها، لفترات طويلة. فالصُرَد ذو الظهر الاحمرَ مثلا يقطع مسافة ١٠٠٠ كيلومتر خلال خمسة أيام يطير اثناءها ليلتين ويرتاح ثلاثاً. اما فترات النهار فيقضيها باحثاً عن الطعام.

تعتبر بعض الطيور، بما فيها اللقلق، مهاجرة بطيئة. فاللقالق التي عثر عليها وهي تتوالد في شمال افريقيا واسبانيا وهولندا واليونان وأوروبا الوسطى وتركيا والشرق الاوسط، تحلّق عادة على ارتفاعات شاهقة في أسراب هادئة وطليقة. ويقول عالم الطيور روجر توري بيترسن: "ان اللقالق محترفة الانزلاق، وهي تفضل ركوب تيارات الهواء الصاعدة ولا تطير فوق المياه الا اذا رأت اليابسة على الجانب الآخر. اذاً لديها مشكلة في اجتياز المتوسط. والكثير منها يحل هذه المشكلة بسلوكه الطريق الشرقية عبر تركيا وفلسطين ثم ينحرف جنوباً الى افريقيا، أما المجموعات الاخرى فتختار جبل طارق."

البعد الروحي. يعود تاريخ رصد الغرب لطيور الشرق الاوسط الى العام ١٩٧٨، عندما طاف رجال وجنود ومستكشفون بريطانيون العالم بحثاً عن المغامرة. في تلك الاثناء جمع الكولونيل إ.أ. باتلر بيض طيور من جزر في الخليج العربي وأودعه متحف لندن للتاريخ الطبيعي. وفي غضون ٢٠ سنة، أكد باتلر وآخرون وجود ثماني فصائل مختلفة من الخراشن تتناسل في الخليج العربي.

وثمة أنواع عدة تتوالد في الهلال العراقي الخصيب، الذائع الصيت. ففي العام ١٩٤٦ عمل بشير إ. اللوس، مؤسس متحف التاريخ الطبيعي العراقي، مع شقيق جدِّي المحنِّط ابرهيم رسام، على وضع تصنيف متكامل للطيور العراقية.

ولا يزال العلماء يدرسون ملياً أسباب هذه الهجرة.

ان منظر الطيور وهي تعبر الارض من غير خطأ سنة بعد سنة - وان هي حادت فالى مقاصد صغيرة خارجة عن الطريق المرسوم - يعطي هذه الخطوة صفة تكاد تكون سراً خفياً. ان لهجرة الطيور، بالتأكيد، بعداً روحياً في العالم العربي يعززه تفضيل اللقلق الابيض بناء عشه في أماكن العبادة والسكن فيها باطمئنان.

ويزداد الاهتمام بتأمين استراحات للطيور المهاجرة وتستمر الطيور في المجيء الى بلادنا، جالبة الى العالم العربي أهازيج الصحة والسعادة.

ت.هـ.رسام ـ كلهان■

الكاتب، امه عراقية ووالده امريكي

فنّ الخطابة

سبع نصائح من اجل خطابة بلا خوف

إن مخاطبة جمهور من المستمعين عمل يتحاشاه معظم الناس. وسبب ذلك خوف الظهور مظهر الحمقى أمام الآخرين. وكلما زادت أهمية الخطاب عظم الخوف.

ولكن لا داعي الى الخوف، فإلقاء الخطب عمل سهل. انه ليس أكثر من كلام عادي، وأنت من يتكلم طوال الوقت. ومع أنني خجول بطبيعتي فما زلت ألقي الخطب والأحاديث الاذاعية والتلفزيونية منذ أكثر من ثلاثين سنة. ويمكنني أن أؤكد لكم أن الخطابة ليست "موهبة" مثل الموسيقى والرسم. فكلّ من يستطيع الكلام يمكنه أن يصبح خطيباً. واليكم بعض الامثولات التي تعلمتها:

بسّط حديثك. يروى عن كالفن كولدج الرئيس الثالث عشر للولايات المتحدة (١٩٢٣ - ١٩٢٩) أنه بعد سماعه عظة طويلة سألته زوجته عن موضوع العظة.

CONDENSED FROM «OSGOOD ON SPEAKING,» COPYRIGHT © 1989 BY CHARLES OSGOOD, PUBLISHED BY WILLIAM MORROW AND COMPANY, INC., NEW YORK. ILLUSTRATION: LISA HENDERLIN

فأجابها: "الخطيئة." لكنها أرادت أن تعرف ما قاله الواعظ عن الخطيئة، فأجابها كولدج: "لقد كان ضدَّها."

إنَّ المستمعين اليك سيستخلصون فكرة أو فكرتين من خطبتك، على الأكثر، لا عشر افكار ولا عشرين. فإذا كنت لا تستطيع التعبير في جملة أو جملتين عما تبغي ايصاله الى الجمهور، فهذا يعني أن خطابك يفتقر الى التركيز. واذا لم يكن ما تريد قوله واضحاً تماماً في تفكيرك، فلا سبيل لايصاله الى الجمهور.

نظّم أفكارك. لا فرق إن قصر خطابك أو طال، عليك تنظيمه: كيف تفتتحه، وما هي النقاط الأساسية التي تريد معالجتها، وكيف ستنهيه.

عندما أهيّىء عملاً للاذاعة أو التلفزة أعمد غالباً الى كتابة الجملة الأخيرة أولاً. فعندما تكون متأكداً من هدفك تستطيع اختيار أي طريق يوصلك اليه. والخاتمة حاسمة، فآخر ما تقوله هو، على الأرجح، ما سيذكره جمهور المستمعين.

اختصر. إنَّ الوقت المعتمد لفصل من ملهاة هو ١٢ دقيقة. فإذا كان كل هؤلاء الممثلين الموهوبين الذين يستميتون رقصاً وغناء لا يستطيعون اطالة عرضهم أكثر من تلك الفترة، من دون اضجار المشاهدين، فكيف تظن أنك أنت تستطيع ذلك؟

كنْ صادقاً. إذا حاولت أن تبدو على غير حقيقتك، فالأرجح أنك لن تنجح في ذلك. فإذا لم تضحكك قصة ما فلا تتوقع أن يضحك جمهورك لسماعها. وإذا كانت المعلومات التي تفصح عنها لا تثيرك فهي لن تحرك ساكناً في مستمعيك. وقد كتب الشاعر روبرت فروست مرة: "إذا لم يذرف الكاتب دموعاً فلن يذرف القارىء دموعاً." وهذا ينطبق على الخطيب أيضاً. أنت تتحدث لأنك مررت بتجربة لم يمر بها مستمعوك. أشركهم فيها. اجعلهم يشعرون بما أحسسته، برداً كان أم حراً، خوفاً أم حزناً، انزعاجاً أم ارتباكاً. إن استخدام صيغة المتكلم المفرد وسيلة فاعلة.

تولَّ زمام الأمور. ان اللحظات الأولى من حديثك ترسي العلاقة بينك وبين المستمعين اليك. ابتسم وعبّر عن شكرك للعريف بإيماءة من رأسك وكلمة "شكراً". ثم انتظر. ولا تبدأ الكلام حتى تستحوذ على انتباه الجميع فيشعر كل واحد من الحضور أن الكلام موجّه اليه شخصياً فيوليه انتباهه، وهذا تماماً ما تبغيه. وعندما يصمت الحضور حدّق الى أعين المستمعين. اختر ثلاثة وجوه ودودة: واحداً الى اليسار وثانياً الى اليمين وثالثاً في الوسط. وبالتكلم مرة الى واحد منهم ثمَّ التوجه الى الآخر تستحوذ على انتباه الجميع.

تكلّم ولا تقرأ. طرت يوماً الى لوس أنجلس برفقة جين جانكوفسكي رئيس فريق «CBS» الاذاعي، وكان متوجهاً لتسلم جائزة صحافية. وفي الطريق أمضى

ساعات يكتب خطاب الشكر.

وفي الليلة التالية تكلّم المضيف داني كاي عن الجائزة ثم دعا جانكوفسكي الى المنبر. مشى جين وفي يده نص خطابه. فقال له كاي: "لا تقرأ، بل أخبر الناس عن شعورك." ثمَّ حاول سحب الورقة من يد جين فتمسَّك بها هذا. وتعاركا مازحين، فربح جانكوفسكي. لكن كاي كان على حق، فالقراءة للجمهور ليست بفاعلية الكلام المباشر الصادر عن القلب. وإن لم يكن بالسلاسة ذاتها فهو يبقى أفضل من القراءة.

أنا ضد الخطب المكتوبة. لكن كتابة الملاحظات عمل فطن، فهي تذكّرك بما تريد قوله وأين وصلت بحديثك.

إسترخِ. يركز الكوميدي روبرت كلاين في مشهد هزلي عن طريقة "لاماز" في الولادة الطبيعية، على أن الدور الرئيسي للزوج هو تذكير الزوجة بأن تتنفس. وهذا مضحك اذ لا يعقل أن يحتاج أحد الى من يذكره بأن يتنفس. ولكن عندما نقع تحت وطأة ضغط ما ننسى أحياناً كيف نتنفس بطريقة صحيحة.

لا تأخذ أنفاساً عميقة ولا تتنفس أسرع من العادة فيصيبك افراط في التهوئة، بل تنفَّس بسهولة وايقاع من حجابك الحاجز، فهذا يساعدك على الاسترخاء.

إن مخاطبة الجمهور ليست أصعب من استعمال العودين الصينيين للأكل أو عقد ربطة العنق. فالغامض يغدو بسيطاً عندما تعرف كيف تؤديه.

تشارلز أوزغود ■

خوف مزدوج

فتَّش الرجل في جيوبه مذعوراً بحثاً عن حافظة نقود تحوي ألف دينار. فسألته زوجته محاولة البقاء على هدوئها: "هل فتَّشت في جيوب سروالك؟"

– نعم.

"وفي جيوب سترتك؟"

– نعم.

"وفي الجيوب الداخلية للسترة؟"

– كلا.

"ولماذا لم تفعل؟"

– أخاف إن لم أجدها أن أصاب بنوبة قلبية!

ر.هـ

سائقة عتيقة

كانت امرأة تقود سيارتها، فرأت في البعيد رجلين يتسلقان عمود هاتف. ولدى مرورها قربهما صاحت: "لا تخافا، فأنا أقود السيارة منذ سنين."

ك.ن.

ملحق خاص

عقد الازدهار

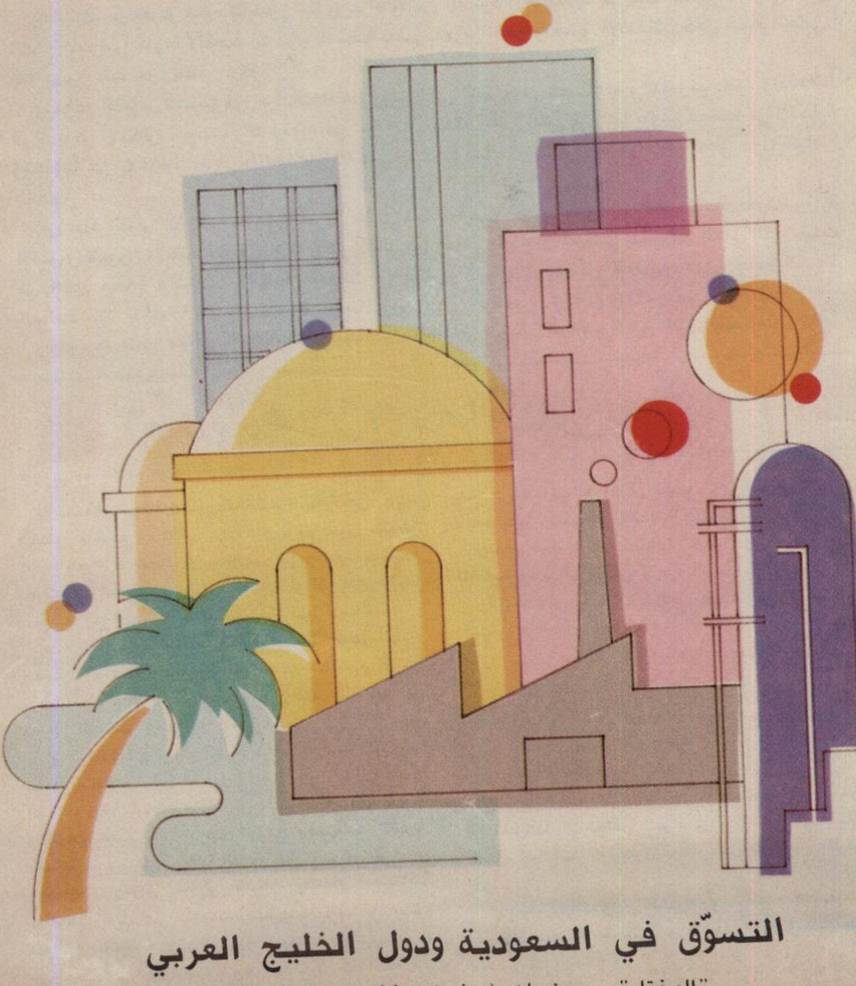

التسوّق في السعودية ودول الخليج العربي

"المختار" - حزيران (يونيو) ١٩٩٠ - العدد ١٣٩

عقد الازدهار

مطلع هذه السنة دخلت دول مجلس التعاون الخليجي عقدا جديدا من الازدهار. ويستدل على ذلك من ارقام اجمالي الانتاج المحلي الذي بلغ في العام ١٩٨٩ قرابة ١٣٦ مليار دولار، رافقته نسبة نمو بلغت ٤ في المئة.

ويستفاد من تقرير اعده الدكتور هنري عزام رئيس الدائرة الاقتصادية في بنك الخليج الدولي، "ان الاداء الايجابي عموماً لاقتصادات دول المنطقة يبشر بتعزيز النمو وتعميق الانتعاش خلال العام الحالي، بما يخرج بها من حالة الركود."

ويتوقع التقرير تحسناً في ايرادات النفط وزيادة في الصادرات الصناعية والبتروكيميائية وانتعاشا في اسواق الايجارات والعقارات ونموا في الودائع والطلب على القروض. كما يتوقع تحسنا في التجارة وتعاظما في الاهتمام بفرص الاستثمار المحلي، وخصوصا الاستثمار المشترك في نطاق دول مجلس التعاون.

من جهة اخرى، تشكل العمالة العمود الفقري للتنمية في منطقة الخليج. وتشير دراسة اجرتها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في دولة الامارات الى ان ٧٩ في المئة من اجمالي تاشيرات العمل التي منحت في العام ١٩٨٨ وبلغت ١٠٨٧٠٠، تناولت مواطنين آسيويين. وتصدر الهنود (٤٣٪) قائمة العمالة الوافدة منذ العام ١٩٧٩، يليهم الباكستانيون (١٧٪) والعرب (١٣٪) والاوروبيون (٢٪).

وفي ما يأتي بعض المعلومات والعناوين المفيدة للعمال الوافدين الى تلك المنطقة:

القاعدة الذهبيّة: احترام القانون

لم تضعف الحياة العصرية تمسّك السعوديين وابناء الخليج بدينهم وتراثهم. فالمسلمون يمارسون طقوس دينهم كجزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وقد مكنتهم نظرتهم الواقعية هذه من استيعاب فوائد التكنولوجيا الغربية مع الاحتفاظ بهويتهم ومبادئهم الاسلامية.

هذه المبادىء دمجت ببراعة في جميع مظاهر الحياة العصرية وهي محددة بوضوح بحيث يستطيع كل من يريد التمتع برفاه الحياة العصرية ان يفعل ذلك شرط أن يراعي القوانين والقواعد المعتمدة.

إن الرفاه الذي توفره الحياة العصرية مؤمن عبر بنية تحتية متطورة تسهّل التجول والتنقل واجراء الاتصالات السلكية واللاسلكية، فضلا عن خدمات بريدية متطورة وخدمات طبية من الدرجة الاولى وتسهيلات للسكن ومناطق تسوّق هي في غاية التطوّر، مؤلفة من متاجر كبرى ومجمعات ومراكز تسوّق تعرض بضائع استهلاكية و"لوكس" بأسعار تنافسية مستفيدة بذلك من رسوم جمركية مخفوضة. وتعرض هذه المراكز مجموعة متنوّعة من المنتجات وأحدث الطرز. وهي أوسع من تلك المتوافرة حتى في المتاجر المعفاة من الضرائب في البلدان الاخرى، وهذه كلها جعلت من الخليج فردوساً للتسوّق.

وتقابل هذه الميزات حاجة ماسة الى معرفة عملية للتقاليد والقوانين التي تشمل كل نواحي الحياة.

وفي ما يأتي بعض النصائح العملية التي تعينك على العيش في سلام وطمانينة.

□ يجب مراعاة التقاليد في الحياة الاجتماعية:

- الحنث بالوعد يعتبر عملا شائناً للغاية.
- من غير اللائق ان تصل متأخراً.
- لا تسأل الرجل عن زوجته وبناته بل عن عائلته.
- تناول الطعام يتم بصمت وباليد اليمنى.
- يجب أن تحتشم المرأة في لباسها وأن تكون حذرة في تجوالها، لا تجلس المرأة قرب السائق في سيارة الأجرة كما انها لا تتجوّل برفقة رجل ليس من أقاربها الأدنين.

□ استيراد الكحول والمخدرات وحيازتها وتعاطيها هي ممارسات ممنوعة عقوباتها صارمة. وهذا ينطبق كذلك على المنشورات الخلاعية.

ابتكارات في الالكترونيات

تنتج شركة ناشيونال بعض اكثر الابتكارات التي انجزت الى الآن في حقل الالكترونيات والادوات المنزلية. من الريادة في مسجلات الفيديو والكاميرات الى شاشة التلفزيون العملاقة... ومن الستيريو النقال ذي الطراز الدينامي الى الادوات المنزلية التي توفر في الوقت. ومع كل انتاج من ناشيونال يمكنك ان تتوقع نوعية ممتازة واختياراً متوسعاً وخدمة بعد البيع تؤمنها لك مراكز ناشيونال المتعددة. انظر، اختبر بنفسك وبسرعة ابتكارات ناشيونال.

TC-491TR
تلفزيون ملون ١٤ بوصة (٣٦ سم) بـ٣ انظمة عالمية.

NV-M1000 VHS PAL
كاميرا فيديو VHS مع جهاز تعديل بؤري تلقائي.

NV-J101 VHS PAL MESECAM
مسجلة فيديو كاسيت ذات نظامين (بال/سيكام ME) تؤمن سرعة غاية في البطء.

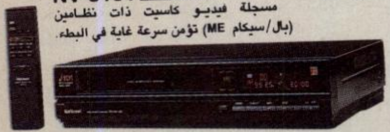

RX-FS400
راديو مدمج ٤ موجات (اف. ام، متوسطة، صغيرة ١، صغيرة ٢) ومسجلة كاسيت تؤمن تيارا متناوبا.

NA-250X/D
غسالة اوتوماتيكية بالكامل
ت سعة كبيرة.

MK-8700N
ماكينة تحضير ذات ١٠ وظائف.

NR-B43AE/AES
ثلاجة واسعة مع تشغيل No-Frost

National

البحرين ■ مركز الجامعة للتجارة. المنامة. ت ٢٥٢٢٩٢ / ٢٥١٨٣٠

رص:
س.د. هاي (ادوات كهربائية) نيقوسيا. ت ٢٤٤٥٨٣٩.

سر:
شركة بغداد للتجارة ▲ القاهرة. ت ٨٣٨٣٦٥ / ٢٦٠٧٥١٦ / ٢٦٠٧٥١٧ / ٢٦٠٧٥١٨ - الاسكندرية. ٤٨٣٧٩٨٥.
مركز التحرير للتجارة والخدمات ▲ القاهرة. ت ٧٧٧٧٧٠ / ٧٧٧٩٩٩ / ٣٩٣١٥٨٢ / ٣٩٢٢٣٦٢ - سكندرية. ت ٥٤٦٠٢٤١ - الاقصر. ت ٨٢٤٤٦ - سوهاج. ت ٣٢٢٦٨٥
مركز تنبولي للخدمات ▲ القاهرة. ت ٦٦٠٦٢٩ / ٦٧٢٢٥٠
الشركة المصرية للالكترونيات ▲ القاهرة. ت ٢٤٠٩٤١٢ / ٢٤٠٠٢٢٨ / ٢٤٠٢٨٦٨ / ٢٥٢٦٧٠١ / ٢٤٤٩
شركة مصر حلوان للاستيراد والتصدير ♦ القاهرة. ت ٢٩٠٠٤١٦ / ٢٩٠٨٥٨٤

ند:
ركز اسكواير للخدمات ▲ بومباي. ت ٢٣٤٢٢٦ / ٢٣٠٢١١ / ٤١٣١٨٥٧ / ٤١٣٣٤٧٠ / ٥٢٣٥٠٦ / س. ت ٤٧٩٥٠٧ نيودلهي. ت ٦٩٧٢٨٥ / ٦١١٣٢٧. كالكوتا. ت ٤٤٠٨٤٠
وكالات الكهربائية المتحدة. بومباي. ت ٤٩٣٠٠٧٤ / ٤٩٣٠٠٧٥ - مدراس. ت ٤٧٨٥٥٩. بنغلور. ت ٢٣٧.
ندس للتكييف ♦ بومباي. ت ٤٣٠٣٧١٩
اراس الكترونيكس. بومباي. ت ٢٨٦٩٧٨
ركة بوزيتيف للتجارة. نيودلهي.
ركة ماستر الكترونيكس ▲ تريفاندروم. ت ٦٤٢٦٢ - كوشين. ت ٣٦١٧٨٨

الكويت:
■ عيسى حسين اليوسفي. الكويت. ت ٢٤٣١٤٣٩ / ٢٤٣٤٩٩٨ / ٢٤٤٠٠٢١ / ٢٤١٧٦٦ - العارضية. ت ٤٣٤٦٤٠٣ / ٤٣١٥٤٢٤ / ٤٣١٦٤٧٤ - الاحمدي. ت ٣٩٨٦٧٧٧ / ٣٩٨٣٧١٩

عُمان:
■ شركة عمان للتسويق والخدمات.
مسقط. ت ٧٩٤١٨٠ / ٧٩٦١٨٣ / ٥٦١٨٤٦ - سلالة. ت ٢٩٢١٩٩

باكستان:
■ مركز خدمة ناشيونال. كراتشي. ت ٤٣٢٢٧٢ / ٤٤٤٢٥٦/ ٤٣٢٩٥١
■ مركز خدمة تلفزيونات ومسجلات الفيديو ناشيونال ▲ كراتشي. ت ٤٣٢١٦١
■ متجر ناشيونال. حيدراباد. ت ٢٣٥٦١. روالبندي. ت ٨٤٤٠٠٧ - فيصل اباد. ت ٢٦٠٢٥ / ٢٤٦٦٠ - بيشاور. ت ٧٤٦٩٠. لاهور. ت ٢٢٨٤٨٦

الفيلبين:
■ شركة ناشيونال باناسونيك. مانيلا. ت ٦٧٢٦٨٠١. سيبو. ت ٨١٣٢٥ / ٨٢٧٥٢

قطر:
■ شركة نصير بن عبدالله ومحمد صديق للتجارة. الدوحة. ت ٤١٧٥٧٥

السعودية:
■ شركة م. جميل الدهلوي. جدة. ت ٦٤٧٤٦٦٦ / ٦٤٨٤١٤٤ - المدينة. ت ٨٣٨٠١٦٤ / ٨٣٨٤٧٨١ - مكة. ت ٥٣٧٠١٧٤ - الطائف. ت ٧٣٨٣٥٢٤ - خميس مشيط. ت ٢٢٣٢٢١٦ - الرياض. ت ٤٦٦٢٠٢٠٢ / ٤٦٢١٥٤١ - القصيم. ت ٣٢٤١٢٣٢ - الخبر. ت ٨٩٥٤٦٦٦ - الدمام. ت ٨٣٤٢٧٦٢ - الحسا. ت ٥٨٧٢٢٠٨ - تبوك. ت ٤٢٢٠٧٦٤ - جيزان. ت ٣١٧١٣٢٨

الامارات العربية المتحدة:

اماكن التسوق الرئيسية

المملكة العربية السعودية

الرياض

مناطق التسوّق الرئيسية هي: طريق المطار (شارع الملك عبد العزيز)، ومنطقتا التسوّق المركزيتان في شارع الوزير وشارع البطحاء، والملز (معظم المتاجر يقع في شارع الستين وهو الشارع الرئيسي، او في شوارع صغيرة متفرعة منه)، وشارع البيبسي كولا والعليا وهي أحدث المناطق السكنية في الرياض وتحتوي على بعض افضل متاجر المدينة.

بندة: طريق خريص، لجهة "بترومين" من مصنع البيبسي كولا.

ستاد: قبالة الملعب في الملز.

سيتي: العليا، الطابق الأول يبيع ساعات ومستحضرات تجميل وأدوات رياضية وأجهزة تلفزيون وفيديو.

سيتي: السليمانية.

مركز العقارية: العليا.

مركز السدحان للتسويق: طريق العليا - قرب فندق عطاالله "شيراتون".

البيت الأخضر: طريق المطار.

جوهر: شارع جرير في العليا، وهو من المخازن التنويعية الضخمة.

مركز نجد: شارع جرير في العليا.

اسواق الدائرة: شارع الأربعين في السليمانية.

اسواق حسام: طريق خريص.

مركز العزيزية: منطقة ام الحمام.

الخبر والدمام والظهران

مركز الخليج: آخر طريق المطار، الخبر.

مركز الامير مشعل التجاري: طريق المطار، قرب النافورة، الخبر.

مجمّع الخبر التجاري: الجهة الجنوبية لطريق المطار.

مركز السويكت للتسوّق: على بعد ثلاثة مقاطع غرب شارع الملك خالد، و١.٥ كلم. شمال طريق المطار، الخبر.

السواني: شارع الملك عبد العزيز، الخبر.

مركز التسوّق للعائلات: خلف عمارة البابطين، قرب البنك السعودي - الهولندي، الخبر.

سوبر ماركت السوق: له ثلاثة فروع في المنطقة:

١ - الفرع الرئيسي - الطريق العسكرية شمال غرب الخبر، قرب "بالاست نيدام".

٢ - الدمام - خلف صالة عرض "تويوتا"، على طريق قطيف.

٣ - الخبر - شارع العزيزية، على بعد مقطع واحد الى جنوب طريق المطار.

مركز الدمام التجاري: الشارع العاشر، الدمام.

مركز الاخضر للتسوّق: الشارع العاشر، الدمام.

مركز الحربي للتسويق: قرب مستشفى الدمام العام.

مركز الظهران التجاري: طريق المطار، في محيط منطقة التسوّق الرئيسية في الظهران.

جدة

ردك بلازا: غرب طريق المدينة (جنوباً) وبالقرب من مركز القافلة التجاري.

مركز جدّة التجاري: طريق المدينة، شمال جسور شارع فلسطين مباشرة.

مركز القافلة التجاري: يقع على طريق الكورنيش (شارع حائل)، غرب طريق المدينة وجنوب الرويس.

سوق جدة الدولي: طريق المدينة لجهة الغرب، قبالة معمل البيبسي كولا.

عمارة الملكة: شارع الملك عبد العزيز في مركز المدينة. خلف البناء طبقتان من المتاجر المتخصصة بالثياب والعطور والساعات والمجوهرات والالكترونيات وآلات التصوير.

السواني: قرب المطار القديم، وبجنب عمارة "عرب نيوز" عند اطراف الشرفية وفي مركز المساعدية - طريق المدينة.

مركز شاكر: مستديرة الدراجة.

مركز المحمل: شارع الملك عبد العزيز.

مركز الكورنيش للتسويق: شارع الملك عبد العزيز.

مركز المساعدية: طريق المدينة.

مركز جمجوم التجاري: الحمرا.

مركز الحمرا للتسويق: الحمرا.

مركز الغاليريه: شارع التحلية.

مركز باروم: الرويس.

سوق الخيمة: قرب مبنى التلفزيون.

سوق اليمامة: طريق المطار القديم.

المختار: منطقة الحمراء بقرب شارع حائل.

مركز ساند: ما بين شارع خالد بن الوليد وطريق المدينة في الشرفية.

مركز الشرق الاوسط للتسوّق: طريق فلسطين.

حسين القزاز واولاده: طريق المدينة.

"برنتان" العمودي: طريق فلسطين.

الخبراء بالفيديو يعرفون "جي.في.سي."

بات VHS المرادف للفيديو في انحاء العالم. ومنذ ١٤ عاماً، اي منذ انزلت "جي.في.سي." هذا الجهاز للمرة الاولى الى الاسواق، لم يعد فقط الاوسع انتشارا في العالم من حيث حجمه – علماً ان هناك اكثر من ٢٦٠ مليون جهاز قيد الخدمة – بل اصبح كذلك اداة لا غنى عنها للتسلية والاتصال بين الناس في حياتهم اليومية.

الا ان النجاح العالمي يستتبع ايضاً مسؤوليات عالمية. لذلك نحن في "جي.في.سي." نقدّم اليكم يا زبائننا الدوليين، مجموعة واسعة حقاً من مسجلات فيديو VHS بما فيها موديلاتنا ذات الانظمة المتعددة.

ان مسجلات الفيديو المتطورة لدينا والتي تنطوي على انظمة متعددة للتسجيل والعرض واجهزة التوليف المتعددة الانظمة التي ترمي الى منحكم اقصى متعة من الفيديو، اينما كنتم ومهما يكن ما تشاهدون – يعززها اداؤنا العالمي وابتكاراتنا المحببة التي تجعل مسجلات "جي. في. سي." سهلة الاستعمال وسهلة الاختيار.

اننا نعرف ما يريده الناس من الفيديو، لذلك ابتكرنا الـ VHS، ولذلك ايضاً فان الناس الذين يعرفون الفيديو في العالم يعرفوننا نحن كذلك.

"جي. في. سي." نحن الفيديو الاروع.

JVC The INVENTOR of VHS

HR-D217MS مسجلة فيديو كاسيت HQ
بانظمة بال/سيكام NTSC 4.43 / ME للتسجيل والعرض.

HR-D527MS مسجلة فيديو كاسيت HQ
بانظمة بال/سيكام NTSC 4.43 / NTSC 3.58 / ME للتسجيل والعرض مع موالف متعدد الانظمة (BIG, I, D / K, M)

HR-D337MS مسجلة فيديو كاسيت HQ
بانظمة بال/سيكام ME / سيكام/ NTSC 4.43 / NTSC 3.58
للتسجيل والعرض مع موالف متعدد الانظمة (BIG, I, D / K, M).

Official Hi-Fi & Video Systems Of The World Cup 1990

VHS: The Universal Video Language

JVC

الامارات العربية المتحدة

ابو ظبي

جاشنمال: شارع النصر.

مؤسسة عباس اسماعيل: شارع نجدة.

سبينس: تحوي شبكة المخازن المعروفة بهذا الاسم تشكيلة واسعة من البياضات والصيني والادوات المنزلية.

دبي

شركة جمبو المحدودة للالكترونيات: شارع خالد بن الوليد، بر، دبي.

محلات الفجر التجارية: طريق زبيل، قرب المخابز الحديثة.

الايدز: شارع بن ياس.

محلات النصر: طريق دبي - الشارقة. له فروع في: طريق زبيل ومركز دبي التجاري ومركز الغرير.

السوق المركزي: مركز الغرير، ديرة.

جاشنمال وأولاده: مخازن في مركز الغرير، وقبالة عمارة دناتا، ديرة.

محمد ناصر الساير واولاده: عمارة اللؤلؤة، شارع بن ياس.

الشارقة

تقتصر مناطق التسوّق بشكل خاص على شارع الوحدة وسوق الشارقة وشارع العروبة والسوق القديمة بمحاذاة الخليج، وطريق الميناء/منطقة جادة البرج وساحة الزهراء. وسوق الشارقة وحدها تحتوي على أكثر من ٢٠٠ متجر فيها كل شيء من الالعاب حتى الادوات المنزلية الالكترونية، والمجوهرات.

رأس الخيمة

النصر: بناية بورسلي، الى الجهة اليسرى من شارع الصباح. تعرض تجهيزات منزلية والعاباً وقرطاسية وبعض السلع الترفيهية.

ستوديو ومحلات أبولو: شارع المنتصر الى جانب فندق النخيل. يعرض تجهيزات فوتوغرافية.

الكويت

مدينة الكويت

مجمع الصالحية التجاري: شارع الهلالي، مباشرة بعد ملتقى الطرق مع شارع فهد السالم، وعلى بعد دقيقة واحدة فقط من موقف السيارات في السوق المتحدة.

السوق المتحدة: شارع محمد الثنيان، قبالة مجمع الصالحية.

سوق الوطية: خلف فندق شيراتون، على مسافة من شارع فهد السالم.

السوق الكبير: على مسافة قصيرة من شارع فهد السالم، قرب ملتقى الطرق مع شارع الهلالي.

السوق الوطنية: قرب ساحة الصفاة، تتالف من خليط من المتاجر الصغيرة المتشابهة التي تبيع الاقمشة أو اشرطة الفيديو والساعات.

سوق الكويت: شارع مبارك الكبير، الى جانب البنك التجاري.

حولي

مجمّع النقرة الشمالي: الى جانب مركز الشرطة في حولي. انطلاقاً من الطريق الدائري الرابع، انعطف نزولا في شارع المغرب ثم الى اليمين عند اول اشارة مرور. يحتوي المجمع على مجموعة متنوعة من المتاجر.

السالمية

السالمية مركز تسوّق شعبي فيه اماكن متعدد لايقاف السيارات.

الفحيحيل

فيها تشكيلة صغيرة ولكن مفيدة من المتاجر. والأسهل ايقاف السيارة في الارض البور قبالة سوق الخضر والفاكهة.

الأحمدي

تسهيلات التسوّق ملائمة. هناك سوق صغيرة و٣ سوبرماركت حديثة، ومتجر للتجهيزات الكهربائية، ومتجر عام وفروع للمتاجر الرئيسية في المدينة.

جاشنمال وشركاه: يديرون مخازن تنويعية في كل انحاء الخليج ولديهم ثلاثة فروع في الكويت:

- الفرع الرئيسي: شارع فهد السالم.
- الأحمدي - السالمية.

متاجر متخصصة بآلات التصوير

شركة أشرف: ولديها فروع عدة:

- شارع سالم المبارك.
- السالمية - الفحيحيل.

شركة بوشهري للافلام الملونة: ولديها فروع في:

- الدعية - السالمية - الفحيحيل.

شركة آلات التصوير والسينما المحدودة: ولديها فروع في شارع فهد السالم والسالمية والفحيحيل.

أسلوب للحياة...

الق نظرة الى المستقبل.
مجموعة فاروس.
تصميمات ديناميكية.
أنيقة تعمل بالكوارتز.
رقيقة للغاية.
ومقاومة للماء.
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة ورونق المستقبل...
باتت متاحة لك اليوم.

فاروس
اسلوب للحياة من سيتيزن...

أسلوب للحياة...

PHAROS
فاروس

سيتيزن
CITIZEN

لالتقاط صور رائعة
تحتاجون الى ادوات مناسبة

AZ-200 SUPER ZOOM

لم تكن هناك قبلا مثل كاميرا اولمبوس AZ-200 Super Zoom.

لأن AZ-200 Super Zoom ليست كاميرا ٣٥ ملم اخرى. بعدستي "زوم" بل انها جديدة اوتوماتيكية بالكامل، اول كاميرا في العالم مزودة فلاشاً ذا طاقة متبدلة وتحكّم عن بعد (ريموت كونترول) جديد يعتمد التركيز البؤري الذاتي. كل ذلك في حجم مدمج وهيكل خفيف تميزه خطوط اولمبوس الانيقة.
AZ-200 Super Zoom الكاميرا الجديدة ذات الزوم الاوتوماتيكية الكاملة، هي الامتياز في عينه.

AF-10 SUPER

كاميرا اولمبوس AF-10 Super المدمجة للغاية، جذابة في مظهرها ودقيقة في التركيز البؤري للعدسات. تعبيء الفيلم اوتوماتيكياً وتدفعه الى الامام وتلفه. فيها فلاش داخلي اوتوماتيكي. كل ذلك في هيكل جميل وانيق. وهي صغيرة الى حد يمكن وضعها في الجيب او المحفظة.

AZ-330 SUPER ZOOM

انها انجاز مدمج آخر من اولمبوس. كاميرا AZ-330 Super Zoom تخلف AZ-300 Super Zoom التي حازت جائزة. فيها العدسة المتعددة الأداء ٣٨ ملم - ١٠٥ ملم والفلاش الداخلي الثوري Auto-S الخاص بالتقاط صور الوجوه والمشاهد القريبة. ولديها ايضاً جهاز تحكّم عن بعد يتيح لكم الظهور في الصور بينما انتم تصورون! ابحثوا عنها اليوم.

TRIP JUNIOR

كاميرا جميلة وفي المتناول. تمنحكم Trip Junior انطلاقة جيدة لالتقاط صور جميلة. بفضل دقة بصريات اولمبوس وتحريك الفيلم اوتوماتيكياً كذلك الفلاش الداخلي. Trip Junior رفيقة ممتازة في اي رحلة.

OLYMPUS®

البحرين: غجرية الكترونيكس، ص.ب ٣٠٥ المنامة. ت ٢٥٦٨٩٢.
الكويت: شركة كيرتاس وغجرية، شارع فهد السالم، ص.ب. ٣٨٧، ت ٢٤٠٨٠٥٣ - ٢٤٠٨٠٥٤.
السعودية: شركة شمسان وبناما للتسويق والتجارة، ص.ب. ٨٩٠٦٨، الرياض - ١١٦٨٢، ت ٤٦٤٣٨٣٣.
... ٢٨٥٩٥٦، فاكس ٢١١٠٥٥، تلكس SAYEGH EM ٤٧٥٢١.

تمشي في سوجو فترى في كل مدخل سحراً يناديك

مَدينَة الحَدائق في الصين القديمَة

ظلّ القطار طوال بعد الظهر يزحف شرقاً بمحاذاة نهر يانغتسي. قطع نانكينغ ودخل المنطقة الساحلية التي تكثر فيها المستنقعات، حيث "القناة الكبرى" التي شُقّت في القرن السابع تجري بين بلدات قديمة وبحيرات ضحلة.

وتعتبر هذه من الاراضي الاكثر خصباً في الصين. فهي تغلّ مقدار ثلاثة محاصيل من الرز والقمح سنوياً. وكان الفلاحون "الاثرياء" يوسعون بيوتهم تدريجاً كلما توافر لهم مال، فيبنون طبقة ثانية أو يضيفون غرفة في فناء الدار المهمل الذي تحوّل مرتعاً للماعز.

كان الليل انتصف عندما توقف القطار في سوجو. وعلى امتداد ساعتين رحت أجوب الشوارع المظلمة وأطرق أبواب الفنادق من غير أن يفتح لي أحد. ثم عثرت على جدار خلفي لمنشرة حجبتها بعض شجيرات، فأخرجت كيس النوم وأويت اليه.

طلع النهار على مدينة قديمة رائعة. عظامها جادات تحفّ بها أشجار دلب، وشرايينها قنوات رصفت جوانبها بالحجر وفوقها جسور مقوسة في شكل قناطر.

CONDENSED FROM «BEHIND THE WALL,» © 1987 COLIN THUBRON AND PUBLISHED BY WILLIAM HEINEMANN LTD, LONDON
PHOTOGRAPHS: JAMES DAVIS; HEATHER ANGEL; PETER CARMICHAEL/ASPECT PICTURE LIBRARY

هذه القناطر شدهت حتى الرحالة ماركو بولو ابن البندقية. وحملت الشوارع الرئيسية في المدينة طابعاً مميزاً أضفته عليها بيوتها المطليّة بماء الكلس ذات العتبات المنحوتة والنوافذ المجهزة بشَعْريات. وتحوّلت الطرق الضيّقة حول قنوات المياه دروب مشاة. وكانت المراكب تتهادى فوق المياه التي حرّكتها الريح شاقّة طريقها عبر أكوام من أوراق الخريف، وتتلالأ فوقها شرفات وسطوح تدلّت منها نباتات معترشة.

أزهار متفتحة في كل مكان تعترضك في الدروب وفي أفنية المنازل. لقد نمت بدافع الحب الخالص وليس امتثالاً لقرار من البلديّة، ووجدت طريقها الى شقوق الجدران وتحت أشجار الصفصاف. المدينة كلها حلوة، هاجعة، أجواؤها ناعمة وحميمة.

ذكر وأنثى. كانت سوجو طوال قرون منارة لطلاب العلم وللعلماء. وفيها ينتج الحرير وتصنع أرفع أنواع ريش الرسامين. وكانت حُجَّة في أمور الملبس والكلام، ولهجتها الايقاعية المرحة ما زالت تثير الاعجاب، وما زالت نساؤها الرقيقات العظام يُعتبرن أجمل نساء البلاد. وكان موظفو الدولة في عهد سلالة مينغ يمضون فيها سنوات تقاعدهم، ينعمون بالعزلة والهدوء في حدائق تصونها أسوار مرتفعة، ويستغرقون في صقل نفوسهم وتهذيبها، فيتحدثون في الجمال ومقاييسه ويمارسون فن الخط ويدوّنون تعليقاتهم حول مواضيع أدبية وفنيّة كلاسيكية.

جاء في الكتيب السياحي الذي حملته أن جنائن سوجو "تبلور الحكمة الجماعية للناس العاملين في بلادنا." لكن الواقع أنها غير ذلك، فلهذه الحدائق خصوصية فيها كثير من المغالاة. فموظفو الحكومة والتجار والرسامون والشعراء الذين أبدعوا المدينة وسكنوا فيها تمتعوا بحسّ محافظ مرهف، وهم حرصوا على جعل حدائقهم في أماكن منعزلة، وأقاموا حولها جدراناً عالية لها بوابات متواضعة لا تلفت الانظار. فهم أرادوها بساتين يختلون فيها بأنفسهم، لا تتحكم بالطبيعة فتخضعها بل تعبّر عنها وتجلّها.

وحملت هذه المساحات الصغيرة معاني كبيرة. فكل حديقة صورة مصغرة للكون. عنصراها الرئيسيان الصخر (الهيكل العظمي للأرض) والماء (العروق) تتدافع فوقهما الفصول وتتزاحم الاشجار والنباتات وكل منها يرمز الى معنى سام.

الصخور هي العنصر الأهم. وكانت أشكالها وتركيباتها تثير اهتمام الخبراء. وأجود الصخور وأثمنها كانت مغمورة في بحيرة تاي، فثقوبها وشقوقها المميزة التي شكلتها طَرْقات الموج تخلف لدى الناظر اليها انطباعاً بصرياً دائم التغيّر وشعوراً بأن جنوح الطبيعة واندفاعها محتشدان في تلك الصخور التي تجسّد "اليانغ" أي الذكر. أما الأُنثى أو "الين" فهي المياه الخيّرة في البحيرة. ومن اجتماع اليانغ والين تولد أجمل مشاهد الأرض وأكثرها تناغماً وانسجاماً.

المشي في تلك الحدائق أشبه بوطء أرض عذراء. فالدرب يفضي الى طبيعة سرّية تختفي فيها الخطوط المستقيمة. وتتلوى البحيرات ومجاري المياه وتتمعج حتى تختفي. وتغيب الجداول والسواقي تحت أجراف مصغّرة لتعود وتظهر كأنما من وراء تلال خفيّة. أما الدروب المتلوية فتمتد وتطول بجسور متعرّجة. وهذه الصور مجتمعة تترك في النفس سلاماً لذيذاً.

ضيافة صينية. كنت قرأت أن سوجو نجت من فوضى "الثورة الثقافية" بين ١٩٦٦ و١٩٧٦ التي اضطهد فيها نحو ٣٠ مليون صيني وقضى منهم نصف مليون. وفيما أنا أتمشى بمحاذاة إحدى القنوات انغمست في حديث مع رجل قال لي: "لقد وصل الحراس الحمر الى هنا فعلا. ووُصمت عائلتي بالرأسمالية لاننا كنّا نملك أربعة محلات لتجارة الحرير.

جانب من "حديقة المدير المتواضع."

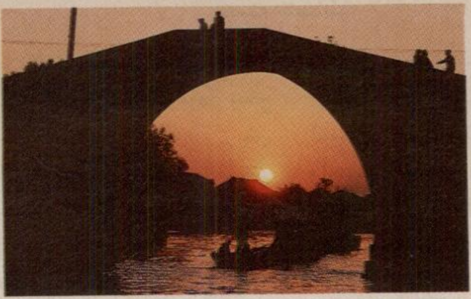

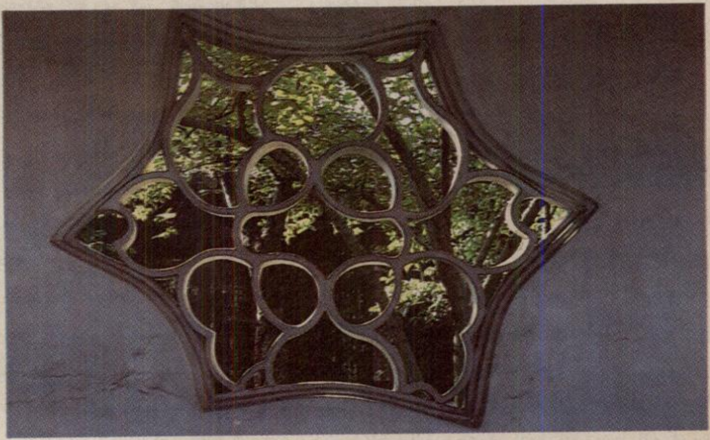

(فوق) الغروب فوق سوجو. (تحت) نظرة الى "حديقة مقصورة الموج الاخضر." (اقصى اليسار) زائر في "حديقة الصياد."

وقتل جدّي وشقيقي الاكبر ودمر كل شيء في المدينة، المعابد والتماثيل ومجموعات تحف فنّية يملكها أفراد عاديون."

كان شاباً لكنه تكلّم كأن هذه الامور حدثت بالأمس.

مع حلول المساء انزلق حديث رواد المطعم الى القيل والقال. وتجمهر الناس أمام دور السينما. وتنوعت أساليب الترفيه على الأرصفة بين سحرة ومشعوذين ومنصّات مرتجلة للرماية ورجل يرقص على عُقد أصابعه.

وكان معي عنوان أُستاذ جامعي اسمه زو يقطن في ضاحية خارج أسوار المدينة. قصدت منزله وقرعت بابه من دون موعد، ففتحت لي فتاة صغيرة تدلت من رأسها ضفيرتان غزيرتان، وأعلمتني أن والديها في الخارج وأن اسمها رينبو - سكاي (قوس قزح - سماء).

وجدت نفسي في شقة من ثلاث غرف، أثاثها اسرَّة من حديد تتحول أرائك. أما الزينة الوحيدة فكانت بعض ملصقات وريشات طاووس في زهرية وحجراً من تلك الحجار المنقرة التي يعشقها الصينيون استقرّ في طبق من البلاستيك فيه ماء. قدّمت الي الفتاة كوب شاي وحلوى، ثم وضعت مجلّد صور العائلة في

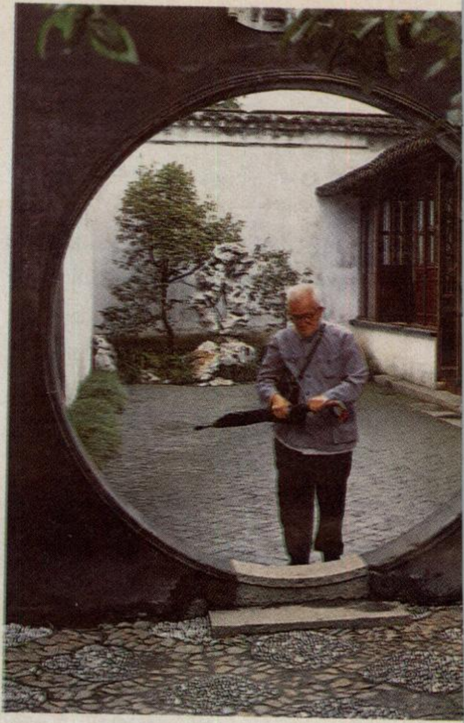

بالنسبة اليهم دواء لجميع الامراض، لا بل هو هاجس عام. وهم يبدون في شأنه اهتماماً يفوق اهتمام الامم التي ابتليت بمجاعة. وغالباً ما يتبادلون التحية بالسؤال: "هل أكلت؟" بدلا من السؤال عن الصحة والاحوال.

كانت رؤوس أفراد الاسرة تلتفت بين الفينة والاخرى الى الوراء حيث جهاز التلفاز الذي تسارعت البرامج على شاشته بايجاز وفوضى وتخللتها اعلانات لساعات يد ومستحضرات تجميل وزينة وأجهزة ستيريو وكلها تحمل أسماء مزيفة لطرازات غربية.

فكّرت في التأثير الهائل الذي يحدثه التلفاز في سكان المناطق الصينية النائية، حيث أبعد ما وصل اليه السكان في الماضي القريب لم يتعدَّ سوق البلدة المجاورة، وفجأة انهال عليهم ذلك الدفق من الافكار المختلفة.

حضنني وانصرفت الى دروسها.

ما ان وصل زو وزوجته وابنه حتى غمرتني العائلة بضيافتها، وهذا يعني طعاماً. أزال زو ما كان على طاولته، وللحال شكل أفراد العائلة ورشة لصنع الزلابية. فوقفت رينبو - سكاي في طرف وراحت ترقّ العجين ووقف شقيقها في الوسط يتناول منها العجينة فيلفها ويقطعها دوائر، فيتسلمها والده الذي تولى حشوها وصفها (اكثر من مئة قطعة) على صوانٍ لتأخذها زوجته وتغليها.

راقبتهم بتعجّب وإعجاب. فبين الصينيين والطعام علاقة عاطفية. والطعام

ليلة مثل هذه. في نهاري الأول في سوجو وجدت الحدائق غارقة في بحر من السياح والمتفرجين، هي التي ما وجدت أصلا الا توسلا للعزلة والأنفراد. وقد بدت بألوانها الخضراء والرمادية الباهتة كرسم لمنظر طبيعي في الريف الصيني. لقد داست الاقدام سحرها. أسرعت الخطى الى الزوايا البعيدة والكآبة تملأ نفسي. كان مشهد الافق من خلال الاشجار مختلفاً من كل زاوية، لكنه لم ينجُ من الانتهاك، فالمصورون المحترفون صادروا النقاط المشرفة التي صممت بدقة ورهافة. ولا بد أن رأسي ظهر في

صور لا تحصى التقطها الزوار بعضهم لبعض في أوضاع مختلفة أمام الخيزران، وهي صور ربما كانت مرضية لولا رأسي الغاضب ذاك.

في الصباح الباكر من اليوم التالي قبل تدفق الحشود، تسلّلت الى حديقة عمرها ٢٠٠ سنة تدعى "حديقة سيّد شِباك الصيد." وهناك في مساحة لا تتعدى نصف هكتار زللت في هوة الزمان.

في الفناء الخارجي انتصبت صخور هامدة ساكنة. وثمة رواق يفضي الى فرجة صغيرة بين الاشجار، ثم تتفرع الدرب. بعد ذلك تحتار العين أمام الامكانات والمفارقات في كل مكان. وعلى بعد خطوات قليلة يتكشف المنظر عن مداخل وبوابات وشعريات تظهر من سطيحة. وخلف افاريز سوداء تسطع شجرة وحيدة وتتألق.

وفي غرف الدارة وقاعاتها بدت النوافذ كأنها جزء من الجدران المطليّة بماء الكلس في الخارج. ومن الغرف المظلمة تلألأت الصخور وأوراق الشجر كأنها صورة ضمن اطار. هنا كان الموظفون المتقاعدون في الامبراطورية الصينية القديمة ينعمون بسباحة هانئة في بحر الخيال، يصقلون اتزانهم ويتبادلون رسوماً خُطَّت بالحبر، ويقلّبون بحنان نُسخاً نادرة طبعت من كليشيهات خشبية. وفي جلساتهم المؤنسة البعيدة عن التكلف يحلو لشاعر أن ينظم بعض أبيات، فينحتها أحدهم في صخر أسود مصقول يثبت في حائط قريب. وتتكاثر القصائد فتبدو الحديقة مثل لوحة للتسلية تتسابق عليها إلماعات أدبية.

أرض كالفضة بلا غبار،
أقحوان كالذهب في أوج إزهاره،
وعلى الطحلب المكسو بالأشنة
يسقط الاجاص الليلكي والبلح الأحمر.
شعاع من مياه الخريف وقمر مستدير.
ألست آتياً يا صديقي
في ليلة مثل هذه؟

في ليلة مثل هذه يتوهج النور داخل نوافذ الاكشاك فتبدو كزخارف مشجّرة وسمت على ورق الرز أو على عرق لؤلؤ شبه شفاف. ويجلس السمّار حول البحيرة يتأملون القمر وهو "يغسل روحه" وينقّيها على أنغام أوتار العود وغرغرة الشراب.

وهناك قول مأثور: إذا رام رجل سعادة أسبوع فليتخذ لنفسه زوجة، أما إذا أحبّ أن يسعد طوال العمر فليغرس حديقة.

كولين توبرون ■

القاضي وأستاذ الموسيقى

نظر القاضي الى المتهم وسأله: "ألم أرَ وجهك من قبل؟"
فأجابه المتهم وهو يأمل خيراً: "بلى يا سيدي القاضي، فأنا من أعطى ابنك دروساً في العزف على الكمان الشتاء الماضي."
فقال القاضي: "آه، الآن تذكرتك." ثمَّ حكم عليه بالسجن عشرين سنة.

ب.ك.

الضحك خير دواء

مريض القهوة

■ قال مريض لطبيبه: "كلما شربت فنجان قهوة انتابني ألم حاد في عيني اليمنى. ما العمل يا دكتور؟"
فأجابه الطبيب: "أخرج الملعقة من الفنجان."

س.ج.

زوجة حنون

■ استقبلت امرأة زوجها بحنان عند مدخل البيت بعد يوم عمل شاق أمضاه في المكتب. فبادرته: "لا بدّ أنك مرهق وجائع يا حبيبي. ما رأيك في طبق من اللحم المشوي على الفحم مع بطاطا مقلية وسلطة تتبعها قطائف محشوّة باللوز والسكر؟
فأجابها: "لا، شكراً، فأنا مرهق وأفضل تناول العشاء في البيت."

أ.ب.ل.

كرم بخيل

■ انزعج مزارع بخيل من أجير لديه كان يتوقف عن العمل لكي يتناول وجبات الطعام. فقال له ذات صباح بعد الفطور: "إنه لأمر مزعج أن نعود من الحقل ونغسل أيدينا ونمضي الوقت في تناول طعام الغذاء. لماذا لا نوفر الوقت ونتناول الغداء الآن؟"
فوافقه الأجير الرأي. وأحضرت زوجة المزارع طبق لحم وبطاطا مقلية، فأكل الرجلان ثانية. وبعد انتهائهما قال المزارع:
"ما دمنا جالسين الى المائدة، فلنتناول طعام العشاء أيضاً." فقدّمت اليهما شرائح اللحم مع البطاطا المسلوقة والخضر، وأكل الأجير مرة ثالثة.
ثمَّ قال المزارع: "الآن وقد تناولنا الوجبات الثلاث ولم يعد لدينا ما يعيقنا، نستطيع العمل طوال النهار من دون توقف."
فأجابه الأجير: "لا، بالله عليك، فأنا لا أعمل بعد العشاء."

و.غ.

موظف مثالي

■ سأل رجل صديقه: "هل أعجبتك وظيفتك الجديدة في المصنع؟"
فصاح الصديق: "لن أعود الى ذلك المصنع ثانية."
- لماذا؟
"لأسباب عدة. فالعبارات البذيئة والقذارة ورداءة العمل أمور لا يتحملونها."

م.ل.

عضة ثعبان

■ سأل ثعبان صغير أمه: "هل نحن سامّان؟"
فأجابته: "نعم يا حبيبي، لماذا تسأل؟"
قال: "لأنني عضضت لساني!"

م.ك

خدعة العصر

حذار، النجوم الرياضيون قد يشكلون خطراً على صحتك

لاعبات كرة المضرب المحترفات هن اليوم رموز للياقة البدنية الرائعة. والدليل الصحافي للاتحاد النسائي الدولي لكرة المضرب، الصادر عام ١٩٨٩، زاخر بصور رياضيات في ذروة اللياقة الصحية. فها هي مانويلا ماليفا منحنية لتطلق ضربة، وهذه هانا ماندليكوفا تتأهب لرد ضربة، وتلك غبرييلا ساباتيني تسدد رمية ساحقة.

ونحسد ساباتيني للقوة التي تعرضها ولجبروت ذراعيها وصلابة بنيتها. وهذه الخصائص تحديداً هي التي تجعلها موضع اعجابنا وتحملنا على التوقف لحظة للنظر الى صورتها. ونقلب صفحات الدليل فنرى ساباتيني حاملة كأساً ضخمة تمثل امرأة أنيقة ممشوقة في احدى يديها مضرب وفي الاخرى سيجارة. وفوق الصورة عبارة: "بطولة دورة فيرجينيا سليمز."* والواقع أن كثيراً من الصفحات الرياضية والبرامج التلفزيونية الرياضية يبرز رياضيات أمثال ساباتيني وهن يعرضن مواهبهن أمام لافتات تروّج للسجائر.

إن هذا لمستهجن حقاً، اذ ان تدخين السجائر يفقد اللاعبين اللياقة التنفسية التي تتطلبها الرياضات الحيهوائية (ايروبيك) ككرة المضرب. وتدخين السجائر، كما ورد في تقرير رسمي حديث لمديرية الصحة العامة في الولايات المتحدة، هو المسبب الرئيسي للوفاة،

(*) «Virginia Slims» ماركة سجائر من انتاج "فيليب موريس" تستهدف سوق الاستهلاك النسائية.

CONDENSED FROM THE WASHINGTON MONTHLY (SEPTEMBER '89), © 1989 BY THE WASHINGTON MONTHLY CO., WASHINGTON, D.C. PHOTO: © FOCUS ON SPORTS

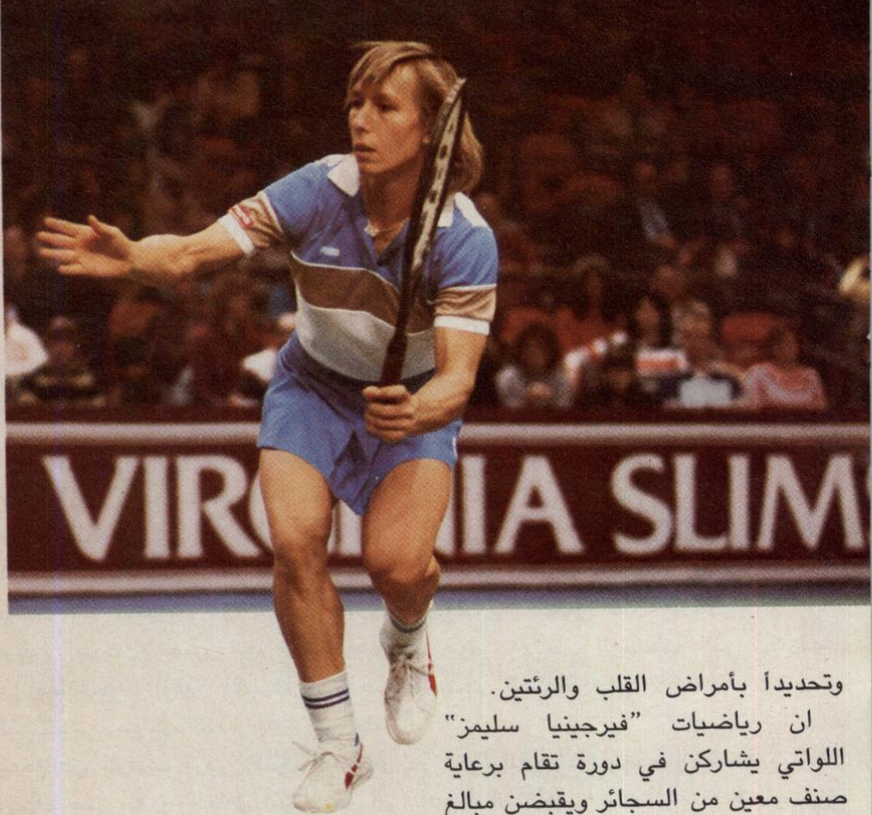

وتحديداً بأمراض القلب والرئتين.

ان رياضيات "فيرجينيا سليمز" اللواتي يشاركن في دورة تقام برعاية صنف معين من السجائر ويقبضن مبالغ ضخمة من شركات سخية لصنع السجائر، لسن سوى قلة من الذين يشملهم الترابط الوثيق بين التبغ وعالم الرياضة. وهناك عدد متزايد من الرياضات التي "تعير" صور لاعبيها كنماذج جسدية رائعة لشركات التبغ التي – وفق تقدير خبراء الصحة – تقتل منتجاتها نحو ألف شخص يومياً في الولايات المتحدة.

تلاحم خطير. يستغل صانعو السجائر الاحداث الرياضية بطرق شتى تترجح بين الاعلانات المعروضة على جدران الملاعب وابتكار أحداث مثل "سباق ونستون" للسيارات أو "سباق مارلبورو" للتزلج. وإعلان "فيرجينيا سليمز": "لقد نجحت الى حد بعيد يا فتاتي،" هو بمثابة تهنئة ذاتية لنجاحها الباهر في إشراك بعض أفضل الرياضيين والرياضيات في الدعاية لترويج بضاعة تؤدي بمستهلكيها الى أمراض قاتلة.

لم يكن بمقدور أباطرة السجائر القيام بذلك لوحدهم، اذ انهم احتاجوا الى تضامن الرياضيين وقد حصلوا عليه.

كذلك احتاجوا الى مساعدة الصحافيين الرياضيين فحصلوا عليها. وأهم من ذلك مؤازرة شبكات التلفزة التي على رغم علمها التام بحظر بث اعلانات السجائر، لم تتورع عن اظهار ملاعب مزدانة بأعلام "مارلبورو" وسيارات سباق تحمل لافتات مصورة لسجائر "كامل" ومسؤولين يعلقون شارات "ونستون."

ان تلاحم عالم الرياضة بعالم صناعة السجائر أفرز ثلاثة عوامل خبيثة على الاقل. الاول، وربما الاكثر اثارة للقلق، أنه يحجب العلاقة بين السجائر والمرض. فاذا ذكرت سجائر "فيرجينيا سليمز" تبادرت الى كثيرين من الناس صورة كريس أيفرت لا صورة جناح السرطان في مستشفى. (وقوة الايحاء هذه هي التي تجعل نجم كرة القدم البرازيلي بيليه يتمنع عن الوقوف قرب لافتات السجائر لالتقاط صور له.) والعامل الثاني هو أن هذا التلاحم يساعد شركات التبغ على اختراق سوق الشباب، فهي في حاجة ماسة الى مراهقين مدخنين لأن قلة من الناس تبدأ تعاطي التدخين بعد بلوغ سن الرشد، لذا تراهن شركات التبغ على افتتان المراهقين بنجوم الرياضة. والعامل الثالث هو ايصال اعلانات السجائر الى شاشات التلفزة.

حملة مدروسة. حين صدر تشريع في الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ يحظر اعلانات السجائر في شبكات التلفزة، واجهت الشركات المنتجة عائقاً يحول دون اقناع الناس بأن التدخين يقود الى السعادة، فزاد ذلك دعاياتها تعقيداً. وفي وجه التحدي الاقتصادي المتمثل بصعوبة تعويض ألف شخص يموتون يومياً من جراء تدخين منتجاتها، تحولت الشركات الى توظيف جزء من موازنتها الدعائية البالغة ٢٥٠ مليون دولار في ذلك التاريخ في رعاية الاحداث الرياضية. وسرعان ما استعادت قدرتها الاعلانية على الهواء، اذ ولدت "دورة فيرجينيا سليمز" عام ١٩٧٠ وولد "سباق كأس ونستون" للسيارات عام ١٩٧١ و"سباق مارلبورو" للخيل عام ١٩٧٣.

ومن الألعاب الرياضية التي اخترقها منتجو السجائر:

كرة القدم. توفّر هذه الرياضة شعبية دولية لصانعي السجائر فيما هم ينمّون تجارتهم في العالم الثالث. فقد كانت سجائر "كامل" التي تنتجها شركة «RJR» أحد الرعاة الاربعة الرئيسيين لدورة كأس العالم عام ١٩٨٦ في المكسيك. وبذلك أتيحت لها الفرصة لنصب أربع لافتات "كامل" ترتفع سبعة أمتار في كل من ١٢ ملعباً في تسع مدن مكسيكية. أما نهائي الكأس في مدينة مكسيكو فنقلت التلفزة وقائعه بواسطة الاقمار الاصطناعية وشاهدها نحو ٥٨٠ مليون شخص لم تفتهم ملاحظة تلك اللافتات التي تحمل اعلانات "كامل".

البايسبول (كرة القاعدة). لشركات السجائر ملصقات اعلانية في ٢٢ من أصل ٢٤ ملعباً رئيسياً في الولايات المتحدة، وهي تحتل مواقع مثالية تركز عليها آلات التصوير أثناء النقل التلفزيوني. ففي "ستاديوم شيا" في نيويورك، مثلا، تلتقط الكاميرا صورة أحد اللاعبين السائرين الى مراكزهم في الملعب، والى جانبه لافتة "مارلبورو". وفي "بارك فنواي" في بوسطن لافتة لـ"صندوق جيمي" لأبحاث السرطان وبقربها لافتة معلّقة لسجائر "مارلبورو."

ويحظر اتحاد فرق البايسبول المحترفة على لاعبيه التدخين في الملعب وعلى مقاعد اللاعبين الاحتياطيين. فلماذا اذاً لا تحظر اعلانات السجائر في ملاعبها؟

سباقات السيارات. منذ العام ١٩٧١ وشركة التبغ «RJR» هي الراعي الرئيسي لمباريات "كأس ونستون" باشراف "الجمعية الوطنية لسباق السيارات." يقول واين روبرتسن أحد المسؤولين في شركة «RJR»: "اننا لا نتعاطى تجارة اللوازم الرياضية، كل ما نفعله هو استخدام الرياضة وسيلة لترويج منتجاتنا. ونلاحظ زيادة في مبيعاتنا في أثناء الاحداث الرياضية وبعدها."

ومن المناسبات الرياضية الاخرى المشمولة بالرعاية "كأس RJR للغولف" و"سباق سالم للقوارب الشراعية" و"بولنغ لاكي سترايك" و"روديو ونستون" و"دورة بنسون اند هدجز للتزلج على الجليد."

المال يولد اللامبالاة. مثلما يتعين توافر حالة فيزيولوجية ملائمة للسرطان كي يفتك بالرئة، كذلك يقتضي توافر مناخ صحافي ملائم للتسلط على عالم الرياضة. وهذا المناخ وفّره الى حد بعيد المعلقون الرياضيون. والعاملان الرئيسيان اللذان أديا الى احلاله، هما اللامبالاة والتسويغ العقلاني. (انها سلعة مشروعة. وللناس أن يقرروا خياراتهم الخاصة.)

ثم ان هناك واقعاً أساسياً في الصحافة عموماً هو أن الناشرين يستسيغون الدخل الذي يجنونه من اعلانات السجائر، وقلة ضئيلة منهم تعتبر الحملة ضد السجائر نعمة لمصالحها. كيف بدلت ايرادات اعلانات السجائر مواقف عالم الصحافة؟ فلنسمع آراء جورج غروس نائب رئيس دار النشر "ماغازين بوبلشرز اوف اميريكا" الذي حذر الكونغرس الامريكي اخيراً من أن القيود الجديدة المقترحة على اعلانات السجائر في الجرائد والمجلات تقلص معرفة الناس لاخطار التدخين. قال: "ان التحذيرات الصحية المهمّة المرفقة بجميع اعلانات التبغ في الصحف ستفوت ملايين القراء."

يا للحجة التي لا تردّ!

في غضون ذلك بينت المعلومات التي جمعها باحثو كلية الصحة العامة في جامعة ميشيغن عام ١٩٨٦ أن ليست هناك فئة من المجلات أكثر اعتماداً على اعلانات السجائر من المجلات الرياضية. فقد أمَّنت هذه الاعلانات ١١،٣ في المئة من دخل المجلات الرياضية في الولايات المتحدة، بعدما كانت هذه النسبة ٢،١ في المئة عام ١٩٦٦ قبل حظر الدعاية في شبكات التلفزة. وبلغت النسبة من دخل مجلة "سبورتس إلوسترايتد" الجبارة ١١،٤ في المئة أي ٢٨ مليون دولار سنوياً.

وكانت نتيجة ذلك تحويل انتباه العموم عما تفعله شركات التبغ في الواقع: إغراء الناس، وخصوصاً الشباب، بشراء مخدر إدماني يقود الى الموت. في مجتمعنا اليوم يلاحَق تجار المخدرات ويُحتقرون ويُنبذون. لكن الأمر يختلف في ما خصّ بائعي السجائر، لان الرياضيين يضفون عليهم مسحة من الاحترام الغالي جداً والذي لا يسعهم نيله بسبلهم الذاتية.

ويبدي ممثلو شركات التبغ شعوراً بالاساءة والانجراح لدى الاشارة الى أنهم يخططون لإغراء الشباب، حتى ان "معهد التبغ" يموّل برنامجاً تثقيفياً يقدم، من بين أمور أخرى، معلومات لتجنيب المراهقين عادة التدخين. يقول ستيف فايس الناطق باسم شركة "فيليب موريس" مقتبساً جانباً من خلاصة تقرير مديرية الصحة العامة في الولايات المتحدة للعام ١٩٨٩ عن عواقب التدخين: ليست الاعلانات ونجوم الرياضة السبب الذي يغري المراهقين بالتدخين، بل السبب هو "الرغبة في التشبه بالأصحاب." وكأن هذه الرغبة هبطت من الفضاء الخارجي من دون أن تكون لها صلة بسيارات السباق ونجوم كرة المضرب!

المطلوب: **موقف حازم**. ان قبول الرياضيين أن يكونوا أمثلة تُحتذى لا يتمثل في نشاطهم الترويجي وانما في صمتهم المطبق، الضروري لتأمين نجاح بائعي السجائر. ويدعي معظم الرياضيين أنهم يولون القضية قليلا من الاهتمام، ولكن ما زعم بيلي جين كنغ وكريس إيفرت ومارتينا نافراتيلوفا، النجمات الثلاث البارزات في رياضة متلاحمة مع شركة سجائر؟ ان الجواب المعتاد هو: اننا لا ندخن، ولا نطلب من الناس أن يدخنوا بمجرد كوننا تحت رعاية "فيرجينيا سليمز."

لكن سيطرة شركات التبغ على الرياضة ليست كاملة، اذ حصلت انتفاضة مثيرة في كندا. ففي موسم ١٩٨٣ – ١٩٨٤ عمدت شركة "RJR ماكدونالد" وهي فرع من شركة «RJR» للتبغ الى التعاقد على أن يكون صنف سجائرها "اكسبورت A" الراعي الرسمي لـ"الدورة الوطنية لجمعية التزلج الكندية." وقد نصّ العقد الاساسي على

أن يكون للراعي "الحق الحصري للاعلان عن ذاته أو عن منتجاته على الرايات والاعمدة ولافتات السباق ولوحات النتائج ومنصات الجوائز وأعلام الانطلاق والأبنية وأنحاء الملعب الخلفية." وعلى الجمعية "أن تبذل قصارى جهدها لعرض الاحداث في شبكات التلفزة الوطنية."

لكن بعض المتزلجين ثاروا معترضين على إسناد الرعاية الى شركة تبغ، فجرى لاحقاً تعديل نص العقد. وساهمت هذه المشادّة في اصدار حظر لكل اعلانات السجائر في كندا. وكان كين ريد الذي مثل كندا مرتين في مباريات التزلج الاولمبية ويعمل الآن مذيعاً، أحد قادة المعترضين. سألته عن رأيه في زعم شركات السجائر انها تروّج فقط لاقناع المدخنين بجودة سجائرها، نافية تشجيعها الفتية على التدخين، فقال: "هذا هراء، فانك حين تستخدم الرياضة تؤثر في الشبيبة."

ان المجموعة الصغيرة في شبكات التلفزة، التي يتحكم أفرادها ببرامج الرياضة، تتمتع بسلطة فريدة في حقل التبغ والرياضة. وليس على مديري شبكات التلفزة الرئيسية الا أن يقولوا: "هاي! هذا اعلان عن السجائر! لا تعرضوه!" فتنتهي اللعبة.

وبانتفاء المؤثرات المضخّمة للبث التلفزيوني تبرد حمى السجائر الرياضية المتفشية منذ ٢٠ سنة. وقد يغيب بعض الاحداث الرياضية البارزة نتيجة لهذا الشفاء. ولكن، اذا لم يكتب البقاء لدورة في كرة المضرب أو لسباق خيل أو سيارات، أفلا يعني ذلك أنه كان دعاية للسجائر اكثر منه حدثاً رياضياً؟

جايسون دوبارل ■

نقد مشروط

لم يسمح لزوجي بقيادة السيارة خلال فترة تماثله من نوبة قلبية. فعرضت عليه مرة أن أنقله من مزرعتنا الى المدينة بشرط ألا ينتقد قيادتي.

حافظ زوجي على صمته التام بعد انطلاقنا، الى أن عبرنا جزءاً من الطريق مليئاً بالحفر، فقال بهدوء: "لقد فاتتك واحدة."

ل.ب.

قانون النسبية

أقنعت أختي والدتنا بصبغ شعرها الشائب. وأعجب به الجميع ما عدا أبي، فسألته: "لماذا لا يعجبك يا أبي، ماما تبدو أصغر خمس عشرة سنة."

فأجاب: "أعلم ذلك، فأنا من تبدو أصغر منه بخمس عشرة سنة."

ف.ك.

أوفير ملهمة الرسّامين

عرفها فان غوغ وسيزان ودوبيني ودوميه وبيسارو وآخرون

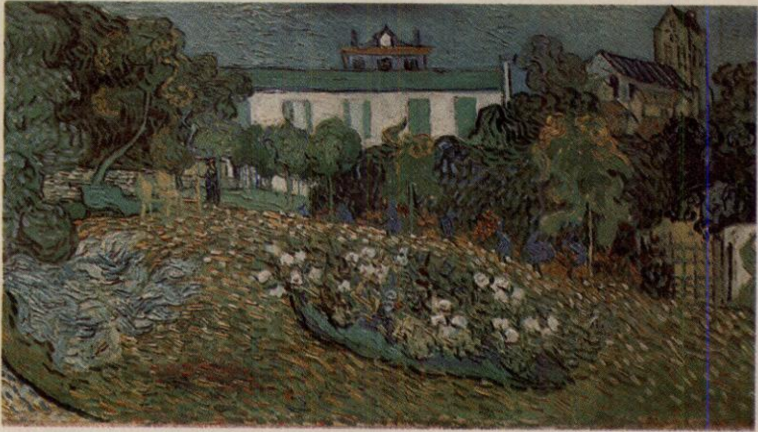

حديقة دوبيني (١٨٩٠) للرسام فنسنت فان غوغ.

تخيَّل أنك حللت بقرية عاش فيها رسام شهير في التاريخ. وأن النزل الذي أقام في احدى حجراته ومات فيه على نحو غريب لا يزال ماثلا في مكانه مشرفاً على مبنى البلدية الذي رسمه. وافترض أيضاً أن الفنان مدفون إلى جوار أخيه في الجبانة الواقعة عند طرف القرية بين حقول القمح التي جعلها الرسام بلوحاته مأنوسة للعالم، وعلى بعد نزهة قصيرة ترتقي فيها الرابية التي تطل من احدى تحفه الفنية المشهورة. وأن القرية تلك تقع على أقل من ٤٠ كيلومتراً من احدى المدن الاكثر ارتياداً في العالم، وأنها لا تزال تبدو كما كانت قبل مئة عام، حين رسمها هذا الفنان وسواه...

ذاك كله قد يكفي وصفاً لمتنزه تاريخي في مدينة كبرى. أما في "أوفير - سور - واز" بفرنسا فهو يحكي قصة يوم في الريف يمضيه المرء على انفراد. لقد ذكر الرسام الهولندي فنسنت فان غوغ في رسالته الى أخيه ثيو بعد بضعة أيام على استقرار مقامه في أوفير في شهر مايو (أيار) ١٨٩٠: "هاهنا المرء على مبعدة كافية من باريس ليشعر بأنه في الارياف حقاً." ثمة أكواخ ودور حديثة لأهل الطبقة الوسطى، ساطعة،

© 1989 BY LES DALY. CONDENSED FROM THE ATLANTIC (JULY '89), BOSTON, MASS.

اجتذب انتقال شارل فرنسوا دوبيني إلى أوفير رسامين آخر. وهنا تمثاله النصفي.

مشمسة، تغطيها الازهار. والجو ينضح صحة وعافية. ولا مصانع، بل خضرة وافرة معتنى بها وذات جمال.

وببعض ترفُّق في الحكم، فإن فان غوغ كان سيجد أوفير – سور – واز اليوم كما عهدها سابقاً. اذ قد أتاها "كالشهاب فأضاءها إلى الأبد،" كما يردد بعض أهليها. وفي نحو ٧٠ يوماً رسم قرابة ٧٠ لوحة عن القرية وجوارها والمقيمين فيها. وقد قصد أوفير – سور – واز فنانون آخرون ليرسموها، أمثال دوبيني ودومييه وكورو وبيسارو وسيزان وموريسو.

ويمكن القول إن أوفير وسفوح روابيها والاراضي الزراعية التي تحف بها في محاذاة نهر واز، يزورها الناس على الدوام ويسرحون الطرف في مناظرها في عدد من متاحف الفنون في العالم، مثل متحف "دورساي" في باريس ومتحف "متروبوليتان" للفنون في نيويورك والـ"ناشونال غاليري" للفنون في واشنطن و"تايت غاليري" في لندن و"كونستموزيوم" في بال بسويسرا و"المتحف الوطني" في استوكهولم ومتحف "هرميتاج" في لينغراد، وهي قليل من كثير. وتنتشر صور أوفير في

PHOTO: CHRISTIAN ARBELOT

CHRISTIAN ARBELOT

MUSEE D'ORSAY, R.M.N.

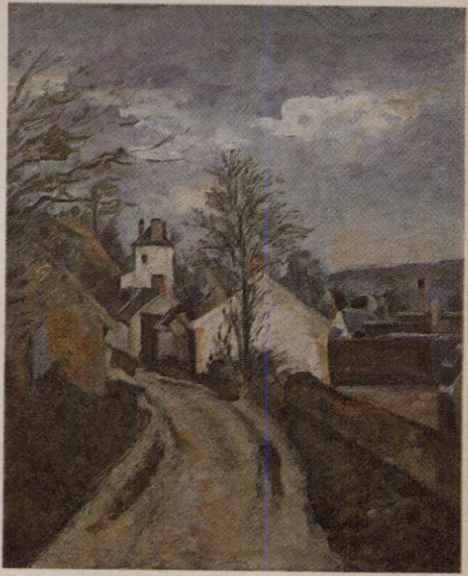

لوحة "بيت الدكتور غاشيه في أوفير" (١٨٧٣) لبول سيزان.

بيت الدكتور غاشيه كما يبدو اليوم.

ألوف من كتب الفنون وملايين البطاقات البريدية.

ومع ذلك لا تزال القرية مجهولة الى حد بعيد.

قبل يوم من زيارتي الأولى لقرية أوفير وقفت أراقب جماعات من الزوار في متحف "دورساي" اذ يمشون بتثاقل أمام مشاهد مصورة للقرية. وكانت في المتحف لوحات "كنيسة أوفير" لفان غوغ و"طريق فرعية في شارع ريمي بأوفير" لسيزان و"بيت المشنوق،" اضافة الى اللوحة النازعة الى الكآبة لفان لغوغ بعنوان "الدكتور بول غاشيه" وهي نموذج احتذاه عدد من الفنانين الذين قصدوا المكان، وهناك أيضاً "حديقة الطبيب" لفان لغوغ أيضاً و"بيت الطبيب" لسيزان.

في اليوم التالي خوت أوفير – سور – واز من المعجبين. هاته القرية التي تحتضن ملهمات فان غوغ والطريق المتشعبة وبيت المشنوق ومنزل الدكتور غاشيه، هي مرتع لفكر كل من يود أن يتأمل براحة. أوفير، بالطبع، ليست تماماً كما تبدو في لوحات رسمت قبل قرن. ولم تكن كذلك قط. فالفنانون الانطباعيون رسموا لنا أثر أوفير في نفوسهم.

في وسعك أن تتوجه من باريس الى أوفير بالسيارة في أقل من ساعة. كما تستطيع أن تصل اليها كما فعل بعض الفنانين، في القطار من محطة سان لازار

(التي رسمها مونيه) الى محطة أوفير (التي رسمها موريس دوفلامنك)، مع الانتقال من قطار الى آخر في بونتواز (العزيزة على قلب بيسارو).

تنساق أوفير صعوداً من نهر واز مرتقية حتى المبنى البلدي الذي صوّره فان غوغ، الى الكنيسة، بلوغاً ذروة الرابية والجبّانة حيث يرقد فنسنت فان غوغ وأخوه ثيو تحت لبلابة خضراء معترشة جيء بها من حديقة الدكتور غاشيه. وتخترق القرية في أطرافها حقول القمح التي تنبسط حتى الأفق المترامي.

أهلها جماعة هانئة من الطبقة الوسطى لا يزيد عددها على ٦٠٠٠ شخص. وكانت أوفير في القرن الماضي موطن نحو ألفي نسمة فحسب. في وسط القرية ساحات مزارع يربّى فيها الإوز والدجاج. سقوف القش العتيقة لم تعد هناك، فالبيوت المتقاربة تكتسي اليوم قرميداً أحمر. وينتشر عبق العافية في السوق المسقوفة وفي جو المتنزه الظليل قرب تمثال فان غوغ وعلى ضفة نهر واز وفي حقل يموج بالسنابل المتراقصة.

في الربيع والصيف تنبجس من منحدرات الهضاب أزاهير تنتشر على الجدران وتحت الشبابيك، متفشية في كل شبر من الأرض.

وتملأ الازهار على الإنسان حواسه: نبات الحلوة المعترش وبقاع الورد والليلك والخزامى والخبازى والفوشية والقطيفة.

اصطحبتني جيزيل بيز (٨٠ عاماً) الى العقار المعروف باسم "حديقة دوبيني" التي رسمها فان غوغ وظلت في حوزة اسرتها منذ العام ١٩١٩. سرت واياها صوب بيت دوبيني الذي يسهل التعرف إليه من اللوحة، متبادلين الاحاديث عن الزهور والجنائن. قطفت جيزيل ملء كفها ورودا من حديقة دوبيني. لفتّ نظرها الى أن أزهارها كانت محط اعجاب فني، فقالت لي وعيناها تومضان: "انه أمر يبعث على اعتزازي. ان لهذا المكان سمة مميزة، ورفعة، ألا ترى رأيي؟"

وشارل - فرنسوا دوبيني رسام من أتباع مدرسة باربيزون، وهو أقل شهرة ممن جاء بعده إلى أوفير. ومع ذلك فهو اعتبر ابن القرية البارّ. ويلمح المرء تمثاله تحت الكنيسة مباشرة إن دخل البلدة بالسيارة آتياً من جهة نهر واز. لقد شاد بيته في أوفير عام ١٨٦١، وتولت أرملته من بعد غرس النباتات في الحديقة. واجتذبت رسومه لوادي واز فنانين أخر. واذ وصل فان غوغ الى أوفير، وهو أحد المعجبين بفن دوبيني، بعث من توه برسالة الى أخيه ثيو جاء فيها: "حقاً، إنها بالغة الروعة."

أوفير قرية يلذ فيها التنزه على الاقدام في مشي لا تعوقه السيارات. وتتموج الدروب في ارتفاع وانخفاض على طول السفح. تقطع العصافير الصمت، وتسمع خطوك اذ تجول في طريق "الدرب العتيقة" (كانت تسمى كذلك أيام فان غوغ أيضاً) من أوفير إلى بونتواز. وهذه

الدرب التي رسمت مراراً مخططة بالمنازل المغطاة باللبلاب والكروم المرقّطة بالزهور. وبيت الدكتور غاشيه ثاو الى جنب الطريق، خلف جدار، عال أبيض اللون ذو مصاريع خضر، كأنه خرج لتوه من لوحة سيزان في متحف "دورساي." والى أسفل الدرب، على مسافة بضعة أمتار، التقاطع مع شارع ريمي الذي خلّد ذكره الرسام سيزان أيضاً.

ومن الميسور الحصول على خريطة مذيلة بشروح وعلى كراسات من مكتب السياحة في أوفير – سور – واز، وهو المكتب المستكنّ قابعاً في زقاق غير نافذ على موقع مصوّر في لوحة فان غوغ "درج مزين بالرسوم." أما البيوت التي رآها فان غوغ فتمكن رؤيتها على نحو جلي في شارع دوبيني.

وعلى منعطف قرب مكتب السياحة يقوم "أوبيرج رافو" (نزل رافو) حيث عاش فان غوغ وانتحر مطلقاً النار على صدره في ٢٧ يوليو (تموز) ١٨٩٠. آنذاك كان فان غوغ يدفع ٣،٥٠ فرنكات يومياً ليسكن في علية فوق المقهى. وهي تدعى اليوم "بيت فان غوغ" وتقع مباشرة قبالة مبنى البلدية الذي رسمه الفنان مزيناً بالاعلام في ذكرى سقوط الباستيل عام ١٨٩٠، قبل وفاته بأيام.

وتسعف الخريطة التي يزودك اياها مكتب السياحة في اكتشاف مناظر طبيعية أخرى وحدائق ومبان رآها الرسامون.

أما البيت الوارد في لوحة "بيت المشنوق" لسيزان فمشغول بالسكان. ويوضح مندوب مكتب السياحة في الكراسة: "لم يُشنق رجل هنا قط، بل عاش رجل اسمه باندو."*

لم يبدل الزمان طباع أوفير. ويبدو أهلوها، والكبار في السن على نحو خاص، شبيهين بسكانها قبل قرن. وإن كنت سعيد الحظ مثلي فستصادف ذات صباح عند بدء العمل في السوق عجوزاً تلبس رداء أزرق ومنديلا أبيض وتتأبط سلة وتسير متباطئة في الطريق المنحدرة الى أسفل الرابية. فقد لمح فان غوغ امرأة مثلها وهو يرسم احدى اللوحات فأبقاها الى الابد حيث هي في يسار اللوحة.

(*) pendu بالفرنسية تعني "المشنوق."

ليس دالي ■

نعم... نعم...

افترق زميلان بعد تخرجهما في الجامعة ولم يلتقيا الا بعد مرور عشر سنين. فقال أحدهما للآخر: "لقد مضى على افتراقنا زمن طويل. هل تزوجت، أم أنك ما زلت تطبخ وتغسل؟"

فأجابه زميله: "أجل."

و.ب.

الصحارى تغزو البحار

لم يعد هناك بحر نظيف في العالم و"عملية البلطيق" مثال يحتذى

الساعة السابعة والنصف من صباح ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٨ رست سفينة الأبحاث "ألكور" في ميناء كييل. وكان أربعة علماء وخمسة بحارة من "معهد علم المحيطات" عملوا خلال الساعة الأخيرة على تحميل السفينة البالغ طولها ٣١ متراً والمطلية باللونين الازرق والابيض. فامتلأت العنابر بصناديق تحوي أنابيب اختبار وقوارير

HANS SICHAU (ALKOR) AND FRIEDER BLICKLE / BILDERBERG

من سفينة الأبحاث "ألكور" (فوق). أحد أعضاء الطاقم يجمع العوالق بشبكة خاصة.

ومصافي وغيرها من لوازم الابحاث.

وثمة رافعة يديرها عريف الملاحين ألفرد توران تنقل الى السفينة معدات كبيرة تولى المساعدون تثبيتها برباطات من المطاط. وهبت رياح خفيفة من البر في اتجاه البحر واعدة بأمواج طفيفة سُرّ لها بحارة "ألكور." لقد غدت السفينة على أهبة الانطلاق في رحلتها الشهرية التي تدوم يومين الى خليج كييل.

بعد ساعتين من الابحار لعلع صوت القبطان هانس سيشو من مكبر الصوت معلناً الوصول الى المحطة الأولى "بوكنس إك" وهي مجرد إحداثية على الخريطة، وموقعها على ٥٤ درجة و٣٢ دقيقة في ١٠ درجات ودقيقتين شرقاً. وكان على الجميع الشروع فوراً في العمل لأن كل يوم في البحر يكلف نحو ١٠ آلاف مارك (٥٤٠٠ دولار).

وهنا تولّت رافعة إنزال مسبار الى الماء متراً متراً لقياس الحرارة والمحتوى الملحيّ لكل متر من الأعماق على حدة، وبث المعلومات الى لوحة رقمية يقرأ مندرجاتها عالِم العوالق[١] بيتر فريتش. وانهمكت المساعدة التقنية رجينا هانسن في تسجيل البيانات. هذه الارقام الأولية هي الأساس الذي يُستند اليه لاحقاً في مقارنة التحاليل.

وفضلا عن المعدات العالية التقنية، عمد الباحثون الى الافادة من "قرص سيتشي" وهو جهاز سمي بعد العالم الايطالي أنجلو سيتشي الذي عاش في القرن التاسع عشر واختبر أقراصاً (ديسكات) لقياس تعكّر المياه. يقول عالم الاحياء البحرية هاي رومور: "ان لهذا الجهاز البسيط أهمية كبرى اذ كان قيد الاستعمال على مر عشرات السنين."

ونتيجة ذلك توافرت لدى العلماء اليوم احصاءات طويلة الأمد عن مدى اختراق الضوء - الضروري لنمو النباتات البحرية - لمياه البلطيق.

وتولى العلماء العاملون عند حافة السفينة غرف عينات من المياه من أعماق مختلفة وحفظها في قوارير. واستعملت شبكات خاصة لالتقاط العوالق النباتية والحيوانية. وجمعت عينات من الرخويات والديدان والحيوانات الشبيهة بالنبات (كالمرجان) بواسطة مقابض وشبكات ومجارف خاصة. وفي الحادية عشرة والنصف صباحاً واصلت "ألكور" إبحارها.

تحضير عيِّنات. هذه الرحلة هي جزء من "برنامج مراقبة البلطيق" الذي ينفذ برعاية "لجنة هلسنكي" (HELCOM). وهو أقرّ في ٣ مايو (أيار) ١٩٨٠ وفقاً للمعاهدة التي وقعت عام ١٩٧٤ في مؤتمر هلسنكي وضمت ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية والدانمرك وأسوج (السويد) وفنلندا والاتحاد السوفييتي وبولونيا. وبموجب هذه المعاهدة تعمل

(١) Planktologist. العوالق هي الكائنات الحيوانية والنباتية الصغيرة المعلقة أو الطافية في المياه.

COPYRIGHT © BY MICHAEL F. GLEICH. CONDENSED FROM LUFTHANSA'S GERMANY (APRIL '89), COLOGNE

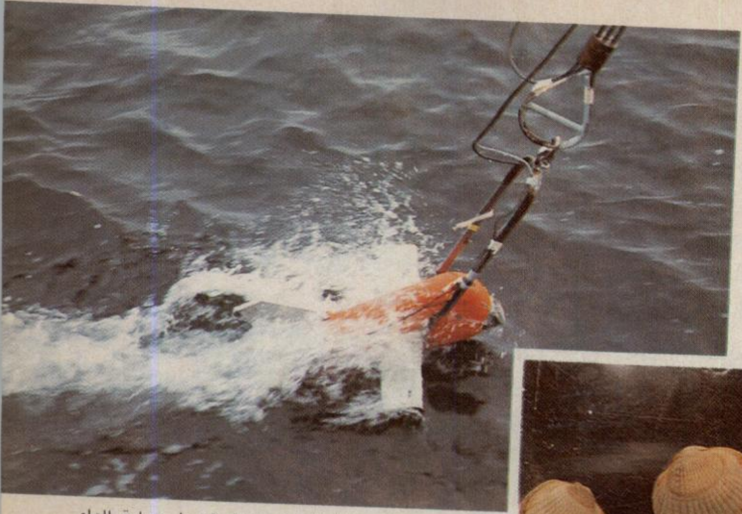

سمكة التجارب الدلفينية الشكل تسجل حرارة الماء ومحتوى الملح.

عينة من قعر البحر تظهر أربع محارات.

البلدان السبعة التي تحوط البلطيق على سد النقص في معرفة الأخطار التي تتهدد التوازن البيئي في مياه هذا البحر.

وقد اختير معهد كييل بقرار من حكومة ألمانيا الغربية التي تقدم للبرنامج مليوناً ونصف مليون مارك (قرابة ٨٠٠ ألف دولار) سنوياً، باعتبار أن هذا المعهد عمل في حقل الأبحاث البحرية في البلطيق منذ العام ١٨٧٠. وتتولى ثلاث سفن هي "ألكور" و"بوسايدون" و"ليتورينا" فحص محطات التسجيل شهرياً ضمن المياه الاقليمية الالمانية الغربية في البلطيق. وتتضافر جهود ١٦ عالماً وخبراتهم في حقول علم العوالق والكيمياء البحرية وعلم الاحياء المجهرية البحرية لهذه الغاية.

ويحضّر العلماء الأربعة على متن "ألكور" العينات لتحليلها لاحقاً في كييل. وقد صممت هذه السفينة لتكون هادئة وخالية من الاهتزاز ما أمكن.

تسكب رجينا هانسن محتويات القوارير في صف من الأقماع، وتسحب السائل بواسطة مضخة خوائية عبر مصافٍ بيض رقيقة. تقول: "تظهر الفحوص اللاحقة بواسطة الفوتومتر[٢] كمية الكلوروفيل، وهي المادة الخضراء الملوِّنة في الخلايا النباتية، وبذلك تبين كثافة العوالق النباتية في المياه." وفي وسع الكيميائيين اجراء تحاليل على متن السفينة لتحديد كمية مركَّبات النيتروجين (الآزوت) والفوسفور في المياه.

(٢) الفوتومتر جهاز قياس الشدة الضوئية.

PHOTOS: FRIEDER BLICKLE / BILDERBERG

نفوق جماعي. المشكلة الرئيسية التي يعانيها البلطيق هي تدفق كميات ضخمة من مغذيات العوالق النباتية. ففي كل عام يصب في مياهه، من طريق الانهر والمطر، أكثر من ٥٠ ألف طن من الفوسفور وما يزيد على مليون طن من النيتروجين مصدرها الأعمال الزراعية والمواد البرازية. وهذا التسميد المفرط يطلق العنان لنمو فائض من النباتات البحرية. وتذوي الطحالب بعد بلوغها وتترسب في الأعماق. وتستنزف عملية التحلل مادة الاوكسيجين. في هذه الاثناء يكون ربع الطبقات المائية السفلى (نحو ضعفي مساحة الدانمرك) خالياً من الاوكسيجين. وبذلك تنتفي الحياة في هذه الصحراء المحدثة.

والواقع أن البلطيق لا يتغذى الى درجة الموت فحسب، بل يتسمم من جراء المعادن الثقيلة كالزئبق والكاديوم والنحاس التي تحويها النفايات الصناعية. وتستعمل مركّبات "بوليكلوريتد بيفينيل" (PCB) كسائل ناقل يتبخر أولا في الجو ثم يعود فيسقط مع المطر. وتتجمع كل هذه الملوّثات في الطحالب والأسماك واللبونات. وقد تناقصت أعداد الفقمة الرمادية في البلطيق من مئة ألف عام ١٩٠٠ الى ألفين عام ١٩٨٩. والى ذلك وجدت كميات عالية من الـ «PCB» والمعادن الثقيلة والمبيدات في دهون الفقم ويُعتقد أنها تسببت في عقمها.

كانت حياة الحيوانات البحرية في البلطيق مشوبة بالخطر على الدوام. وقد روي عن حوادث نفوق جماعي للاسماك منذ القرن الحادي عشر. ولهذا سبب طبيعي مفاده أن لبحر البلطيق نظاماً بيئياً شبه مغلق. فمعبره الى بحر الشمال (وبالتالي الى المحيط الاطلسي) لا يتجاوز عرضه ٢٥ كيلومتراً. لذلك لا يتنفس البلطيق الا متى خفضت الرياح الغربية القوية المتواصلة مستواه ما يتيح للمياه الغنية بالاوكسيجين التدفق عبر سكاغراك وكاتيغات. وقد سُجل آخر تدفق رئيسي للمياه الغنية بالاوكسيجين عامي ١٩٥١ و١٩٧٥، ومنذ ذلك الحين قبع البلطيق منتظراً "التنفس الاصطناعي." وخلال العقود الأخيرة زادت البلدان المحيطة به مصائبه باستعماله مرمى للنفايات مما رفع معدل النفوق الجماعي للاسماك.

حصاد بحري. وصلت السفينة "ألكور" بعد الظهر الى محطتها الثانية "فهمارن بلت" حيث انتشل مزيد من العينات. ثم أبحرت الى هايلجنهافن لترسو ليلا.

وفي الصباح أبحرت نحو خليج كيل حيث محطتها الثالثة والأخيرة. وكان رومر، المكلف تسجيل المتغيرات في الحياة النباتية والحيوانية في قعر البحر وسرعة امتداد "صحراء" ما تحت الماء، قد بدأ حديثاً استعمال آلات تصوير فيديو

للضوء الخافت إضافة الى الأبحاث التقليدية بواسطة الآلات القابضة. وكانت آلات التصوير تُدلى بأسلاك الى قعر البحر وتبث الصور أثناء إبحار السفينة. وتمكن رومر، بفضل الفيديو، من تقديم البرهان الحسي الدامغ عن مدى سوء حال البحر المائت.

ويرى هورستمان أيضاً المستقبل "الصوري" لبرنامج المراقبة. فعلى مدى سنوات أفاد من صور الاقمار الاصطناعية لدراسة تأثير التسميد المفرط في النباتات البحرية. وهذه الصور توفر معلومات إضافية عن الحرارة ومحتوى الكلوروفيل في البحر. فإذا ما أُخذت العينات في وقت يكون القمر الاصطناعي فوق "ألكور"، فإن التحاليل تعطي نتائج أفضل بدمج نتائج هذين المصدرين للمعلومات.

وتعود "ألكور" الى الرصيف الذي انطلقت منه بعد رحلة غطت فيها مسافة ٣٧٠٠ كيلومتر، فيما تجمَّع لدى العلماء "حصاد" بلغ عشرين ليتراً من مياه البحر.

حقائق خافية. تبدأ التحاليل التفصيلية في اليوم التالي. وبما أن عينة واحدة تحتاج الى ثلاث ساعات من العمل المتواصل، فإن قضاء يومين في البحر يتطلب شهراً كاملا من العمل في المعهد. واستناداً الى الفوتومتر والمجهر الضوئي والمجهر الالكتروني يعمد العلماء الى جمع صورة متكاملة كأحجية الصور المقطعة. ومن أعمالهم فحص انتشار المغذيات والعوالق ومحتوى الاوكسيجين على أعماق مختلفة، كذلك التدقيق في مستويات الملوثات في الكائنات البحرية. ومن أهدافهم التحقق من احتمال حلول أشكال حياتية قادرة على تحمل الملوثات مكان تلك الأقل مقاومة.

وتُرسل جميع البيانات الى "لجنة هلسنكي" التي تزود البلدان الاعضاء أسطوانات للدماغ الالكتروني تحتوي على المعلومات التي تم جمعها.

وعلى رغم أن البلطيق هو من أكثر المناطق البحرية خضوعاً للابحاث المكثفة، فان كثيراً من الحقائق عن نظامه البيئي ما زال مجهولا. وفي وقت يواصل السياسيون طلب مزيد من التحاليل الطويلة الأمد قبل أخذ أي إجراء أو صرف أي أموال، يرفض العلماء هذا الموقف. يقول هورستمان: "يجب أخذ الاجراءات الوقائية الآن."

ويضيف البروفسور يان س. دوينكر مدير معهد كيل: "على رغم الأخبار الجيدة التي تفيد أن مستويات المبيدات والزئبق تدنت في السنوات الاخيرة، فعلينا ألا نألو جهداً في خفض الملوِّثات في البلطيق الى كميات مقبولة. إن التعاون الوثيق بين البلدان السبعة المجاورة وتنفيذ برنامج المراقبة هما الخطوتان الاوليان في هذا الاتجاه."

مايكل ف. غليش ■

لتربية أولاد ناجحين

أستاذ مرموق يشرح ماذا يتوجب على الوالدين أن يفعلوه لتنشئة أولاد موهوبين وسعداء

مغفورة غيرة الآباء والامهات الذين يعرفون أولاد سوزان وديفيد دوس. فابنهما بيلي نال منحة دراسية لعلاماته المرتفعة في المدرسة الثانوية، وهو حالياً طالب في السنة الاولى في جامعة برنستون المرموقة. وابنهما الثاني جيم في السنة الثالثة في جامعة بنسلفانيا، وهو كان اختير لالقاء خطبة الوداع في حفلة التخرج المدرسية عام ١٩٨٧. وابنهما البكر دونالد، الذي ألقى خطاب التخرج في العام ١٩٨٥، تخرّج بامتياز مهندساً كهربائياً في جامعة كورنيل.

وأولاد دوس ليسوا من أولئك الطلاب الاذكياء المجتهدين المنطوين الذين لا يعرفون من ضروب المجتمع سوى الكتاب. فجيم تورط في معارك عدة مع فتيان آخرين. وبيلي زير نساء. لكنهم جميعهم مهذبون ولائقون ومن فئة الطلاب الذين أفتقدهم بعد التخرّج.

ما سرّهم؟ كيف يربي الآباء أولاداً متعددي المواهب وسعداء وقادرين على الافادة من كامل طاقاتهم الكامنة؟

من مقابلتي آباء تلامذة لامعين تكشّفت لي خيوط كثيرة مشتركة بينهم.

الآباء أنفسهم ناجحون في أعمالهم، لكنهم ليسوا مأخوذين كلياً بالسعي المحموم الى النجاح. والتضحيات القيّمة التي يقدمونها ليست من نوع الانفاق المسعور للمال والوقت من دون حساب، كتسجيل الولد في كل صف لتعليم الباليه أو ركوب الخيل أو السباحة أو اللغات الحديثة. الآباء الناجحون حقاً يشيعون في بيوتهم أجواء مريحة تسمح ببعض الاسترخاء.

لم يكن ديفيد وسوزان دوس طالبي علم خارقين. فلقد كانت علامات ديفيد في جامعة كاليفورنيا الجنوبية فوق المعدل قليلا، فيما قطعت سوزان دراستها في كلية أليغني وهي في السنة الثانية. لكن الزوجين منحا أولادهما دائماً نعمتين يستنكف معظم الآباء اليوم عن تقديمهما، ألا وهما الوقت والاهتمام.

يتذكر دونالد: "كنت أقذف بكتب الرياضيات والعلوم الى الحائط وأصرخ

© 1989 BY PATRICK WELSH. CONDENSED FROM WASHINGTON POST (MAY 28, '89), WASHINGTON, D.C.

منادياً أبي. وهو كان أكثر صبراً من معظم المدرسين."

يُجمع الاولاد الثلاثة على القول ان والديهم أحدثا جواً كان للدرس فيه الاولوية. فلم يسمحا لهم بالعمل بعد الانصراف من المدرسة، وأفهماهم بوضوح تام أن مسؤوليتهم الأولى هي أن يكونوا تلاميذ.

أصحاب مواقف. قبل ثلاث سنوات درَّستُ مادة اللغة الانكليزية للسنة الجامعية الرابعة، وكانت في الصف طالبة اسمها ويني تيت. وقد أظهرت مقالاتها بصيرة وكياسة ورهافة جديرة بامرأة تبلغ من العمر ضعفي عمرها. ثم اكتشفت أن ويني قارئة نهمة لا تعرف الشبع، كذلك شقيقتها فرنسيس. ولم يكن ذلك لمجرّد أن الفتاتين "خُلقتا هكذا،" بل لانهما تلقتا عناية غير عادية من والديهما بيل وسوزان تيت اللذين درجا على القراءة لهما ساعة كل مساء وعلى امتداد سنوات.

كثير من المراهقين اليوم يمضون أوقاتهم منغمسين في ثقافة للشباب ملأى بأسباب الالهاء ومعزولة عن عالم الكبار البالغين. أما الأولاد الذين يتركون في النفس انطباعاً حسناً وعميقاً فهم أولئك الذين يصرفون وقتاً طويلا في التحدث مع ذويهم وسواهم من الراشدين.

في مطلع احدى السنوات الدراسية لاحظت أن الفتاة ارين مالولان وجدت لذة كبيرة في المقارعة حول المعنى الرمزي للكهف في كتاب "الجمهورية" لافلاطون.

وعندما سألتها من أين لها ذلك الشغف بالفكر، أجابتني: "من مائدة العشاء. فقد اعتدت وأبي أن نتناقش في أمور الفكر والسياسة. وأنا أخالفه الرأي أحياناً كثيرة، لكن ذلك لا يزعجه. وأمي مثله، ويمكنني أن أبحث معها في أعمق الامور من دون أن أشعر بأي حرج."

ان دان مالولان، والد ارين، مدير تنفيذي في مركز للابحاث تابع للكونغرس الامريكي، وهو منهمك حالياً في تأليف كتاب، كما أنه عضو نشيط في رابطة المعلمين والأهل. ومع ذلك يجد الوقت لتناول طعام العشاء مع عائلته كل مساء.

عدد كبير من التلاميذ المؤثرين الذين عرفتهم كانوا يعيشون مع أحد والديهم. جويس رولنغز مستشارة تعليم ربَّت ابنين ناجحين: دوين الطالب في جامعة براون، ودونيل الذي أكمل سنوات التدريب الاربع في سلاح الجو.

تقول جويس ان انفرادها بتلك المهمة لم يكن سهلا عليها. وتضيف: "ان اتخاذك موقفاً بمفردك أمر أكثر صعوبة. فانك تشك في نفسك وتظن أنك مفرط في القسوة والانتقاد. لكن الاسوأ من ذلك ألا يأخذ المرء موقفاً."

غربة الابناء. قد يكون الاولاد محور الدائرة التي يدور حولها الأب او الأم، لكن هذا لا يعني بالضرورة أن يكونوا مترددين أو سريعي الانقياد أو مفرطين في الحماية. وجعل الاولاد يواجهون بعض تحديات الحياة ليس بالطلب الكبير، فهم أيضاً يحتاجون الى التحدي، كما أن

بعض الانزعاج مفيد لهم.

يقول اريك بيترسن ان أصدقاءه شككوا في صلاح الخيارات التي اعتمدها هو وزوجته جين في تربية ابنيهما جوش ونيك. فعندما سنحت لاريك فرصة للعمل في منطقة الشرق الاوسط عام ١٩٧٦، نصحه البعض ألا "يرمي" ولديه في ثقافة أجنبية ونظام مدرسي أجنبي.

ويتابع اريك: "يفوّت معظم الأهل فرصاً ثمينة لاغناء حياتهم خشية إفساد النظام الذي درج عليه أبناؤهم." وتجربة الغربة تلك لم تتح للصبيين تعلّم اللغة الفرنسية فحسب، بل "حرمتهما" مشاهدة التلفاز أربع سنوات، وذلك في نظر والدتهما ميزة كبيرة. وجوش الآن في السنة الثالثة في جامعة هارفارد يدرس تاريخ الشرق الأوسط.

وينسى الاهل أحياناً أن للعمل الجاد المفعول نفسه الذي للمنهج الدراسي المتماسك. وتقول جويس فان تاسل – باسكا الاستاذة في كلية وليم وماري في فرجينيا: "أنا لا أعرف راشدين ناجحين لا يعملون بجدّ. فالعادات العقلية والنفسية تسود بعد مرحلة الدراسة الثانوية. وفي عالم الراشدين ترجح كفة العمل الجاد والمثابرة على كفة المقدرة المجردة."

قلّة من الأولاد تقدر هذا الأمر مثل جوناثان غير الذي كان يعاني صعوبة في تعلم اللغة ومفرداتها. وهو أمضى ثماني سنوات في مدرسة ابتدائية خاصة.

ويتذكر جوناثان تلك السنوات: "كنت مسحوقاً عاجزاً عن تأدية واجباتي المدرسية بسبب ما تعرّضت له من ضغط وإجهاد. وبدا لي أن المدرسين اعتقدوا أنهم كلما ازدادوا صراخاً ازددت تعلّماً. ووُضعت في صفوف المشاغبين الذين رفضوا العلم. لكن والدتي ما فتئت تردد على مسامعي أنني ذكي وحذق مما بعث الثقة في نفسي. وهي التي علّمتني القراءة في نهاية الامر. وما أن أجدتها حتى رحت ألتهم الكتب."

وجوناثان، الذي ملأ صفي اشراقاً طوال سنة بنفاذ بصيرته الادبية، قُبل طالباً في جامعة تولان.

ويرى جيم ماكلور مدير مكتب الارشاد المهني والتعليمي في جامعة ت.س. وليمس، أن العقلية السائدة بين أهالي الطلاب ذوي الأداء المتدني هي عقلية "الاصلاح السريع." ويضيف: "هم يأتون الي طالبين حلا فورياً لمشاكل أولادهم. انهم غالباً من الأهل الذين لم يكرسوا الوقت الكافي لاولادهم وهم في طور النمو بسبب افتقارهم الى سلم أولويات صحيح في المقام الأول." ولا يمكن أن يحلّ مكتب الارشاد، في أحسن حالاته، محل الأهل على الاطلاق. انه مكان مناسب لطلب المساعدة، ولكن علينا أن نواجه الحقيقة، وهي استحالة "تلزيم" الأبوة. فلا يسع المرء أن يحصل على أولاد ناجحين بالاستقواء أو بالمال. وهم لا يربون على "وقت ثمين" بل على وقت حقيقي، وقتك أنت. ويلزمهم الكثير منه.

باتريك ولش ■

تأملات معاصرة

النقد واليقين

■ ينبغي تجاهل الانتقادات عندما تأتي من جهة واحدة. ولكن عندما تكثر الجهات التي تطلق هذه الانتقادات يحين الوقت لاخذها في الاعتبار. وكما قيل يوماً: "اذا دعاك أحدهم حماراً، فتجاهله. وإذا دعاك اثنان حماراً، فابحث عن آثار الحوافر. أما اذا دعاك ثلاثة حماراً، فعليك بشراء سرج."

مارشال شيلي

خطر الاصلاح

■ لا تنفجر الثورات فقط عندما تتحول الأمور من سيىء الى أسوأ، بل كثيراً ما يحدث بعد فترات طويلة من الحكم الجائر الذي يصبر عليه الشعب أن يشعر الناس فجأة بأن الحكومة تتساهل معهم، فينقلبوا عليها. وهكذا، فأن النظام الاجتماعي الذي تطيحه ثورة يكون في معظم الاحيان أفضل من النظام الذي يسبقه مباشرة. وتعلّمنا الخبرة، عموماً، أن اللحظات الأشدّ خطراً على الحكم هي تلك التي تصبو فيها الحكومة الى اصلاح ذاتها. فالضيم الذي يصبر عليه الشعب حين يبدو التخلص منه مستحيلا، يغدو لا يطاق متى لاح في الافق امكان ازالته.

الكسي دي توكفيل، كاتب وسياسي فرنسي (١٨٠٥ - ١٨٥٩)

التلفاز الغبي

■ لعلّ أربعين سنة من مشاهدة التلفاز هي سبب مهم لتراجع ذكائنا. وأشبِّه برامج المحطات التجارية بالأطعمة غير الصحية. ولا أعني بذلك أن مشاهدة عرض ثان مدة ثلاثين دقيقة فقط تُسقط جزءاً من الدماغ من الأذن اليسرى، تماماً كما أن تناول قطعة من الخبز الأبيض لن يؤدي الى سقوط احدى أسنانك. لكن أربعين سنة من تناول الخبز الابيض والسكّر الابيض وما شابههما لا بدّ وأن تصيبك بأذى صحّي. كذلك، فان أربعين سنة من مشاهدة البرامج التلفزيونية السخيفة لا بدّ وأن تترك أثراً هدّاماً في الذكاء.

ستيف آلن، فكاهي ونجم تلفزيوني

أمريكيات ويابانيات

■ نشر فريق من الباحثين عام ١٩٨٦ دراسة عن الامهات اليابانيات والامريكيات. وسئلت الامهات تصنيف أهم الأمور التي يحتاج اليها الاولاد للنجاح في الدراسة. فأظهرت الاجوبة فروقاً واضحة بين الحضارتين اليابانية والامريكية اليوم.
اختارت الامهات الامريكيات "المقدرة."
واختارت الامهات اليابانيات "الجهد."

ريتشارد فينان
عضو في مجلس الشيوخ الامريكي

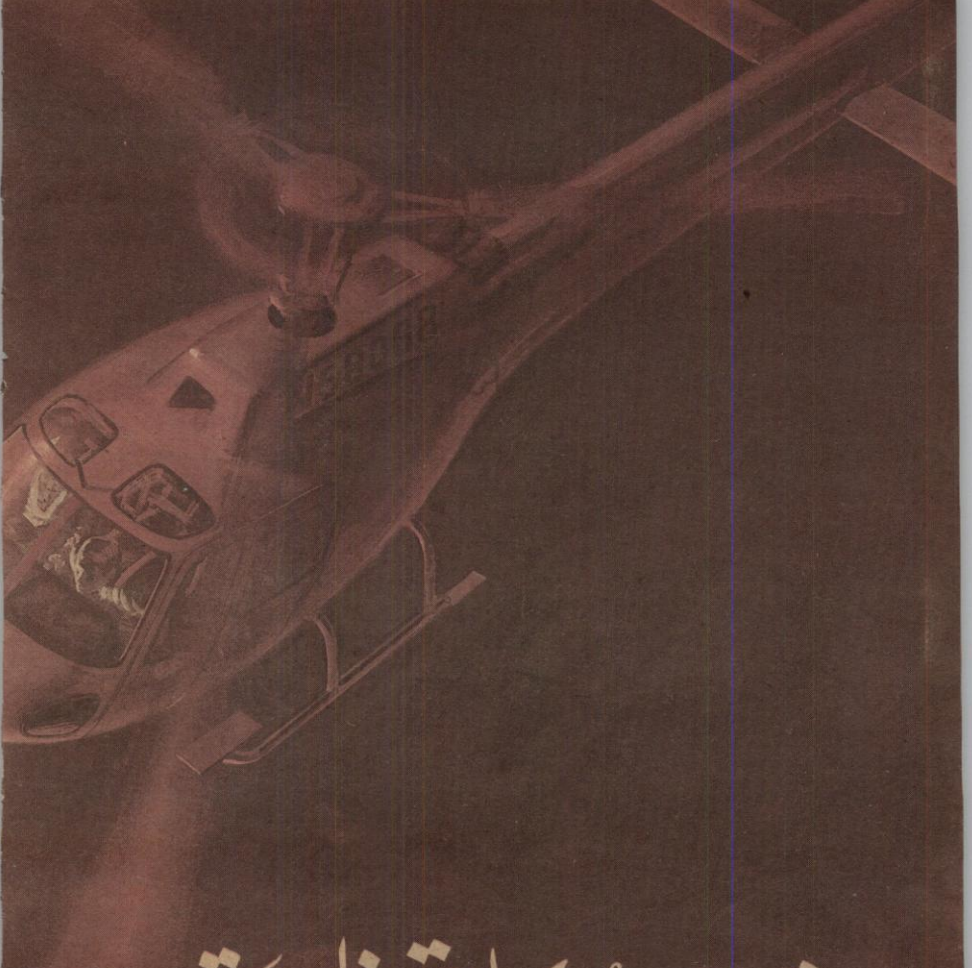

زرع كُليَة نادرَة

الكلية الموهوبة جاهزة للزرع

لكن المريض مخيِّم في مكان ما من الصحراء

فهل تفوته فرصة الحياة؟

© 1989 BY JACQUELINE SHANNON. CONDENSED FROM SPECIAL REPORT: LIVING (AUGUST-OCTOBER '89), 505 MARKET ST., KNOXVILLE, TENN. 37902. ILLUSTRATION: GARY MEYER

أعادت آن بريكنردج سماعة الهاتف ببطء الى موضعها ووقفت هنيهة تفكر. انها في منزلها في أورانج بولاية كاليفورنيا والساعة السادسة والنصف من مساء ٢٥ مارس (آذار) ١٩٨٩.

وأن ممرضة منسقة في قسم "زرع الاعضاء الحيوية" في مركز وسترن الطبي في سانتا آنا. سألها زوجها جورج: "من كان يحدثك على الهاتف؟"

فردت: "المستشفى. لقد تم الحصول على كلية من الفئة ب. لا أصدق أنهم وجدوا واحدة بهذه السرعة. يجب أن أعثر على تشارلز ريدجواي."

توافرت كلية من الفئة "ب" النادرة لاحد مرضى آن الخمسة والعشرين الذين ينتظرون أعضاء موهوبة. سألها جورج: "الا يسعك الاتصال به على المنبه الالكتروني[١]؟" وكان جميع مرضى آن مزوَّدين أجهزة كهذه.

راحت آن تتصفح الملفات: "انه خارج نطاق الـ١٥٠ كيلومترا، يخيم في منطقة غلاميس الصحراوية النائية قرب الحدود المكسيكية."

قبل نحو ثلاثة أسابيع أُدرج اسم ريدجواي على لائحة تتضمن أسماء ١٣ ألف أمريكي يحتاجون الى كلى موهوبة. آنذاك قال له الاطباء: "ان فئة دمك النادرة قد تجبرك على الانتظار سنتين للحصول على كلية."

وكانت آن دائما تشجع مرضاها على متابعة حياتهم الطبيعية، وتردد على

---

(١) Pager or beeper وهو جهاز صغير للجيب يصدر صوتا خاصا لتنبيه صاحبه الى ان ثمة خبرا مهما له ويستعمله الاطباء عادة.

مسامعهم: "اذهبوا حيثما أردتم، وسنجدكم عند الحاجة وإن اضطررنا الى الاتصال بالشرطة."

وها هو الوقت حان لتبرهن ذلك. فقالت لزوجها: "يريد الطبيب تجهيز ريدجواي للجراحة قبل السابعة صباحاً. والمريض في حاجة الى ثلاث ساعات ديلزة[2] على الاقل قبل الجراحة."

تناول جورج خريطة وحدد موقع غلاميس عند نقطة التقاء حدود كاليفورنيا وأريزونا والمكسيك. قالت آن: "لنتصل باعضاء فريق البحث والانقاذ، وهم يخبروننا من أين نبدأ."

مريض متعب. على بعد ٣٠٠ كيلومتر تناول تشارلز وبيتي ريدجواي وابنتهما روبن طعام العشاء داخل مقطورتهم ثم جلسوا يقرأون فيما المطر الغزير يقعقع على السطح.

ألقت بيتي نظرة عاجلة على زوجها، وهو في السابعة والاربعين ويعمل مدير محاسبة لدى شركة كبرى. فوجدته متعباً، لكن ذلك التعب بات طبيعياً، فقبل ١٣ سنة حدد الاطباء مرضه وهو تكيُّس الكليتين. وهذا اعتلال وراثي يتسبب في نمو أكياس في الكليتين وربما ادى الى اتلافهما. ولم يشكل ذلك عائقاً الا منذ سنتين ونصف سنة حين بدأ تشارلز يشعر بتعب مضن. آنذاك أخبره أحد الاطباء أن كليتيه تعملان بفاعلية لا تتجاوز ٢٠ في المئة من طاقتهما.

في أواخر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩ تضخمت كليتاه بالاكياس الى حد ابراز معدته خارج قامته الناحلة. وفي منتصف شهر يناير (كانون الثاني) تدنت فاعلية كليتيه الى ٥ في المئة فبدأ يخضع للديلزة ثلاث مرات في الاسبوع.

وكانت رحلة آل ريدجواي للتخييم في غلاميس الاولى منذ بدء تشارلز المعالجة. واعتبرتها بيتي نوعاً من التجربة: فهل يتحمل تشارلز رحلة ست ساعات في السيارة؟ كان في المدينة يحتاج الى كل ذرة من طاقته لتمضية أيام العمل الاسبوعية. وهو بدا في حال جيدة، ولم يتذمر على الاطلاق.

ألقت روبن كتابها وأدارت جهاز الراديو. أما المحطة الوحيدة التي استطاعت التقاطها فكانت «KNX» التي تبث الاخبار من لوس انجلس. لكن الارسال كان مشوشاً، فأطفأت روبن الراديو قائلة: "تباً لهذه العاصفة!"

اتصالات محمومة. قبيل ذلك المساء كان بوب تور مراسل «KNX» جالساً متعباً في منزله في باسيفيك باليسدس. لقد شغلت أخبار المطر نهاره، وكان عليه أيضاً الاهتمام بعمله الخاص في "وكالة لوس انجلس للانباء" التي يملكها والتي تزود محطات التلفزة أشرطة إخبارية يصوِّر بعضها من طوافته.

رن جرس الهاتف وكان على الخط غاري ستوكدايل من "فريق البحث والانقاذ" يحمل اخباراً عن تشارلز ريدجواي: لم يعثر عليه حراس الغابة. فعمد ستوكدايل الى الاتصال بمراسلي

(٢) Dialysis. وهي ما يعرف بـ"غسل الكليتين."

محطات التلفزة والراديو لاذاعة هذا الخبر.

اتصل بوب هاتفياً بقسم الاخبار في «KNX» فبث المذيع الخبر مباشرة على الهواء مكرراً الرسالة كل عشر دقائق، وكان بوب يغلي كلما سمعها.

في تلك الاثناء اتصلت آن بريكنردج بمنزل آل ريدجواي في أناهيم على أمل أن يكونوا عادوا اليه باكراً بسبب المطر. فرد الابن مات ريدجواي وهو طالب جامعي لم يرافق أهله في رحلة التخييم لانشغاله ببعض الابحاث. فشرحت له آن الوضع، فقال لها: "لا يجوز أن نضيع هذه الفرصة اطلاقاً." واتصل بأقارب له لكنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن أهله.

قرابة الحادية عشرة ليلا كان بوب تور اتصل بفريق الانقاذ أربع مرات. وزمجر غاضباً: "كيف تعذر على حراس الغابة العثور عليه؟ ليست غلاميس سوى متجر وسكة حديد."

اتصل بمنزل آل ريدجواي علّه يجدهم، وعرَّف مات بنفسه. وكان هذا قلقاً فلم يستطع أن يصف له مقطورة العائلة على نحو أفضل مما وصفها لستوكدايل: قاطرة بيضاء تجر مقطورة حمراء من عربتين تصلحان لجميع المناطق. سأل مات: "الا ينبغي علي الذهاب الى هناك والبحث عنهم؟"

نصحه بوب بالبقاء قرب الهاتف. لقد طلبت آن بريكنردج أن يكون ريدجواي في المستشفى قبل السادسة صباحاً. وذلك يعني أن آخر موعد لايجاده هو الرابعة فجراً، إذ تتطلب عودتهم الى المستشفى ساعتين في الطائرة. قال بوب للابن: "لن تتمكن أنت من الوصول ضمن المهلة. اذا حددوا مكانه فسأطير أنا الى هناك وأحضره بنفسي."

ولكن اذ أقفل بوب خط الهاتف بدأ يتساءل: "هل ينطلق الآن ويبدأ بحثاً بالطوافة؟ لقد حضه ستوكدايل على الطيران الى هناك. راجع بوب خرائطه واتصل بمركز الارصاد الجوية، فأفيد أن المطر الذي أغرق لوس انجلس طوال النهار، تحول عواصف رعدية فوق الصحراء. عندما سمع بوب ذلك عدل عن المخاطرة.

فوق المخيم. بعيد الحادية عشرة ليلا علم بوب ومات أن حراس الغابة ألغوا حملة بحث ناشطة بعدما كشفوا على المنطقة التي كان ريدجواي أخبر بريكنردج أنه سيخيم فيها. فقال مات لابن عمه وزلي الذي جاء يزوره: "انهم لم يبحثوا جنوباً كفاية. دعنا نذهب الى هناك ونجده." وللحال قفز الشابان الى شاحنة تشارلز وانطلقا مسرعين.

في ذلك الوقت قال بوب لزوجته بنبرة خائبة: "لقد يئس حراس الغابة من البحث، مما يعني أن ريدجواي سيخسر هذه الكلية."

فعلقت على كلامه بالآتي: "اذهب وجده، انك تتحرق شوقاً الى ذلك."

اتصل بوب بغاري ستوكدايل للبحث في الامر، ثم اتصل بصديقه جيم كينغ وهو ضابط في شرطة لوس انجلس رافقه ملّاحاً في رحلات سابقة. واتصل أيضاً

بشقيقه ستيف الذي عمل لديه مصوراً. واجتمع الثلاثة في مطار سانتا مونيكا وأقلعوا من هناك في الاولى فجراً.

اتجهت الطوافة شرقاً فوق الجبال. وفي الثانية فجراً كانت تحلق فوق أضواء بالم سبرينغز المتلألئة. بعد ذلك بدت الصحراء حالكة السواد، وتعين على بوب الاعتماد كلياً على أجهزته. وعلى بعد ٢٥ كيلومتراً شرقاً من بالم سبرينغز واجه الثلاثة عواصف رعدية فأخذت الطوافة تترجح وتهتز، كما واجهوا خطر اقتحام أسلاك التوتر العالي. وأدرك بوب ورفيقاه هذه المخاطر لكنهم حاولوا التركيز على بلوغ غلاميس ضمن المهلة.

بعيد الثالثة فجراً اتصل بوب بمركز الشرطة عبر الراديو وحصل على معلومات عن موقع المخيم. قيل له: "اتجه جنوباً - غرباً، وعندما تلمح طريقاً ترابية وسكة حديداً تكون بلغت الهدف."

بعد دقيقة صاح جيم: "ها هو المخيم." لكن بوب شعر كأنه تلقى لطمة على معدته، فقد كانت عشرات القاطرات البيضاء متناثرة على امتداد النظر، وكان قرابة ٢٥ ألف شخص يخيمون في هذا الموقع خلال العطلة.

في تلك الاثناء وصل مات ووزلي الى منطقة المخيم الممتدة ٤٠ كيلومتراً والمقسمة مواقع رملية واسعة يبعد الواحد منها عن الآخر حوالى ٤٠٠ متر. والمواقع مرقمة، وكان مات يعرف أن عائلته مخيمة، على الارجح، بين الرقمين ١٥ و٢٥ لان مواقع التخييم الشمالية تعج عادة بالمزعجين. وانطلق مات ووزلي يبحثان في كل موقع بدءاً بالرقم ١٥، مسلطين المصابيح الكاشفة في الشاحنة.

صوت من عَلُ. طلب بوب تور من جيم كينغ أن يسلط أضواء الطوافة، فأنارت المكان الذي عج بالناس حول الكثبان وفي عرباتهم. هبط بوب بطوافته حوالى ٤٥ متراً وأطلق مكبر الصوت: "تشارلز ريدجواي! لدينا كلية لك! عرف بنفسك! ألفت انتباهنا! أو اتصل بمركز الشرطة."

تطلع المخيمون صوب الطوافة ورفعوا أيديهم بأسف. توجه بوب جنوباً وكرر اعلانه.

قال بوب لرفيقيه: "الارض مضاءة كالنهار، وصوت من فوق يتحدث عن كلية لرجل ما. هذه عطلة غريبة لن ينساها هؤلاء المخيمون."

في الثالثة والربع فجراً بدأ مات ووزلي بحثهما في الموقع الرقم ٢٠. فجأة غرقت الشاحنة في الرمل وعجلاتها تدور بلا فائدة. لَكَمَ مات عجلة القيادة حانقاً. وفي تلك اللحظة تحول رذاذ المطر انهماراً غزيراً. فقفز الشابان من الشاحنة وركضا مسافة ٨٠٠ متر الى آخر مجموعة من المقطورات هناك. وشاهدا طوافة تحلق فوق منطقة تبعد ستة كيلومترات شمالا. وسمع مات اسم والده يذاع عبر مكبرات الصوت.

قرع مات باب احدى المقطورات صارخاً: "النجدة! حالة طبية طارئة!" ففتح له أحد المخيمين وهو نصف نائم. أشار مات نحو الطوافة مذعوراً، وقال:

"أبي في حاجة الى كلية موهوبة، وتلك الطوافة تبحث عنه. هل تساعدني في اعتراضها؟"

خلال ثوان كان مات في سيارة الرجل، وانطلقا شمالا في الطريق الموحلة الوعرة.

أذاع بوب تور وجيم كينغ نداءهما الى ريدجواي نحو ١٥٠ مرة. ثم وقع نظرهما على رجلين متوجهين نحوهما داخل سيارة مكشوفة تومض أنوار الطوارىء. سلط بوب عليهما أنواره الكاشفة وراح يحوم حولهما، ثم انحنى على مكبر الصوت وسألهما: "هل تعرفان تشارلز ريدجواي؟"

صرخ مات: "انـه في الناحيـة الجنوبية! انه في الناحية الجنوبية."

حط بوب بطوافته فصعد اليه مات. كانت الساعة الثالثة والنصف فجراً، ولم يتبقَّ سوى ١٠ دقائق للموعد الاخير. ولم يعد في الطوافة من الوقود الا ما يكفي للعودة.

في أحد المسطحات الجنوبية لمح مات مقطورة عائلته فصرخ: "انهم هناك!"

في الرابعة الا خمس دقائق حطَّ بوب على بعد خمسين متراً من المقطورة وقفز مات من الطوافة وراح يطرق الباب: "أبي! أمي! هذا أنا، مات. لقد حصلوا على كلية! افتحوا الباب!"

مرت ثلاثون ثانية قبل أن يفتح تشارلز ريدجواي الباب في ثياب النوم وبعينين متعبتين: "ما الامر؟"

اقتحم بوب المقطورة فيما تشارلز يحاول ارتداء سرواله وصاح حانقاً: "ستذهب الآن، ولا يهمني ان ذهبت عارياً. لدينا نقص في الوقود." وجر تشارلز داخل الطوافة وهو حافٍ. وبقي مات في المخيم.

في الرابعة والدقيقة الخامسة هبط بوب بطوافته في براولي على بعد ٣٠ كيلومتراً من المخيم. وبعد دقائق وجد تشارلز نفسه داخل طائرة تابعة لفريق البحث والانقاذ أقلعت من المدرج في اتجاه المركز الطبي في سانتا آنا.

وصل ريدجواي الى المستشفى قبيل السادسة صباحاً. وبعدما أجريت له ديلزة نقل في كرسي مدولب الى غرفة الجـراحـة في العـاشـرة والنصف. استغرقت عملية الزرع ٩٠ دقيقة. وعلى رغم انه وصل متأخراً ثلاث ساعات ونصف ساعة عن الموعد الاولي الذي حدده الجراحون فقد كان في حال جيدة خلال الفترة الحرجة التي تحسم نجاح جراحة زرع الكلى والمراوحة بين ٢٤ ساعة و٣٠ ساعة. لقد تكللت العملية بالنجاح وبدأت الكلية الجديدة تعمل على الفور.

وفي غلاميس جمع مات وباتي وروبن وولزي أمتعة العائلة وانطلقـوا في الشاحنة الى المستشفى. وهناك علموا أن تشارلز في صحة جيدة.

واذ سمعت باتي الخبر السار بادرت الى عمل طالما ترددت في الاقدام عليه. أخرجت رخصة القيادة ووقعت على قفاها موافقتها على أن تكون واهبة أعضاء.

جاكلين شانون ■

قصة قصيرة

من سرق عقد اللؤلؤ ؟

اعتاد السر سبتيموس شيل أن يفرض سلطته مرة في السنة، مرة وحيدة. فهو سمح لزوجته الشابة العصرية أن تملأ بيته بأثاث تكعيبي حديث وأن تجمع لوحات لفنانين معاصرين وأن تسرف في ارتداء ما حلا لها من الملبس الفاخر. لكنه أصرَّ على الاحتفال بعيد الميلاد بطريقة تقليدية بطلت منذ زمن. فكان يستدعي الخدم ليعلقوا أغصان السنديان والهدال (الدبق) على المصابيح الكهربائية. وحرص على تحميل الخوان الجانبي المصنوع من الصلب أشهى المأكولات.

CONDENSED FROM «HANGMAN'S HOLIDAY,» © 1941, 1972 EXECUTORS OF THE ESTATE OF ANTHONY FLEMING.
PUBLISHED BY NEW ENGLISH LIBRARY ILLUSTRATION: JOHN BESWICK

وجعل الخدم ينزعون المشعاعات الكهربائية من المواقد العصرية ويشعلون مكانها حطباً.

بعد ذلك كان يجمع عائلته وأصدقاءه حوله ويتخمهم بأطايب الطعام والشراب. وبعد العشاء يجلسهم في قاعة الاستقبال حيث يتلهون بألعاب شتى يختتمها بلعبة "الغمّيضة" في الظلام في أنحاء البيت. ولأنه رجل ثري، كان ضيوفه يسايرونه ويخفون عنه أي ضجر أو انزعاج.

ومن عاداته التقليدية الاخرى تقديمه لؤلؤة كل سنة الى ابنته مارغريتا في ذكرى مولدها التي تصادف عشية عيد الميلاد.

وذات ليلة ميلاد استقبل السر سبتيموس والليدي شيل وابنتهما مارغريتا ضيوفاً تصلهم جميعاً روابط قربى، قريبة أو بعيدة، وهم: أوزوالد تروغود وهو شاب يطمح الى مقعد نيابي، وجورج كومفري ابن عم الليدي شيل وهو شاب في الثلاثين معروف بسعة اتصالاته الاجتماعية، ولافينيا بريسكوت التي دُعيت من أجل جورج، وريتشارد وبيريل دينيسون اللذان تجمعهما بالليدي شيل أواصر قربى بعيدة ويعيشان في لندن حياة بذخ على موارد لا يعرف أحد حقيقتها، واللورد بيتر ويمزي الذي دعي على أمل أن تعجبه مارغريتا.

وكان هناك بالطبع وليم نورغيت أمين سر سبتيموس والآنسة تومكنز أمينة سر الليدي شيل، فلولا كفايتهما الهادئة لما أُنجزت ترتيبات الحفلة.

أخيراً، بعدما بدا كأن ألوان الطعام المتتابعة لن تنقطع، انتهى العشاء الذي تصدر السر سبتيموس مائدته منفرج الاسارير. وارتدت مارغريتا الجميلة عقداً صيغ من لآلئها التي بلغت تلك السنة ٢١ حبّة. وكانت اللآلىء، وكل واحدة منها بحجم حبّة بازيلاء، تتوهج بدفء ورقة حول عنقها الرقيق.

بعد العشاء سيق الضيوف الى قاعة الاستقبال، متخومين لا يرومون إلا التمدد والراحة. وأُجلسوا في كراس من ألمنيوم تحت إنارة كهربائية هائلة عكسها سقف من النحاس الاصفر. وراحوا يجرّون أقدامهم التعبة على أرض من زجاج أسود. لعبوا لعبة "الكراسي الموسيقية" (بمرافقة عزف الآنسة تومكنز على البيانو) ولعبة "فتّش عن الشبشب" (وقدّمت الشبشب الآنسة تومكنز) ولعبة "حيوان أم خضار أم معدن" المفضلة لدى السر سبتيموس الذي يجيد طرح الاسئلة المبدعة. وهو افتتح اللعبة بـ"الخروج" أولا وقصد غرفة داخلية متصلة بقاعة الاستقبال.

حزر اللاعبون في وقت وجيز أموراً كثيرة بينها صورة فوتوغرافية لوالدة الآنسة تومكنز، والكوكب بلوتو، ولفاع السيدة دينيسون (وكان محيّراً، فلو انه من الحرير لكان من فئة الحيوان، ولو أنه من الحرير الاصطناعي لكان من فئة الخضار، لكنه من الزجاج المغزول، فهو إذاً من فئة المعادن. وكان اختياراً موفقاً كأحجية).

تقرر أن يحزر الضيوف كلمة أخيرة قبل أن ينتقلوا الى لعبة الغميضة.

وتوارى أوزوالد تروغود في الغرفة الداخلية ريثما يتفق اللاعبون على الكلمة. فجأة قطع السر سبتيموس النقاش اذ نادى ابنته: "مارج! ماذا فعلت بعقدك؟"

أجابته: "لقد نزعته خشية أن ينفرط. إنه هنا على الطاولة. لا، ليس هنا!"

نهض الجميع وبدأوا التفتيش. ولم يكن في تلك الغرفة المصقولة وشبه العارية من الاثاث أماكن كثيرة تصلح لتخبئة عقد. وبعد عشر دقائق من التفتيش غير المجدي، بدا ريتشارد دينيسون منزعجاً، وكان جالساً بالقرب من الطاولة حيث كانت اللآلىء. وقال لويمزي: "أتعرف؟ انه وضع مربك وحرج."

وتوجه الباحثون الى الغرفة الداخلية فأخضعوها لتفتيش دقيق. وأخذ الامر يتحوّل جدّياً، وبعد نصف ساعة بات جليّاً أن اللآلىء ليست في أي مكان.

قال ويمزي: "إنها حتماً في موضع ما في هاتين الغرفتين."

وبكفايته المعهودة، كان وليم نورغيت أول من واجه القضية بجرأة إذ قال: "اعتقد يا سر سبتيموس أن الجميع يشعرون بانفراج وراحة بال إذا ما فُتشنا كلنا."

إستفظع السر سبتيموس الفكرة، لكن الضيوف أصروا عليها. وأجري التفتيش: السيدات في الغرفة الداخلية والرجال في قاعة الاستقبال.

بدا طبيعياً أن يعثر في جيب اللورد بيتر ويمزي على عدسة مكبرة، أوَلم يكن هو شرلوك هولمز المجتمع المخملي؟ أما أن يحمل شخص مرتّب ودقيق مثل نورغيت لفّة من القطن الابيض وثلاثة أطوال من الخيوط و١٢ دبوساً لاقطاً (إفرنجياً) فأمر بدا غريباً، الى أن تذكر الحاضرون انه هو من أشرف على إقامة زينة الميلاد. ووجد في حوزة أوزوالد تروغود قرصا دواء للكبد وفي حوزة جورج كومفري مقصّ يطوى.

ووسط ارتباك وضحك تبيّن أن ريتشارد دينيسون يحتفظ برباط جوارب نسائية وبعلبة بودرة وبنصف حبّة بطاطا قال إنها للوقاية من داء العصبي، أما الرباط والعلبة فقال إنهما لزوجته.

وفي جهة السيدات كانت أغرب المستندات المعروضة ثلاثة دبابيس خفيّة للشعر وصورة طفل (الانسة تومكنز) وعلبة صينية للسجائر (بيريل دينيسون) ورسالة شخصية جداً (لافينيا بريسكوت).

باختصار، لم يثمر التفتيش الا شعوراً عاماً بالخجل. لا بدّ من أن اللآلىء هي في مكان ما. أوَليس في وسع اللورد بيتر ويمزي الخبير في الحوادث الغامضة أن يساعدهم في شيء؟

أجاب اللورد: "أوه، طبعاً. أتسمحون جميعاً بالجلوس في قاعة الاستقبال؟ وليبقَ معي شخص واحد، فمن المستحسن أن يكون معي شاهد يشهد على أعمالي وعلى أي شيء قد أعثر عليه. يا سر سبتيموس، انك الشخص الأمثل لهذا الغرض."

بدأ ويمزي جولة دورية بطيئة في محيط الغرفتين. استكشف كل سطح،

حملق في السقف النحاسي، زحف على الارض السوداء اللامعة واجتازها من جنب الى آخر.

وصل وشاهده الى الغرفة الداخلية حيث تمدد ويمزي على بطنه وراح يحدّق بعينين نصف مغمضتين تحت خزانة من الصلب كانت إحدى قطع الأثاث القليلة القصيرة القوائم. شيء ما لفت نظره. ثنى كمه ومد ذراعه تحت الخزانة وخرج بشيء صغير جداً - دبوس ابرة له رأس صغير، من النوع الذي يستعمله العلماء لتثبيت حشرة على لوحة التشريح.

سأل ويمزي: "هل بينكم أحد يجمع الفراشات أو الخنافس؟"

أجابه السر سبتيموس: "لا أظن أن أحداً يفعل ذلك."

حدّق ويمزي الى الأرض التي عكست صورة وجهه وقد غرق في التأمل. وبعد برهة قال: "نعم، هكذا تمّت العملية. انني أعرف مكان اللآلىء يا سر سبتيموس. لكنني لا أزال أجهل من الذي سطا عليها. حالياً، لا خطر عليها. أرسل جميع هؤلاء الناس الى أسرّتهم وأقفل باب قاعة الاستقبال. وسوف نمسك السارق - أو السارقة - غداً صباحاً.

٢٢ دبوساً

في الليل، دوّن ويمزي قائمة بأسماء الاشخاص الذين ربما استهوتهم اللآلىء. صحيح أن أمين السر وأمينة السر جاءا للعمل لدى سيدي البيت وهما يحملان توصيات جيدة، ولكن أليس ذلك بالضبط ما يفعله أي شخص مدفوع بأغراض ومقاصد خفيّة؟ أما بيريل وريتشارد دينيسون فمعروفان بانفاق كل ما تصل اليه أيديهما، وجورج كومفري يعمل في المضاربات التجارية، وأوزوالد تروغود يتردد على ميادين سباق الخيل. لقد كان البحث عن دوافع أمراً سهلاً.

بدا الجو مشحوناً حول مائدة الفطور. ولم يأت أحد على ذكر اللآلىء إلا بعد انتهاء وجبة الطعام. تنحنح السر سبتيموس وهو ينظر الى ويمزي كمَن ينتظر إشارة البدء. ثم قال: "إنه لأمر كريه حقاً، وفي عيد الميلاد. لقد أفسد الحفلة. لم أعد أطيق رؤية كل هذه الاشياء في البيت." وأشار بيده الى أغصان السنديان والهدال وتابع: "أنزلوها كلّها. أحرقوها ولا تبقوا منها شيئاً."

سأله وليم نورغيت: "هل أستدعي جايمس؟" لكن كومفري قاطعه: "كلا، لنفعل ذلك بأنفسنا."

ووافقه السر سبتيموس: "هذا صحيح. انني أمقت منظرها!". وانتزع غصنَ سنديان تدلّى من رفّ فوق المستوقد وقذفه الى النار. هبّ ريتشارد دينيسون واقفاً وهتف: "لنوقد ناراً عظيمة! لننزلها كلّها، عن السقف والجدران وعن السلّم ومن قاعة الاستقبال أيضاً."

استفهم أوزوالد: "أليست قاعة الاستقبال مقفلة؟"

وأكد ويمزي ذلك: "هذا صحيح. أراهن بسمعتي على أنها في أي مكان سوى قاعة الاستقبال."

فقال كومفري: "في هذه الحال، هيّا يا لافينيا، أنتِ ودينيسون انزعا الزينة من قاعة الاستقبال، وأنا أنزعها من الغرفة الداخلية. سنقوم بسباق." راح أوزوالد ومارغاريتا ينزعان أغصان الهدّال واللبلاب عن السلم وسط رنين الضحك. أما فوق فكانت أعمال التخريب تتم بسرعة كبيرة بعدما راهن جورج لافينيا ودينيسون على أنهما لن ينجزا عملهما قبله.

عندما اجتمع المحتفلون في البهو السفلي حيث كانت النار تزمجر، بدا جورج كومفري تعباً.

خاطبه ويمزي: "يا سيد كومفري، أعتقد أن هذه لك." وبسط يدأ استقرّ في واحتها ٢٢ دبوساً صغير الرأس.

لؤلؤ في الزجاج

قال اللورد ويمزي: "انه عمل فكر مبدع يا سر سبتيموس. ولكن من سوء طالعه أنك ذكرت اللآلىء عندما فعلت. فهو كان يأمل ألا يكتشف الأمر إلا بعد انتهاء لعبة الاحاجي والانتقال الى لعبة الغميضة، فيتسنى له عندئذ أن يخفي اللآلىء في أي جانب من البيت.

"ولأنه أمضى أعياد ميلاد كثيرة هنا قبل الآن، كان يعلم أن لعبة "حيوان أم خضار أم معدن" هي جزء أكيد من برنامج التسلية. وعندما جاء دوره لينسحب الى الغرفة الداخلية التقط عقد اللآلىء عن الطاولة ظاناً أن في امكانه الانفراد خمس دقائق على الاقل، وهو الوقت الذي يستغرفه الجدل حول الكلمة المختارة. ولا يبقى عليه عندئذ الا أن يقصّ الخيط بمقص الجيب الذي يحتفظ به، ويفرط العقد ويرمي الخيط في النار. أما حبات اللؤلؤ فيثبتها بالدبابيس في أوراق الهدال.

"وكانت أغصان الهدال معلقة بالثريا التي تدلّت من سقف عال. ولكن ما همّ؟ ففي امكانه الوصول اليها بالوقوف على الطاولة الزجاجية التي لا تنطبع عليها آثار الاقدام. وهو كان على يقين شبه تام من أن أحداً لن يتفحص أغصان الهدال بحثاً عن بعض ثمرات اضافية.

"ولقد انتزعت حبات اللؤلؤ من نبتة الهدال الليلة الماضية، حتى المشبك كان مثبتاً بين الاوراق. ها هي كلها. وعندما اقترح كومفري أن ينزع الضيوف الزينة بأنفسهم وأن يتولى هو الغرفة الداخلية، علمت أنه الرجل المطلوب.

سأله السر سبتيموس: "هل حلّلت اللغز كله بمجرد عثورك على الدبوس الذي سقط منه؟"

فرد ويمزي: "نعم."

فقال السر سبتيموس متعجباً: "لكني لم أرَك تنظر الى الهدال."

أجابه ويمزي: "لقد رأيت صورة الاغصان منعكسة في الارض الزجاجية السوداء. وخطر لي آنذاك كم تشبه ثمرات الهدال حبّات اللؤلؤ."

دوروثي سايرز ■

دوروثي سايرز (١٨٩٣ - ١٩٥٧) روائية ومترجمة. اشتهرت برواياتها الجنائية الاثنتي عشرة التي تدور جميعها - ما عدا واحدة - على عبقرية التحري الاريستوقراطي اللورد بيتر ويمزي.

تبسيط المسائل الحسابيّة

صيغة حسابية مدهشة وضعها أحد أشهر الفيزيائيين في العالم

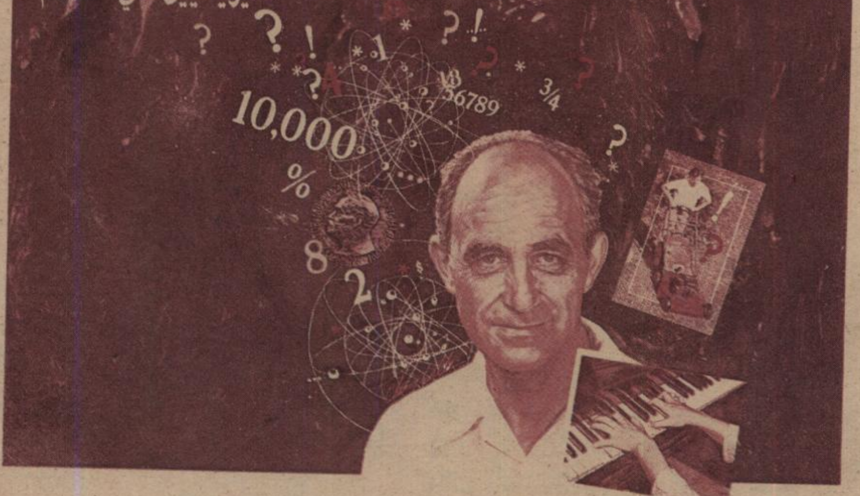

صبيحة يوم اثنين من يونيو (حزيران) ١٩٤٥ فجرت أول قنبلة نووية في صحراء نيومكسيكو. وبعد أربعين ثانية وصلت هزة الانفجار[1] الى مخيم القاعدة حيث وقف العلماء مشدوهين. وكان أول من تحرك الفيزيائي الايطالي – الامريكي انريكو فرمي (١٩٠١ – ١٩٥٤).

قبل حصول الانفجار مزق فرمي ورقة. وعندما شعر بأولى الاهتزازات رمى نتف الورق فوق رأسه. رفرفت هذه النتف وحطت وراءه على بعد مترين. وبعد عملية حسابية ذهنية أعلن فرمي أن قوة القنبلة تعادل قوة عشرة آلاف طن من الـ"ت.ن.ت." أما الآلات المعقدة التي استغرقت أسابيع لتحليل سرعة الموجة وضغطها، فأكدت صحة تقدير فرمي الفوري.

أعجبَ الفريق العامل على القنبلة ببداهة فرمي، لكنه لم يفاجأ، إذ ان عبقرية هذا العالم عمَّت الاوساط العلمية. ففي العام ١٩٣٨ حاز فرمي جائزة نوبل. وبعد أربع سنوات حقق أول تفاعل نووي ذاتي الاغتذاء[2] مبشراً باقتراب العصر النووي. ومنذ وفاته في العام ١٩٥٤ لم

---

(١) Shock wave

(٢) Self-sustaining nuclear chain reaction

© 1988 BY HANS CHRISTIAN VON BAEYER. CONDENSED FROM THE SCIENCES (SEPTEMBER / OCTOBER '88), NEW YORK, N.Y. WITH ADDITIONS BY THE AUTHOR. ILLUSTRATION: CHRISTOPHER CALLE

يتوصل أي فيزيائي آخر الى أن يكون مختبراً بارعاً ومنظراً رائداً في آن.

مثل سائر العلماء، كان لفرمي أسلوبه المميز. وهو فضل طريقة الإجابة المباشرة على الاجابة التي تعتمد الوسائل العقلية الانيقة. وتفوّق في تفكيك المسائل الصعبة أجزاء تمكن معالجتها. وهي موهبة يمكننا استخدامها في حياتنا اليومية.[٣]

وبغية تنمية هذه الموهبة في الجيل الصاعد كان فرمي يطرح على طلابه نوعاً من الاسئلة عُرف بـ"مسائل فرمي." لدى سماعك أحد هذه الاسئلة للمرة الاولى تشعر بأنك لا تملك ادنى فكرة عن الاجابة، وأنك متأكد من أن المعلومات لديك ضئيلة جداً لحلها. ولكن عندما تفكك المسألة الى أجزائها التي تسهل الاجابة عنها من دون عودة الى الاختصاصيين والكتب، تكون اقتربت جداً من الحل الصحيح.

لنفترض أنك تريد تحديد محيط الكرة الارضية من دون الاستعانة بالمراجع. الامريكي يعلم أن نيويورك تبعد عن لوس انجلس مسافة ٤٨٠٠ كيلومتر، وأن الفارق الزمني بينهما ثلاث ساعات، وان الساعات الثلاث تشكل ثمن (١/٨) اليوم الواحد، وأن الارض تستغرق يوماً واحداً في دورانها حول ذاتها. اذاً، يجب أن يساوي محيطها ثمانية أضعاف الـ٤٨٠٠ كيلومتر، أو حوالى ٣٨٤٠٠ كيلومتر. هذا الرقم يختلف عن محيط الأرض الحقيقي (٤٠٠٧٥،٥ كيلومتراً) بأقل من ٤٪

ما عدد مدوزني آلات البيانو في شيكاغو؟ طرح فرمي هذا السؤال الغريب على طلابه في جامعة شيكاغو. احدى الطرق للوصول الى جواب هي: إذا كان عدد سكان شيكاغو ثلاثة ملايين، بمعدل أربعة أشخاص في العائلة، وإذا كانت ثلث العائلات تملك آلات بيانو، فثمة ٢٥٠ ألف بيانو في المدينة. واذا كان كل بيانو يدوزن مرة كل خمس سنوات، فعدد الدوزنات ٥٠ ألفاً في السنة. واذا كان كل مدوزن يستطيع دوزنة أربع آلات بيانو في اليوم على مدى ٢٥٠ يوماً في السنة، أي ما مجموعه ١٠٠٠ دوزنة في السنة، فنستنتج أن عدد المدوزنين في المدينة هو خمسون. الجواب ليس دقيقاً، وقد يراوح الجواب الصحيح بين ٢٥ و١٠٠. ولكن استناداً الى دليل الهاتف فالجواب على طريقة فرمي هو في نطاق الحقيقة.

وكانت غاية فرمي أن يظهر امكان الوصول الى تقديرات قريبة من الواقع من خلال الافتراضات. والسبب أنه، ضمن أي سلسلة من الحسابات، تلغي الاخطاء بعضها بعضاً. فاذا افترض أحدهم، مثلا، أن سدس العائلات بدل ثلثها يملك آلات بيانو، فقد يفترض أيضاً أن آلات البيانو تدوزن مرة كل سنتين ونصف سنة وليس كل خمس سنوات. وسوف تصب النتائج في الرقم الصحيح لان التخمينات الخاطئة تنزع الى تعويض بعضها بعضاً.

(٣) بقياس سرعة اندفاع الهواء خارجاً بفعل انفجار القنبلة الذرية الاولى، كان في وسع فرمي تقدير الكمية الاجمالية للطاقة المتبددة في الجو. وبمعرفة كمية الطاقة التي يطلقها انفجار طن من الـ"ت.ن.ت." كان في وسعه عندئذ تحديد النتاج الاجمالي للانفجار الذري.

لا علاقة تذكر بين السؤال المطروح عن القنابل الذرية وذلك المطروح عن مدوزني آلات البيانو، الا أن أسلوب الاجابة عنهما واحد ويمكن تطبيقه على الاسئلة الاكثر عملية. فسواء أكانت المسألة متعلقة بالطبخ أم باصلاح السيارات أم بالعلاقات الشخصية فان المتردد يلجأ الى مرجع ما: كتاب أو مدير أو مستشار أو طبيب. أما صاحب الرأي المستقل فينقب في مخزون منطقه السليم وفي المعرفة الواقعية التي يحملها كل انسان، ويطرح الافتراضات المنطقية، ثم يستنبط لها حلولاً تقديرية. وهذه الروح الاستقلالية عينها هي التي سعى فرمي الى غرسها من خلال طرحه مسائله غير التقليدية.

كم يستغرق جز العشب في مرجة البيت الذي تنوي شراءه؟ بقياسك الابعاد بالخطوات - على أساس أن الخطوة تساوي متراً ونصف متر - تجد أن عرض المرجة يبلغ ٣٠ متراً وطولها ٤٥. ويبدو لك عرض الجزازة التي في المرآب نحو نصف متر. نأخذ الجانبين في الاعتبار ونفترض أنها تجز نحو ٣٠ سنتيمتراً في كل ضربة. إذاً يتطلب الجز في عرض ٣٠ متراً ١٠٠ ضربة، وكل ضربة بطول ٤٥ متراً، فيكون الطول الاجمالي ٤٥٠٠ متر. وبما أن الكيلومتر يساوي ١٠٠٠ متر فان على الجزازة أن تسير ٤،٥ كيلومترات. وبما أن الشخص الذي يدفع الجزازة يسير حوالى ثلاثة كيلومترات في الساعة فان العمل يجب أن يستغرق ساعة ونصف ساعة.

تطلب فطيرة بيتزا بالهاتف من قسم الخدمة المنزلية في أحد المطاعم. وبعد أن تقفل الخط تدرك أن نقودك لا تكفيك. هل ثمة ما يكفي داخل الحصّالة الزجاجية الملأى بالقطع النقدية على منضدة غرفة النوم؟ تلقي نظرة عليها فتلاحظ أن غالبية القطع داخلها هي من فئة السنتات (١/١٠٠ من الدولار). تحصي القطع التي تغطي قعر الحصّالة فتجدها ١٠. لنفترض أن ارتفاع الحصّالة ١٠ سنتيمترات، وأن سماكة القطعة ١،٥ مليمتر، فهذا يعني أن الحصّالة تحتوي على ٦٦ طبقة من السنتات أي ما يعادل ٦،٦٠ دولارات. لكنك قد تلاحظ ايضاً أن عُشر القطع على الاقل هي من فئة العشرة السنتات، إذاً ثمة ٦٦ قطعة يساوي كل منها ١٠ سنتات مما يعني ٦،٦٠ دولارات أضافية ولا يخفض عدد السنتات المفردة الا بمقدار ٦٦ سنتاً. من الواضح أن المبلغ الذي في حوزتك لا يقل عن ١٢ دولاراً، وقد يبلغ عشرين، وهو كاف لدفع ثمن البيتزا.

ان قيمة معالجة المسائل اليومية بطريقة تكمن في لذة الاكتشافات والاختراعات المستقلة. ليس مهماً أن يكون الاكتشاف مهماً جداً، مثل تحديد قوة القنبلة الذرية، أو أن يكون تافهاً مثل تقدير عدد السنتات داخل حصالة. ان بحثك عن الجواب في كتب الحساب، أو سماحك لغيرك بأن يجده لك، يحرمك اللذة والفخر اللذين يرافقان الابداع، كما يحرمك الخبرة التي تعزز الثقة بالنفس.

هانس كريستيان فون باير ■

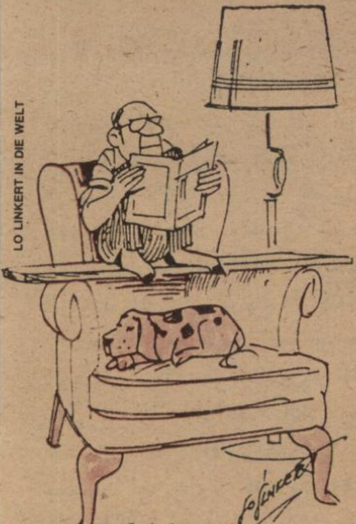

بدون تعليق

«يا ماما، ذهبنا إلى سباق البراغيث
وبودو سرق النجوم.»

كلاب

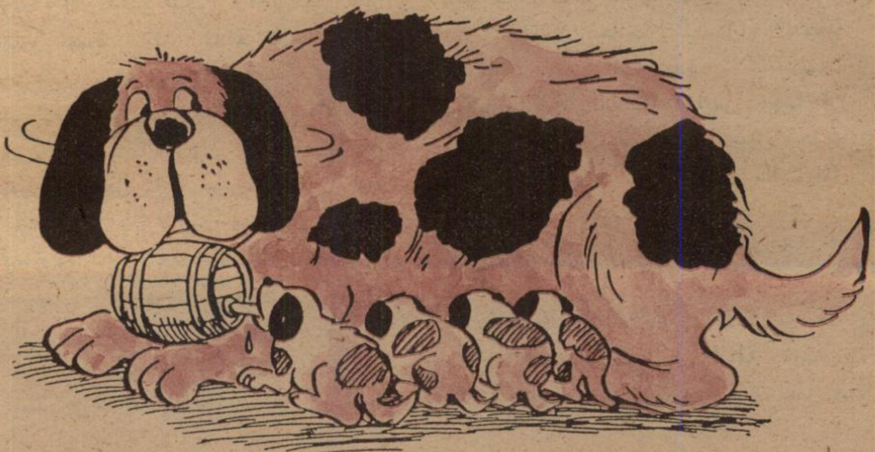

EKKO BUSH IN HÖRZU

« لا تكن مشاكساً،
مَ تشكو هذه الشجرة؟ »

FRED MARCUS IN DIE WELT

بعد العيد

MANFRED LIMMROTH IN CAPITAL

MIROSLAV BARTAK IN DIE WELT

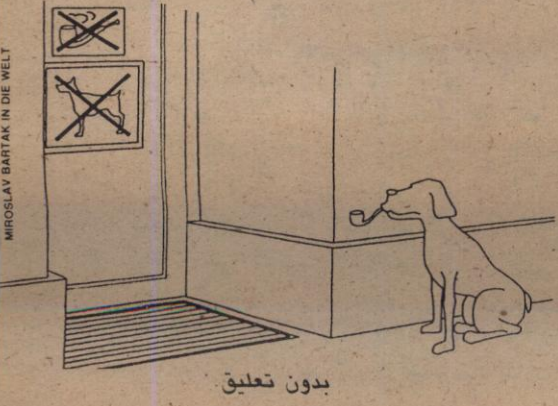

بدون تعليق

ما زال جرواً لا يحسن التصرف
لكنه أذاقني طعم الحرية

العين المبصرة

أُعاني مشكلة بصرية هي التهاب الشبكية الخضابي[1]. وهذا تلف موروث في شبكية العين، أي الحجاب الرقيق في مؤخر العين الذي يتلقى الصور من العالم الخارجي. والمعروف عن هذا المرض أنه يتطور على نحو لا يلين بحيث يخفف الرؤية درجات لا يمكن التكهن بمداها. وكلما تصورت أني أتكيف مع ما جدَّ لدي من قصور في الرؤية، يطالعني مجدداً عالم خفَّت معالمه ويعاودني ما كدت أنساه من وهنٍ وغيظ.

وحين بدأتُ في صيف ١٩٨٨ اصطدم بمقابض أبواب منزلي علمتُ أن الأوان قد آن لطلب المساعدة. فاتصلتُ بمعهد "العين المبصرة"[2] في موريستاون بولاية نيوجرزي.

على متن الطائرة التي نقلتني الى نوارك تذكرت كلبي تشارلي الذي نفق قبل مدة، فغلب علي الخوف. هل سأوكل حياتي حقاً الى حيوان من فصيلة تشارلي؟

تأسس معهد "العين المبصرة" عام ١٩٢٩، وهو يستند اليوم الى وقف تزيد قيمته على ٦٠ مليون دولار. والمعهد الذي تبلغ مساحته ٢٢ هكتاراً من الأرض المشذبة، يضم نحو ١٦٠ من كلاب الـ"لابرادور" والـ"جرمان شيبرد"، وقصراً من طراز العهد الجورجيّ يؤوي ٢٠ تلميذاً ومدرباً، ومقراً لتسعين موظفاً. ويؤم هذا المعهد سنوياً نحو ٢٣٠ كفيفاً يدفع كل منهم ١٥٠ دولاراً ثمناً رمزياً لأول كلب يقتنونه من كلاب "العين المبصرة" و٥٠ دولاراً ثمناً لكل كلب لاحق. ويدفع المعهد ثمن تذاكر سفر التلاميذ ذهاباً وإياباً وكلفة الاقامة والطعام لمدة شهر.

بلغ عدد التلاميذ في دورة التدريب التي تابعتها، ستة عشر بينهم ستة يأخذون كلبهم الاول، وأنا منهم. أما الباقون الذي يطلقون على أنفسهم صفة

(١) Retinitiş pigmentosa
(٢) The Seeing Eye

CONDENSED FROM LIFE (JULY '88), © 1988 BY TIME INC., NEW YORK, N.Y.

"المجدِّدين" فكانوا سيبدلون كلابهم المريضة أو النافقة. ورحنا، نحن الجدد، نصغي حابسي الأنفاس الى قصص القدامى عن تفاني الكلاب في الفيضانات والعواصف الثلجية والكوارث الأخرى، وعن ذكائها الخارق وفتنتها الآسرة.

كان اسم مدربتي كريس فردي. وهي قالت لي: "سأرشدك الى طريقة التعامل مع كلبك. وستتولى أنت تسيير جونو يا سيد بوتوك." وناولتني الرسن الذي خلت للوهلة الاولى انها تلف طرفه الآخر حول عنقها.

قلت لمدربتي مجرباً: "اتبع خطاي يا جونو." وكانت فردي تعلمني كيف أصحح اخطاء كلبي بجذب خاطف من الرسن وعلمت لاحقاً أنها كانت تمسك بالرسن.

وكانت هذه التجربة، إضافة الى الاستبيان الاستطلاعي الذي أجبت عن أسئلته قبل بضعة أشهر، ما يقرر مدى التلاؤم بين الكلب والتلميذ.

لحظات قلق. طال يوم انتظار الكلب الملائم. وبدت غرفة الاجتماع مشحونة بضغط الانتظار. وبعد لأي، جاءت فردي ومعها قائمة قرأت منها: "يا سيد بوتوك، إن اسم كلبك داش، وهو شيبرد ذكر أسود ضارب الى السمرة."

ارتجفت وأنا أمسك برسن رفيقي الجديد، وقلت مربتاً رأسه العريض: "مرحباً يا داش." وقد هالني واقع أننا سنتلازم على مدى نحو عشر سنين.

مشيت على أرصفة مكتظة بالمارة أحدق جاهداً ببقايا بصري التي خلتها رُشَّت بوحل، فلم أر ما يكفيني لاقوِّم أداء داش. كانت رغبتي ملحة في وضع ثقتي فيه، لكني فضلت عدم المجازفة فأبقيت يدي أمام وجهي احتياطاً.

قالت لي فردي: "استرخِ يا سيد بوتوك، فأنت متوتر جداً." وقد بذلت قصارى جهدي لأروض إرادتي على الاستسلام لارشاد كلبي. وكان ذلك كمن يلقي بنفسه من طائرة مصلياً كي تنفتح المظلة.

كنت أركض وداش على الرصيف ثم نتوقف فجأة عند الزاوية. فتعلِّق فردي: "تهانيَّ يا سيد بوتوك."

وأقول: "إنك رائع يا داش."

ولكن كانت هناك لحظات من الذعر والألم أيضاً. وحين قادني داش الى الاصطدام بعدَّاد موقف للسيارات، اشتعلت غيظاً وصرخت: "كيف تفعل ذلك بي؟ أهذا ما تدعوه تقوية لروابط الود بيننا أيها الجبان الخسيس؟"

وبعد قليل، حين توقف داش عند المنعطف كما كان يجدر به أن يفعل، بدا مديحي له ضعيفاً ومصطنعاً. فقالت فردي: "داش لا يفهم لماذا ما زلت غاضباً يا سيد بوتوك. يجب أن تتعلم كيف تنسى غضبك حالما تصوِّب خطأ ارتكبه كلبك." وللحال فكرت كم من العذاب كنت تداركت في حياتي بين الناس لو كانت فردي دائماً الى جانبي ترشدني.

وحين توقف داش عند سيارة تسد منفذ الرصيف، قلت له: هاب، أب." وهذا يعني في تلك الحال: "ابحث عن طريق

أخرى حول هذه العقبة." وبتؤدة قادني حول مؤخر السيارة، ثم جذبني فجأة الى الوراء وجسده مشدود ومترقب. فأخبرتني فردي أن نفث دخان العادم أنذر كلبي الرائع بأن السيارة على وشك التراجع.

مخالفات. مر شهر من التدريب القاسي شعرت بعده بأن يدي اليسرى الممسكة بالرسن غدت حساسة لأدنى حركة أو شرود أو "فكرة" تمر في دماغ الكلب المدهش. واستطال جسدي نحو ٩٠ سنتيمتراً تنتهي عند أنف داش الحساس. كذلك استطال حسّ داش الحيِّزيّ ليشمل الفسحة التي اشغلها، وهي بعرض ثلاثة ارباع متر الى يمينه وارتفاع نحو متر فوق رأسه.

وآن الآوان كي أتحقق مما اذا كان الأمر قابلا للتطبيق في عالم الواقع، حيث تكتظ الشوارع بالمارة ويكثر السائقون الرُعناء ولا مرشد يتبعك.

وبعث معهد "العين المبصرة" رسالة الى عائلتي ترشدها الى طريقة التصرف حيالي في المنزل: "تحاشوا الانفعال حين وصوله، استقبلوا الكلب بهدوء، لا تلحقوا بهما الى الشارع لتروا كيف يتصرفان." وكان هذا كافياً لإثارة فضول اولادي الثلاثة وكثير من الأصدقاء.

حضر العشاء ليلة وصولي ١٤ شخصاً. ولما حاولت السيطرة على ارتباك داش بأخذه الى غرفتي من وقت الى آخر، شبهتني زوجتي شارلوت بأم تأتي بوليدها من المستشفى، وشبهت هي نفسها بالاب الذي يراقب مبتسماً ما يجري عن بعد.

وبدأت نظاماً جديداً لحياتي اليومية: المشي نزولا على التلة الى مكتبي صباحاً، والإياب ليلا. ولم أكن تمشيت في الليل وحيداً مذ كنت طفلا. لكن ذلك لم يكن مشياً، بل ما يشبه الطيران. نحن السبّاقان في عالم العميان.

وصادفتني صعوبات سبَّبها تغاضيَّ عن بعض مخالفات داش، كأن يهرُّ هرَّة منقوصة حين يُفترض فيه أن ينذرني الى خطر ما. وبعد ثلاثة أشهر غدا داش متململا ونزاعاً الى التلهي. وكنت مضطراً الى السفر بالطائرة بعد أسبوعين الى الشاطىء الغربي من الولايات المتحدة للمشاركة في سلسلة محاضرات. لكني غدوت متردداً في الذهاب.

اتصلتُ بمعهد "العين المبصرة"، فأوفدت الي مدربة اسمها بيغي غيبون لتقويم الأمور. ذهبنا لنأكل في أحد المطاعم حيث تكثر مخالفات داش من نباح وهَرّ وصدم بالطاولات. غير أنه أدى عمله في الشوارع على نحو لا تشوبه شائبة. وعندما نظرتُ اليه بعيني غيبون، أدركت أنه يعكس توتري وقلقي. وإذ كُنت أنا القلِق، كنا نسير معاً بخطى سريعة ولا نأخذ الأمور بتؤدة بسبب الارهاق ونفاد الصبر.

قالت لي غيبون: "إنه لكلب رائع، لكنه ما زال جرواً. ثابر على العمل معه وكن صبوراً."

كان لارشادها فعل الاكسير الشافي، فانطلقتُ وداش في رحلتنا الى الشاطىء الغربي من دون أدنى معكر.

انتقام داش. في بورتلاند بولاية أوريغون طُلب مني الظهور مع داش في برنامج تلفزيوني صباحي. فهالني أن أشاهد الاستوديو مكتظاً بالقطط ومدربيها. لكن داش تمكن من السيطرة على ارتباكه.

وفي كلية ريد تداعت شركتنا اذ راح داش يجرني وراءه مندفعاً في أثر الكلاب السارحة في الحرم. وكانت قاعة الاجتماعات مكتظة بجمهور من الطلاب والأساتذة اضافة الى مجموعة من العميان وكلابهم.

خلال المحاضرة راح داش يذرع الأرض ورائي وهو يئن ويهر. وحاولت تبرير جموحه كأم نافدة الصبر تعتذر لصراخ طفلها متذرعة بأنه مرهق.

في الربيع أعارنا أحد الاصدقاء منزله في نيويورك قائلا: "يمكنك أن تتمرن وداش في المدينة."

وذات أمسية تركت داش في المنزل وذهبت وزوجتي لزيارة أصدقاء. وفي الطريق بدأ القلق يراودني. فقالت شارلوت: "ماذا يمكن أن يحدث؟ أسترخ."

وفي منزل أصدقائنا، تأكلني الغيظ لتركي داش وحده، وخلت أنه لا بد منتقم لذلك. ورحت أتذكر الأشياء الثمينة في الغرفة. وحالما انتهينا من العشاء سارعت بالخروج مع شارلوت بأسرع ما تسمح به اللياقة.

وفي سيارة الأجرة رحت أقدر الاضرار المحتملة مضيفاً الى ديوني عشرات ألوف الدولارات. لكن الشقة بدت سليمة في ما عدا غرفة الضيوف التي انتثرت في ارجائها كوم من المواد الليفية. وتبين أن تلك كانت بقايا سجادة حريرية رائعة. وللحال فهمت مقصد كلبي: "اقتصر الأمر هذه المرة على سجادة قديمة لا قيمة لها. اتركني ثانية فأحطم سريرك الثمين."

نصر مبين. قررت أن الوقت حان لأجرب وداش التنقل في أنفاق القطارات الكهربائية (المترو). وحين وطئت قدماي الرصيف رحت أتصبب عرقاً مخافة الوقوع في مجرى السكة الحديد.

وعندما قعقع القطار مقترباً قادني داش الى الباب المنفتح وجرني برفق عبر بحر من الركاب. وهناك ساعدتني امرأة على الجلوس في أحد المقاعد. وعندما توقف القطار في المحطة هزني الفرح بأن أُقاد خارجاً الى نور النهار.

سألت عن الطريق الى متجر التسجيلات الموسيقية، فأشار رجل بيديه الى الجهة المطلوبة. قلت له: "إني كفيف." فأبدى أسفه وتابع ارشادي بيديه. وفي المتجر قادنا أحدهم الى قسم الموسيقى الهادئة حيث ابتعت بعض الأشرطة وخرجت لا ألوي على شيء. إنه لأمر عادي في حياة الناس اليومية، لكنه بالنسبة الي كان نصراً مبيناً.

سرَّنا أن نعود، نحن الثلاثة، الى منزلنا في فرمونت. وجلست في ساعة متقدمة من تلك الليلة أصغي الى ثلاثية موزار وداش متمدد عند قدميّ.

لقد أذاقني داش طعم الحرية الحقيقية. مددت يدي الامس أنفه الطويل

الأنيق. أردت أن أنقل اليه محبتي بكلمات لا تعبر عنها المداعبة ولا الصوت. أردت أن أحدثه عن شكري لما قدمه وما سيقدمه الي. أردت أن أعبر عن مدى أسفي لكونه ممنوعاً من اللعب مع أترابه في الحدائق ومن مطاردة القطط، ولأنه ضرورة ماسة في حياتي ولن أسمح له أبداً بالانطلاق على سجيته. وهنا غيّر داش وضعه عند قدميّ وكأنه يقول: "هذا يكفي."

ينام داش الى جانب سريري على سجادته. وذات صباح ضبطته نائماً في السرير، فنهرته قائلاً: "السجادة لك والسرير لي."

وفي اليوم التالي حضّرتُ القهوة وصعدت بفنجانين الى غرفة النوم. فسبقني داش وطبع قبلة الصباح على وجه شارلوت وهي نائمة. ولمّا وصلت وجدته متمدداً قربها بهناء وقد جر السجادة فوق السرير. فكيف لا أرتاح وقد أوكلت حياتي الى حيوان له مثل هذا الدماغ المخطط؟

ومع مرور الأيام ترسخت معرفة واحدنا بالآخر، كذلك معرفتنا بالطرق التي تسعد كلينا. وسنواصل العمل من أجل مواجهة الحياة وانجاز الأعمال الكثيرة التي تنتظرنا.

أندرو بوتوك ■

اقتصاد الماني

أنا أوسترالية متزوجة المانياً ونعيش في أوستراليا. ويواظب زوجي على الاتصال بوالدته في فرنكفورت، لكنه واجه صعوبة في الاتصال بها لمناسبة عيد مولدها الاخير. وإذ لم يرد أحد في منزلها، اتصل بأخته في نورمبرغ التي أعلمته أن والدتهما تزور أختها في هامبورغ.

وأخيراً ردت الخالة على الهاتف، لكنها استغرقت وقتاً طويلا للتعرف الى زوجي بسبب سمعها الثقيل، ومن ثم نادت والدته التي أخذت السماعة وقالت: "ان المكالمة الهاتفية من أوستراليا الى المانيا باهظة الثمن." واقفلت الخط.

ب.ج.

لسان مارشال

كان المارشال البريطاني الفيكونت مونتغمري، بطل معركة العلمين، يتميّز بعين ثاقبة تكشف نقاط الضعف في الآخرين، وبلسان لاذع فيَ النقد. وذات مرة كان في مصعد أحد الفنادق في بريطانيا متوجّها الى صالة الطعام. فتوقف المصعد في احدى الطبقات وهم أحدهم بدخوله. ففوجىء بالمارشال وسقط على ركبتيه وأجهش بالبكاء اذ غلبته العاطفة لالتقائه المارشال الذي خدم في إمرته خلال الحرب والذي عوّض بلاده نصراً بعد هزيمة. فانتهره مونتغمري: "انهض!" ثمّ دفعه خارج المصعد آمراً: "اذهب وقصّ شعرك."

ن.هـ

دائرة المعارف

قليلة هي الكلمات العربية التي تنتهي بحرف الهاء. هنا بعض منها، وقد وُضع أمام كل كلمة اربعة معانٍ واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **عَمَه**: ملل – عمى البصيرة – عَجَلة – نفاد صبر.
٢. **رَفاه**: تسلية – تخمة – لين العيش وطيبه – علوّ.
٣. **فَكِه**: ضَحوك مزّاح – وقح – جميل – بيِّن الذكاء.
٤. **تِيْه**: حياء – حَوَل العينين – جهل – صَلَف وكِبْر.
٥. **مفوَّه**: مغسول – بليغ الكلام – مكتوم – كبير الفم.
٦. **شَرَه**: عطش – نزعة الى الشر – هزال – اشتداد الميل الى الطعام.
٧. **كُنْه**: جوهر – زوج الابنة – لون – مظهر.
٨. **نبيه**: فطن – رقيب – مؤدّب – داهية ماكر.
٩. **مشوَّه**: منحرف – معلَّق – قبيح الشكل – مغطى.
١٠. **نزيه**: عريق النسب – عفيف – محقّ – لطيف المعشر.
١١. **تافه**: بغيض – مجنون – شديد البياض – قليل خسيس.
١٢. **فِقْه**: لغة – ظرف – علم بالشيء وفهمه – طب.
١٣. **جاه**: قَدْر وشرف – ثروة – حُسْن – جور واستغلال.
١٤. **شبيه**: حبيب – مضلِّل – مثيل – موضع ارتياب.
١٥. **مدلَّه**: ذليل – مدلَّل – ساهي القلب – دائم الخطأ.
١٦. **إكراه**: بغض – إزاحة – إقناع – حَمْل على ما يُكرَه.
١٧. **تأوُّه**: تلوّ – شكوى وتوجع – زجر – زغردة.
١٨. **سفيه**: رديء الخلق – واطىء – غبي – وسخ.
١٩. **تمويه**: محو – طرْف العين – تلبيس وتنكير – مدح.
٢٠. **شده**: خبل – وسع الفم – جوع – حيرة ودهش.
٢١. **فُوْه**: جب ماء – فم – بركان – كلام مهموس.
٢٢. **تنويه**: تذكير – إشادة وتعظيم – تلوين – تحسين.
٢٣. **بَلَه**: ضعف العقل – عشق – غفلة – شرّ البلايا.
٢٤. **وجيه**: كبير الوجه – شجاع – سيد القوم – صادق.
٢٥. **افاويه**: حيّات – روائح – أضاليل – توابل.

الأجوبة الصحيحة

١. **العَمَه**: عمى البصيرة. العَمِه: المتحير في أمره والمتردد في الضلال.
٢. **الرَفاه**: لين العيش وطيبه. الرِفاه: الاتفاق.
٣. **الفَكِه**: الطيِّب النفس الضحوك المزَّاح. الفاكهاني: بائع الفاكهة.
٤. **التِيْه**: الصَلَف والكِبْر. أيضا: الضلال. تاه: ضلّ، تكبَّر.
٥. **المفوَّه**: البليغ الكلام. يقال "خطيب مفوَّه."
٦. **الشَرَه والشراهة**: اشتداد الميل الى الطعام. الشَره: من يأكل فوق الحاجة.
٧. **الكُنْه**: جوهر الشيء وأصله وحقيقته وغايته. أيضا: الوقت.
٨. **النبيه والنابه**: الفطن وذو النباهة. أيضاً: الشريف.
٩. **المشوَّه**: القبيح الشكل وكل شيء من الخَلْق لا يوافق بعضه بعضاً.
١٠. **النزيه**: العفيف المبتعد عن السوء. المتنزَّه: مكان التنزه.
١١. **التافه**: القليل الخسيس. والطعام التافه هو ما ليس له طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة.
١٢. **الفِقْـه**: العلم بـالشيء وفهمـه، وخصوصاً العلم بالاحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية.
١٣. **الجاه**: القَدْر والشرف وعلو المنزلة.
١٤. **الشبيه**: المثيل.
١٥. **المدلَّه**: الساهي القلب الذاهب العقل من عشق ونحوه.
١٦. **الاكراه**: الحمل قهراً على ما يُكره. المكروه: الشر.
١٧. **التأوُّه**: الشكوى والتوجع وقول "آه." والآهة اسم من تأوَّهَ.
١٨. **السفيه**: الرديء الخلق والجاهل والاحمق. سافَهَهُ: شاتمه.
١٩. **موَّه الامر أو الخبر تمويهاً**: زوَّره وزخرفه ولبَّسه أو بلَّغه خلاف ما هو. والتمويه تنكير المعدات الحربية بحيث تخفى على العدو، وهو في الاجنبية «camouflage».
٢٠. **الشُدْه والشَدَه**: الحيرة والدَهَش. شُدِه: دهش.
٢١. **الفُوه والفاه والفيه**: الفم، جمعها أفواه. فاهَ بكذا: نطق به.
٢٢. **نوَّه به تنويهاً**: رفع ذكره وأشاد به وعظَّمه.
٢٣. **البَلَه والبلاهة**: ضعف العقل وعجز الرأي. الأبله: الضعيف العقل.
٢٤. **الوجيه**: سيد القوم وذو الجاه والوجاهة.
٢٥. **الافاويه**: التوابل، وواحدها فُوْه.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

العمل مفتاح النشاط

كثيرون منا يعرفون أعاجيب النشاط وفعله فينا من اثارة وإلهاب حماسة، وأنه يخرج بعض الناس عن أطوارهم، أولئك الذين يجاوزون نصيبهم من العمل واللهو. واذ نفكر ملياً، نستذكر كلنا، من دون استثناء، فترات كنا فيها نتفجر نشاطاً. زمنذاك كانت الأيام تبدو قصاراً. والفواصل بين العمل واللعب غبشة لا تلبث ان تمحي.

أتذكرون اذ كنتم تجاهدون لابقاء عيونكم مفتوحة في قاعة الصف، فيما تكونون في أعلى درجات اليقظة خلال ساعات الرياضة بعد قرع جرس الانصراف؟ أوتنسون فورة النشاط تلك التي تدب فيكم عند بداية علاقة حب، أو خلال معضلة مهنية تطرح تحدياً، أو عند دنو خطر ما؟

لكننا كثيراً ما نشعر بأننا مستنزفون، لا نقوى على جر أنفسنا لانجاز أبسط الاعمال. فنترك الرسائل من دون رد، وصنبور الماء راشحاً، ونهدر قوانا في عمل لا طائل تحته، أو نتسمر أمام شاشة التلفاز. لماذا؟

الانسان كالآلة تبلى لعدم استعمالها. نحن نعرف من مادة الفيزياء التي تعلمناها على مقاعد الدراسة الثانوية أن الطاقة الحركية مقرونة بالتحرك. والأمر نفسه يصح على الطاقة البشرية، فهي تولد بالاستعمال، ولا يسعنا أن نختزنها.

كلنا نملك خزيناً ضخماً من الطاقة الكامنة، أكبر كثيراً مما نرجو استعماله. واذا ما استطعنا استغلال نسبة اضافية ضئيلة تبلغ عشرة في المئة من هذا المورد الغزير، فستتبدل حياتنا. وهاكم السبيل لبداية سليمة:

حسِّنوا صحتكم وحافظوا عليها. ان اللياقة البدنية تزيد من النشاط في كل أوجه حياتنا. ولعل أفضل علاج للكلال الذي يدهمنا هو ممارسة الرياضة الحيهوائية (ايروبيك) لمدة نصف ساعة.

صرِّفوا الغضب في مسارب نافعة. كل إنسان يغضب. لكننا نكبت شعورنا بفاعلية فنهدر الطاقة المرافقة له. ثمة أوقات يحسن فيها أن نفقد اعصابنا وندع

© 1988 BY GEORGE LEONARD. CONDENSED FROM ESQUIRE (MAY '88), NEW YORK, N.Y.

العالم يعرف بالأمر. ولكن من الممكن أيضاً توظيف الطاقة المشبوبة الناتجة من السخط أو الحنق، في العمل لبلوغ أهداف ايجابية. حين تشعرون بالغضب يضطرم داخلكم، اذهبوا واعملوا بهوج في مشروع محبب إليكم.

ابرزوا الوجه الايجابي. تشير دراسات عدة إلى أن الاشخاص ذوي النظرة الايجابية في الحياة غير معرضين للسقام كأولئك الذين لا يرون الا السلبيات. وهم أوفر نشاطاً أيضاً.

يتحدث طوم بيترز وروبرت واترمان، وهما من أبرز المستشارين الاداريين في الولايات المتحدة، عن شبه في التعبير يصل الى حد التطابق بين مديري أنجح الشركات الأمريكية. هؤلاء يشيرون الى قيمة السلوك الايجابي وجدوى الاطراء والأنواع الأخرى من ردود الافعال الايجابية. ويستشهد بيترز برأي مدير يعتقد أن الرجال الناجحين جداً "نعموا في طفولتهم بثناء جم بلغ أحياناً حد الارباك."

وتزودنا النكسات الكبيرة في الحياة طاقة إضافية، اذ انها تهزنا من خمودنا شرط أن لا نتعامى عن وجودها. إن الاقرار بوجود السلبيات لا يعني التباكي، بل جبه الحقيقة ومتابعة العمل.

بوحوا بالحقيقة. يرى ويل شوتز، أحد مستشاري الشركات أن "لا شيء يبعث الهمم ويزيد النشاط في شركة ما كالمصارحة وقول الحقائق." فالبوح بالحقيقة يجدي حين ينطوي على الإفصاح عن المشاعر وليس عند استعماله لإهانة الغير وانفاذ ما يحلو للمرء. وثمة أمور محمودة ترافق ذلك البوح، كالمخاطرة والتحدي والاثارة، ولعل أهمها اطلاقاً الافراج عن الطاقة.

ضعوا سلم أولويات. عند أي اختيار تجبهنا واقعة مهمة: إن سلوك اتجاه واحد يعني نبذ الخيارات الأخرى كلها. فانتقاء هدف واحد يستلزم بالضرورة استنكافاً عن عدد كبير من الغايات والأهداف الممكنة. لكن إبقاء جميع الخيارات في الحسبان يعني عدم القيام بأي شيء. اذ ان التلكؤ في اتخاذ قرار يؤدي الى التراخي الذي يفضي بدوره إلى خفض النشاط والى الغمّ والقنوط.

ان دواء الكسل الذهني والروحي العزم الواضح على الفعل. فالمرء لا يقدر على القيام بكل الأمور في آن، ولكن في مستطاعه أن ينهض بأمر واحد، يتبعه آخر فآخر. وأخذ قرار خاطىء أفضل من عدم الاختيار أصلا. ابدأوا بادراج أولوياتكم في اليوم والاسبوع والشهر، وصنفوها في مجموعات "أ" و"ب" و"ج". وانجزوا الأعمال الواردة في المجموعة "أ" على الاقل.

وجربوا الأمر عينه مع الأهداف الطويلة الأجل. قد تتبدل الاولويات، وفي

وسعكم تغييرها متى شئتم، لكن تدوينها يضيف الوضوح إلى حياتكم.

التزموا مواعيد محددة. ليس هناك ما يحفز على النشاط كوجود موعد أخير جازم صارم، وذلك ما يعرفه جيداً كل من واجه رفع الستارة عن خشبة المسرح ليلة الافتتاح، أو الموعد الختامي لصفقة تجارية، أو موعد تسليم أطروحة جامعية.

ان الموعد المفروض على المرء ليس متاحاً على الدوام، وعلى الانسان أن يضربَ لنفسه مواعيد يلتزمها. خذوا الأمر بجدية، وأحد السبل الى ذلك هو أن تعلنوه على الملأ. أخبروا الأشخاص ذوي الشأن لديكم. ان الموعد كلما كان أكثر جزماً شق على النفس نقضه.

واظبوا على الحركة. خذوا متسعاً من الوقت للتخطيط المتزن، ولكن لا تأخذوا وقتكم كله. باشروا كل ما تقدرون على عمله، أو تعتقدون أن في وسعكم القيام به. وتذكروا دوماً أن ليس في إمكانكم أن تكنزوا الحيوية، ولا يمكنكم تكديسها بعدم استعمالها. إن الراحة جزء من أي خطة عمل، لكن الاخلاد إليها من دون عمل ايجابي، يصيبكم بالكآبة.

ولعل جزءاً وافراً من الكآبة والسخط اللذين نقاسيهما مرجعه الى طاقاتنا العاطلة، والكوامن غير المستغلة فينا. ثمة أعمال خلاقة كافية لكل الناس، وتبقى وفرة منها تنتظر من ينهض بها. إن في مقدورنا جميعاً أن نزيد من طاقتنا.

جورج لينارد ■

صوت الصَدَفة

كنت أتنزه على شاطىء البحر مع ابنتي البالغة الرابعة من عمرها. فالتقطتْ صدفة صغيرة ووضعتها على أذنها. فقلت لها: "لا أعتقد أنك تستطيعين سماع صوت البحر في هذه الصدفة، فهي صغيرة جداً."

فأجابتني: "لا، ولكن أعتقد أنني أسمع صوت بركة سباحة."

م.م

زوج امين

استخدمت المرأة التي كانت تقف أمامي في الطابور بطاقة اعتماد لدفع ثمن مشترياتها. فطلب منها امين الصندوق أن تكتب رقمها الهاتفي في أسفل الفاتورة وتوقعها. وإذ كنت أنوي الدفع بواسطة بطاقة اعتماد، سألت الموظف ما إذا كان يريد رقم هاتفي. فأجابني: "آسف يا سيدتي، فأنا متزوج."

ل.س

إبني كبر وأصبح طياراً

"انه يتكلم عن حلمه منذ بدأ الكلام فيجب أن يكبر ويكون له ما يريد"

ذات عصر في منتصف فصل الصيف تلقينا مكالمة هاتفية تفيد أن سيارة صدمت ابننا وهو راكب دراجته. وعندما وصلنا الى مكان الحادث كانت سيارة الاسعاف وسيارات الشرطة سبقتنا وأضواؤها الوامضة تلتمع.

ورأينا جو ممدداً وسط الشارع في بركة من الدم. واذ قفزنا من سيارتنا شاهدنا حراماً يرفع كأنما لتغطية وجهه. كانت تلك لحظة مروعة كتلك التي يقاسيها الاهل في كوابيسهم، وهي أكلح لحظات حياتنا.

قلت لنفسي: لا! هذا ليس ممكناً. انه يستحق حظاً أوفر في الحياة. هو في الحادية عشرة من عمره. وكان يريد أن يلعب البايسبول وكرة القدم وأن يصبح

PHOTO: © R. HAYO / THE IMAGE BANK

طياراً. كان يتكلم عن حلمه هذا منذ بدأ الكلام. يجب أن يكبر وأن يكون له ما يريد.

وأسعدنا الحظ. لم يكن جو ميتاً. كان المسعفون يغطونه بالحرام لابقائه دافئاً. وهم جمعوا جسده بتأن على محمل خاص بحوادث الصدمات، ورفعوه على نقالة وأدخلوه سيارة الاسعاف.

بدأت الرحلة بطيئة وسهلة. جلست والدته الى جانبه ممسكة يده. وقد بقيت عيناه مفتوحتين وبدا يقظاً وهادئاً على نحو مخيف. فجأة قال المسعف الطبي للسائق: "أسرع، سيتعرض لصدمة!"

ولولت الصفارة واندفعنا في شوارع المدينة الى المستشفى، حيث تولى فريق طبي نقل جو سريعاً الى غرفة الطوارىء.

كان عظم الفخذ الايمن مكسوراً قرب الورك، والركبة مصابة بكسر شعري، وفي الرأس جرح بالغ استلزم ١٨ قطبة. وأصيب الدماغ بارتجاج طفيف، لكن الجمجمة سلمت من الأذى.

تحمل جو تعاسة شهرين ونصف شهر وهو مقعد في المستشفى. وعاد الى البيت بجبيرة تلف جسده من ابطيه الى أصابع قدميه. وسبب له هذا القيد رد فعل عصبياً شبيهاً برهاب الاحتجاز.* فكل ثلاثة أيام كان يصاب باعتلال عنيف وبصداع حاد بحيث يستحيل عليه تحمل النور في غرفته. وبقيت الجبيرة تلفه لمدة شهرين، عاد بعدهما يمشي على عكازين ويستمتع بحريته السَليب.

ولكن على رغم زياراته اليومية للمستشفى للمعالجة الفيزيائية فانه لم يستردّ قوته بالسرعة التي تمنيناها. ظل نحيلا الى حد أنني كنت أتصور أن في استطاعتي تطويق خصره بقبضتي. وفي مجالسنا الخاصة كنت وأمه متخوفين من ألا يعيش طويلا.

لقد أغدق الله علينا تسعة أولاد. وكان جو الوحيد بينهم عرضة للمرض، منذ طفولته. فهو الذي يصاب بالغثيان لدى ركوب السيارة. وهو دائماً أول من يلتقط أمراض الطفولة. واذا مرت الانفلونزا بأفراد العائلة فانه يلتقطها مجدداً.

ولو أدركنا الحقيقة لما قلقنا، ففي مكان حريز داخله كان يحدث أمر مدهش.

تدمر المحنة بعض الاشخاص، في حين أنها تحفز آخرين وتدفعهم الى الانجاز. وقد اختار ابننا أن يكون منجزاً. وهو لم يفصح عن عزمه لأحد، ولكن اذ أستعيد ذكرياتي وأتأملها يتجلى لي أن جو صمم على العمل بكل قدراته.

عندما عاد الى المدرسة على عكازين أثار مظهره الناحل ولونه الشاحب قلق الجميع. حتى رفاقه بدوا شديدي القلق لحاله. وأغضبه ذلك، فانتزع ثقتهم واعجابهم – اذ سار على عكازيه من أول رواق المدرسة الى آخره من دون أن تلمس قدماه الارض. وتحدى رفاقه فحاولوا السير مثله لكنهم لم يفلحوا.

بعد فترة وجيزة جهز مع اخوته غرفة للتمارين في الطبقة السفلى من المنزل، ووضعوا فيها أثقالا وسوى ذلك من

(*) Claustrophobia

مستلزمات كمال الاجسام. وأكب جو على نظام تدريبي بتركيز قوي أصبح في ما بعد سمته المميزة. وعندما استعادت رجلاه قوة كافية أتبع تمارينه بالعدو مسافات طويلة وبالعدو السريع لتنشيط الرئتين.

وكرت السنوات. كنا نراقبه وهو ينمو ليصبح شاباً قوياً، عقلا وجسداً. واظب على دراسته الثانوية باجتهاد غير عادي، مكباً على كتبه الى وقت متقدم من الليالي وفي عطلات نهاية الاسبوع. ولم يكن اخوته الذين سبقوه ألزموا هذا المقدار من الفروض المنزلية، فاعتقدنا أن الامور تغيرت في المدارس أو أن أحد معلميه يلهمه العمل.

لم يكن الامر كما اعتقدنا. لقد أدرك جو أنه غير راض عن تحصيله العلمي، فقال لنا يوماً: "انَّ قلة من المعلمين تهتم فعلا للافادة التي يجنيها الطلاب. فالامر عائد الي وحدي."

بعد حادث الاصطدام حذر الاطباء جو من ممارسة الالعاب الرياضية "الاحتكاكية." وعندما أنهى الصف الثانوي الثاني اتفقنا، أنا وأمه، على أنه معافى وقوي مثل أي فتى في عمره، فسمحنا له بالانضمام الى فريق كرة القدم في المدرسة حيث لعب موسمين رائعين.

لكن حبه القوي كان للبايسبول (كرة القاعدة). وهو أعد في الطبقة السفلى مرمى من السجادات القديمة علقها على حبل غسيل. وكان يمضي ساعات وهو يقذف الكرات التي يوجهها اليه أخوه الاصغر داخل هذا المرمى. ذلك الربيع أصبح واحداً من أفضل هدافي المدرسة، وحاز منحة لمتابعة دراسته في جامعة جايمستاون بولاية نورث داكوتا، حيث رشح للاشتراك في المنتخب الجامعي. وهو نال شهادته الجامعية بعلامات ممتازة.

بعد تخرجه في الجامعة حقق نجاحا في حقل التوظيف المالي. لكنه قال ذات يوم: "أتعلمون؟ لطالما أردت أن أطير."

وتذكرت. فتابع: "لا أريد أن أصحو يوماً وأنا في الاربعين من عمري وأقول: ليتني فعلت ذلك."

بعد ذلك بعشرين شهراً جلست أنا وأمه بين الحضور في حفلة في قاعدة

PHOTO: CLAIR B. PETERSON

"وايتنغ فيلد" الجوية في فلوريدا. وسمعنا أميرالاً يقول: "لا مجال للاعتدال في هذه المهنة. فلا نقاط تسجل لحائزي المرتبة الثانية." وتابع أنه من أصل كل عشرين ألفاً يتقدمون لحيازة "الاجنحة الذهبية" المشتهاة كطيارين في سلاح البحرية، يكون أقل من عشرة في المئة مؤهلين لنيلها. وأضاف: "ان هؤلاء الشباب الذين سيضعون هذه الاجنحة على صدورهم للمرة الاولى اليوم قد أثبتوا مرة بعد مرة أنهم يستحقونها."

حينئذ كان ابننا يقف على المنصة وسيماً في ثيابه البيض الناصعة. وكانت أمه هناك أيضاً جاهزة لتعلق على سترته شارة الجناحين الذهبيين.

وعادت بي أفكاري الى سنوات مضت مستحضراً صورة تلو أخرى. لقد قال لي يوماً حين كان في الرابعة: "سوف أصبح طياراً عندما أكبر." ثم مثل أمامي وهو في الحادية عشرة. ففكرت: كان يريد أن يلعب البايسبول وكرة القدم وأن يصبح طياراً. انه يتكلم عن حلمه هذا منذ بدأ الكلام. يجب أن يكبر وأن يكون له ما يريد.

في تلك اللحظة علقت أمه على سترته شارة الجناحين. لقد أصبح طياراً. وكانت تلك أجمل لحظات حياتنا.

جون هوبل ■

بيت الاحلام

أهم ما في البيت أنه يستر أحلام يقظتنا. فأين يسعنا أن نطلق عنان خيالنا كما في البيت؟ أفي المكتب أم في المعمل أم في الشارع؟ ربما استطعنا اطلاقه لفترة وجيزة في حديقة عامة قبل أن يقترب منا متسول أو بائع صحف. ومن الخطورة بمكان أن نحلم ونحن نقود سيارة.

قليل من الاماكن في المدن العصرية يناسب التأمل، وربما كان هذا سبب توجهنا الى شاطىء البحر بين حين وآخر. لكن قليلين يستطيعون العيش على شاطىء البحر. إذاً، ليس لنا سوى بيوتنا. نحن نسر لدى عودتنا الى البيت، اذ نلوذ بمكان نألفه ونرتاح اليه ونشعر فيه بالأمان إذ نطلق العنان لتفكيرنا.

و.ر.

عيون الصغار

في أول زيارة لطفلتي لحديقة الحيوان توقفنا أمام قفص الزرافة. فعلت وجه صغيرتي نظرة تعجّب وهي تنقل نظرها صعوداً من قوائم الزرافة الى جسمها فرقبتها الطويلة. وعندما وصلت الى رأسها صفقت مبتهجة وصاحت: "ها هي!"

أ.س.

كتاب الشهر

إقتحموا

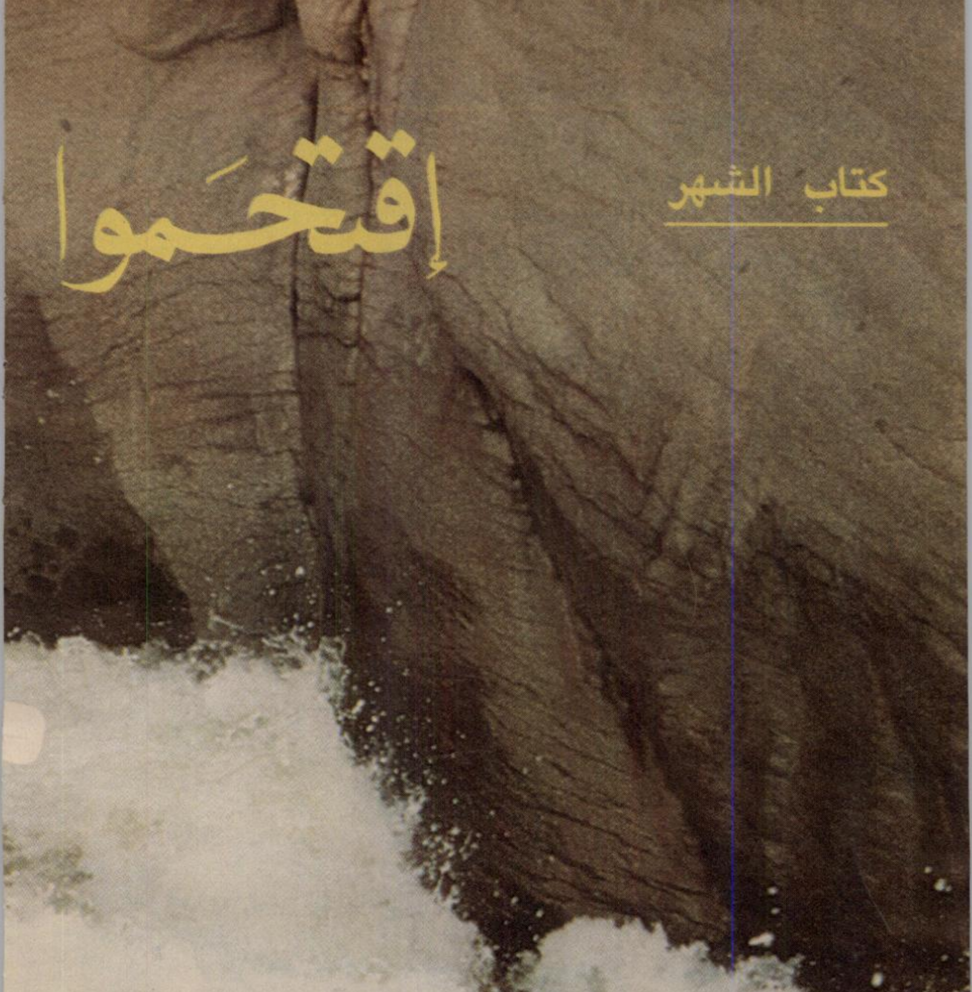

لم يسبق أن اقتحم أحد كامل مجاهل نهر الأمازون العظيم الغامض. فعمد فريق من المستكشفين الى تسلق أعالي جبال الأنديز، فبلغوا منبعه وانحدروا في قوارب تجذيف مندفعين فوق الشلالات والمنحدرات المائية في أحد أخطر أنهار العالم. ومن بقي من الفريق ليتابع المغامرة كان عليه أن يجذف حوالى ٦٠٠٠ كيلومتر في

مجاهل الأمازون

حوض الأمازون للوصول الى الأطلسي. كانت تلك مغامرة أصيلة قاسية حتّمت على أعضاء البعثة الصامدين بذل أقصى طاقاتهم لقهر نهر جامح شديد المراس.

فاذا كتب لهم البقاء أحياء فسيكونون أول من اقتحم أعظم أنهار العالم، متتبعين مجراه من منبعه الى مصبّه.

إقتحموا مجاهل الأمازون

لو توقفنا قليلا للتفكير في تلك المغامرة لربما أدركنا الحماقة الرائعة التي كنا مقدمين عليها. فقد عزمنا على تحدي نهر مزبد زاخر بالشلالات والمنحدرات المائية هو أحد أشد الانهر جموحاً وغدراً في هذا الكوكب، بطاقم يفتقر الى مقدار كبير من الخبرة.

ولكن عوض مواجهة هذه الحقائق المرة شربنا نخب النجوم وأرسلنا تحية الى صقيع ليل الأنديز. ثم شرعنا في التحضير لرحلتنا. اذا سارت الأمور وفق الخطة المرسومة فلن نغادر النهر الا وقد اجتاز القارة بكاملها الى مصبّه.

يقع نهر الأبوريماك عند منبع الامازون. وخطره ليس في حجمه وانما في صخوره وانحداره الشديد. قد لا يفقد المرء وعيه بلطمة موجة عملاقة، لكنه قد ينشدُّ الى شرك حيث يعلق تحت صخر أو يُمْتصّ في "مصفاة" مغمورة من جلاميد، فلا يجد خلاصاً.

ولحسن حظنا لم يضع قائد طوفنا الاخفاق في حسابه. وكان بيوتر شميلنسكي رجلا ناحلا مفتول العضلات وفي عينيه الزرقاوين برودة ورباطة جِأش كعيني جرو ذئب. وهو من أشد الرجال الذين عرفتهم تصميماً وبأساً. كان يحضّنا على النهوض قبل الفجر ويبقينا في النهر حتى ساعة متقدمة من النهار. وهو اكتسب بنفسه مهارة فائقة في قيادة زوارق الكاياك[1] وكانت لديه غريزة فذّة تجتذبه الى مساقط المياه المزبدة. كان يحسّ النهر يجري في دمه ويكنّ له الاحترام، كقائد يجلّ عدواً جديراً بالاكبار.

لم ينته اليوم الثاني الا وقد أكرهنا شميلنسكي على المجازفات وصنع منا طاقماً لا بأس في كفايته. ومع أننا لم نكن أقوياء الا أننا بتنا قادرين على التجذيف معاً كفريق منظّم، نضرب بمجاذيفنا باهتياج مسعور استجابة لتوجيهاته الملحّة.

كانت وظيفتي "سائقاً" في طوفنا اذ عُهد الي في استكشاف المنحدرات المائية بقدميّ قبل اقتحامها. لكن الحقيقة أن شميلنسكي هو الذي تولى الاستكشاف فيما كنت أنا أجر نفسي وراءه. ولكم زلت قدماي على الصخور الملساء، حتى اصطبغت ساقاي بعد يومين بلون أرجواني مزرقّ وغشت القروح والندوب وجهي ويديّ.

وندب شميلنسكي نفسه لعمل لا يحسد عليه هو تعليمي سبيل انتقاء مسار آمن عبر نهر الأبوريماك المتعرج. وكنت كلما طلب مني انتقاء طريق أختار درباً لو اقتفيناها لأدت بنا الى هلاك محتم، كأن نتسمّر تحت "مصفاة" من الجلاميد. كان

---

(١) هي زوارق تجذيف طويلة قليلة العرض يتسع كل منها لمجذف واحد.

CONDENSED FROM «RUNNING THE AMAZON,» COPYRIGHT © 1989 BY JOE KANE.
PUBLISHED BY ALFRED A. KNOPF, INC., NEW YORK, N.Y. PHOTOS: © ZBIGNIEW BZDAK / CANOANDES INC.

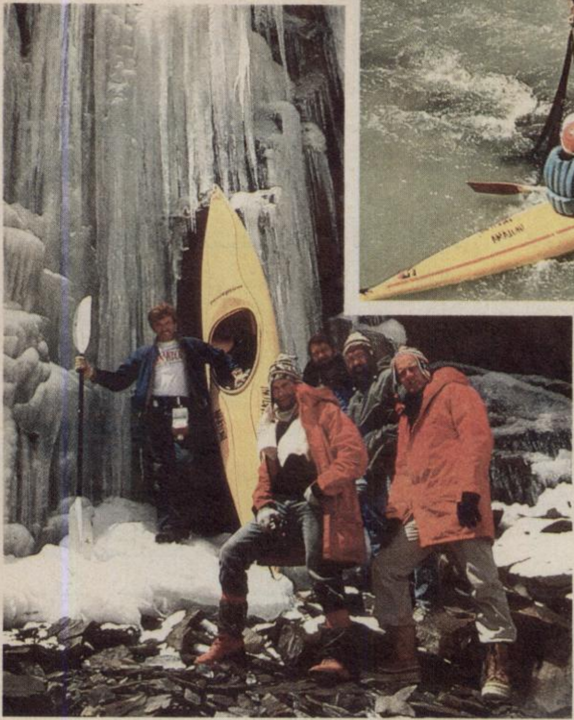

(الى اليسار) فريق البعثة عند منبع الأمازون على علو حوالى ٥٢٠٠ متر. (فوق) على نهر الأبوريماك، بيوتر شميلنسكي يسترشد من صياد سمك محلّي.

شميلنسكي ينظر الي آنذاك باحباط يائس ثم يروح يدلني على طريق أكثر سلامة. واذ نستذكر الانعطافات والتوقفات والانطلاقات التي يتعين علينا القيام بها خلال اقتحامنا الفعلي للمساقط المائية كان يخاطبني بلغته الانكليزية الركيكة. فتجري محادثتنا كالآتي:

"حسناً يا جو، صخر بوينتي."

– صخر. بوينتي.

"انه قاتل من غير ريب. أضرب أنا بمجذافي، فتتوقف أنت. ننعطف الى اليسار ثم نستقيم في سيرنا. نقتحم. إننا نكافح حفاظاً على حياتنا. انه قاتل، لكنه ليس مشكلة."

– صخر بوينتي، قاتل، لا مشكلة.

ولكن ما ان ندخل أحد المساقط المائية حتى تتبخر خطتنا الايقاعية المرسومة والمدروسة في أذهاننا، فيضبط شميلنسكي تجذيفنا بأوامره الحازمة التي يصدرها بنبرة قاسية جافة.

في اليوم الاخير لاندفاعنا نحو جسر كونياك أخضع نهر الأبوريماك شميلنسكي لاختبار عسير كقائد ومعلم. فهناك واجهنا أسوأ منحدراتنا المائية. وهو كان في الواقع سلسلة من مساقط "الدرجة الخامسة" التي تنذر بعواقب مميتة في حال حصول صعوبات فنية. وتعتبر مساقط الدرجة الخامسة قريبة من الحد الاقصى للمياه القابلة للاقتحام.

استكشفنا هذه السلسلة البالغ طولها حوالى ٨٠٠ متر على مدى ساعتين. وبعد ذلك انتقى شميلنسكي خط النزول. كان هناك جلمودان يشكلان مسقطاً ضيقاً في أعلى السلسلة. واذ يشق النهر طريقه عبرهما يتفجر كالوقود المندفع من مكربن سيارة ويتساقط على شلال قصير مكوناً في الاسفل "سجّانة" هي موجة تدور على ذاتها. والذين يعلقون في شرك السجّانة يدورون بضع دورات جنونية قبل أن يتسنى لهم التخلص منها.

وتحت كل ذلك تزبد المياه الكدرة الهائجة التي تدرك بمجرد النظر اليها انها قادرة على تهشيمك وارسالك الى البيت في كرسي للمعاقين.

قال شميلنسكي: "إنه قاتل."

وكنت أعرف الرد الصحيح: "لا مشكلة."

صعدنا الى طوفنا وجذفنا الى الوراء متملصين من الدوّامة واستدرنا عكس مجرى النهر، (في التجذيف ضد التيار تسنى لنا ضبط الطوف الى حد ما) ثم أدرنا مقدم الطوف ودخلنا ببطء مجرى الماء المتسارع.

وفيما اندفعنا كلنا فوق الشلال أحسست انا كمن يهبط في قطار أفعواني سريع في مدينة الملاهي. وانتابني شعور مرضيّ لذيذ كمن يهبط في الفراغ. ارتفعت الامواج جدراناً حولنا ورمتنا على جلاميد عدة. وكانت أصوات ارتطامنا بالصخور تطغى على هدير النهر.

فجأة وجدنا أنفسنا مسمَّرين الى أحد الجلاميد وقد مال الطوف على جنبه. فتسلقنا الى الجانب المرتفع والشلال يهدر عند أقدامنا. وحدّقت الى صخر حاد كالسكين في أسفل الشلال، وتشبثت بالطوف بكل قوتي. وتعالى صراخ شميلنسكي يائساً وملحاً محذراً كما لم أسمعه من قبل. واذا بنا بعد لحظات ننساب بهدوء في النهر تحت الشلال ونحن نلهث مجهدين. ولفّنا الصمت ونحن ماضون في المياه الساكنة وكأننا تمازجنا والنهر في كيان واحد ساكن. تمر بنا الجبال والجَلَد مواكب لا تلبث أن تغيب وراءنا.

قال شميلنسكي بعد برهة من التقاط الانفاس: "أحسنتم يا شباب! ممتاز! كدنا ننقلب، لكننا لم ننقلب." ثم صافحنا واحداً واحداً فغمرنا الابتهاج بانجازنا الرائع.

من قمة جليدية في أعالي جبال الأنديز،
انطلق أعضاء البعثة في مغامرتهم لتتبع نهر الأمازون عبر القارة.

قال شميلنسكي: "ليست الفكرة أن نقهر النهر، فالنهر ينتصر دائماً، وهو لا يبالي. نحن نحاول اقتحام النهر لأن بنا حاجة الى المحاولة. المياه المزبدة تسري في دمنا. انه شيء لا يُنسى أبداً."

في تلك الليلة دلفت الى خيمتي منغلقاً على مخاوفي وحاولت القراءة. ولكن سرعان ما ألقيت الكتاب جانباً. كنت مضطرب الفكر. فقد طلبت البقاء على الطوف حتى اقتحام كامل النهر الزاخر بالمساقط المائية وحين استجيب طلبي لم أعد مقتنعاً بأنني أريد ذلك حقاً. فبدأت تنتابني كوابيس مخيفة أراني فيها أغرق في اللجج من دون أن أموت فعلا. وبدأت أدرك الى أي حد يبعث النهر الخوف في النفس.

البعثة الرائدة

بدأت مغامرتي الغريبة باتصال هاتفي تلقيته من أحد الغرباء فيما كنت جالساً في مكتبي أسعى الى اكمال مقال أكتبه لصحيفة "سان فرنسيسكو كرونيكل." كان الرجل من جنوب افريقيا ويعتزم أن يصبح أول بشري يجتاز نهر الأمازون، أعظم الأنهار، من منبعه الى مصبه.

تنطلق البعثة في أغسطس (آب) ١٩٨٥ متسلقة الى حقل من الثلج في أعالي

جبال الأنديز حيث منبع الأمازون. ومن هناك يركب الفريق زوارق الكاياك المصممة للمجاري العنيفة ويجذف مسافة ٨٠٠ كيلومتر نزولا في أحد أخطر مساقط المياه على الأرض. ولدى بلوغ منطقة الأدغال تبدل هذه بزوارق كاياك بحرية لقطع مسافة ٦٠٠٠ كيلومتر الى المحيط الاطلسي.

أخبرني مكلِّمي أن بعض الاصدقاء أشاروا الى أني قد أستطيع المساعدة في جمع المال اللازم من أحد الناشرين على أن أكتب لاحقاً عن البعثة. فاذا قررت الانضمام فسيتعين علي مرافقة الفريق عن كثب: في شاحنة مساندة أولا، وعندما تنتهي طريق الآليات أرافق البعثة في طوف أو زورق نهري أو أي شيء آخر.

درست الخريطة بدافع الاستطلاع. لقد رُسمت الجبال زاهية باللون البرتقالي المتوهج، والغابات الغائمة بالزهري والذهبي الصارخ، والأدغال بالأخضر.

وثملت بتتبع الخط الازرق الذي يرسم الرحلة. وسحرتني أسماء الأنهر: أبوريماك، يوكايالي، مارانيون، أمازون. انها تثقل اللسان، لكنها حافلة بالاغراء.

ورأيتني مأخوذاً بالبعثة. فهي ستتسلق الجبال وتقتحم الأنهر الجامحة، ومنها ما لم يقتحمه أحد من قبل، وستسير في مناطق لم توضع لها خرائط مفصلة بعد، مثل "المنطقة الحمراء" حيث كانت حكومة البيرو تخوض نزاعاً شرساً مع ثوار "سانديرو لومينوسو" (الممر الساطع). كانت المنطقة الحمراء خاضعة لنظام طوارىء ومقفلة في وجه الغرباء، فتعين على البعثة التسلّل اليها خفية.

ولم اكن أنا مؤهلا للرحلة. صحيح أنني أتكلم الاسبانية وأنني كنت في وضع جسدي لائق، انما لم يسبق لي أن ركبت طوفاً وانحدرت في مساقط الأنهر، ولم أكن سباحاً ماهراً. باختصار، لم أكن "مستكشفاً." فلي صديقة، ونحن على أهبة الزواج. وان تكن وظيفتي غير مرموقة الا أنها كانت مضمونة. لذا فان رجلا مثلي ليس أهلا لمغامرة في نهر الأمازون.

ولكن لازمني شعور بأن حياتي هي في طور انتقالي، بعيدة قيد خطوة عن تحقيق ذاتها. وهكذا، بعد ستة أسابيع من تلقيَّ الاتصال الهاتفي الأول، تركت وظيفتي وودعت صديقتي وركبت طائرة الى ليما عاصمة البيرو وأنا محموم مبلل بالعرق من جراء الحقن الكثيرة التي تلقيتها في الليلة السابقة.

وما لبثت أن وجدت نفسي في مؤخر شاحنة تتسلق جبال الانديز العالية وتعلو وتهبط في الطرق الوعرة. كانت طبيعة الأرض هناك شبيهة بما في القمر: مسطحة، خالية من الشجر، تطوقها قمم رمادية ناتئة حادة. وعلى ارتفاع ٤٥٠٠ متر يهبط مستوى الاوكسيجين في الهواء الى نحو نصف معدله على سطح البحر. فأحسست نبضاً في رأسي، وفي اللحظات التي جلا فيها الجو كان نور الشمس يخز عينيّ.

في سبيل الابحار في نهر الأمازون من منبعه الى مصبه للمرة الاولى في التاريخ، كان علينا اكتشاف مصدره الكامن في تلك الاعالي الجرداء جنوب البيرو. ولكن الى الآن لم نعثر الا على الغبار الذي ذرته الريح المولولة داخل أفواهنا وآذاننا وعيوننا ومسام أجسادنا.

الى المنبع

جلس الى يميني بولوني فظ في الثلاثين يدعى زبيغنيو بزداك، ربع القامة، ممتلىء البنية، ذو لحية حمراء عارمة وشعر أشقر. قال لي: "نادني زبيشك، فلفظه أسهل."

وهو أخطأ في تقديره، لكنه لم يكن يبالي لتعثري في لفظ اسمه. كان مصوراً فوتوغرافياً غادر بولونيا قبل ست سنوات مع صديقه بيوتر شميلنسكي الذي شارك في تنظيم رحلتنا، لخوض الأنهر في زوارق الكاياك في أمريكا الجنوبية. وحين أعلنت الحكومة البولونية في العام ١٩٨١ حل نقابة "التضامن" كان بزداك وشميلنسكي في أمريكا الجنوبية، فاختارا الذهاب الى الولايات المتحدة بدل العودة الى بلادهما.

وكان تيم بيغز الآتي من جنوب افريقيا، جالساً قبالتي وركبتاه مثنيتان تحت لحية صنو لحية أبراهام لنكولن. انه في الثالثة والثلاثين من العمر، ممتلىء العضلات، خبير بقيادة زوارق الكاياك مسافات طويلة. وكان يقضي أمسياته في مطالعة الكتب الدينية وقد تهيأ للاستقرار مع زوجته وانجاب الاولاد. لكنه حسِب أن لديه وقتاً لرحلة واحدة أخرى، خصوصاً مع صديقة ومواطنه الجنوب - الافريقي جيروم تروران أحد أبرز مجذفي الكاياك في العالم.

والى جانب بيغز جلست الدكتورة كايت دوران وهي تجيل نظرها معاينة الارضِ القاحلة وأسنانها تصطك. وصاحت بصوت علا هدير الشاحنة: "عجباً، لماذا أتيتُ الى هنا؟"

فأجابها بزداك صائحاً مثلها: "لأن الحياة هنا أفضل من حياتك المملة في البيت."

كانت دوران طبيبة في لندن أمضت السنة السابقة في اجراء أبحاث في الطب الاستوائي وطب المرتفعات. وحضّرت عدة طبية خاصة لمعالجة أعضاء الفريق من الاصابات وحمايتهم من الملاريا والكَلَب والطفيليات المعوية ولدغات الحيات وسوى ذلك من الاصابات المخيفة.

وكنت الأمريكي الوحيد في البعثة. ووجدتني تعساً أكاد أتجمد من البرد وقد طغا علي الغثيان بفعل الارتفاع. فهذا المستوى - ٤٥٠٠ متر - هو أعلى من أي نقطة في الولايات المتحدة. ولدى مشاهدتي المناطق الريفية الموحشة من الشاحنة المترجرجة

ارتعبت اذ تبادر الى ذهني أني لم أدرك ما أنا مقدم عليه. وتناهت الي أصوات أفراد البعثة وهم يتكلمون لغات ولهجات متباينة. لقد ضمت بعثتنا تسعة رجال وامرأة واحدة.

من هؤلاء أربعة قدر لهم الوصول الى المحيط.

عصر ذلك النهار نزلنا في واد واجتزنا نهراً ودخلنا ساحة قرية تضم أكواخاً ترابية متداعية. وفي اليوم التالي استأجرنا حميراً وتوجهنا صعوداً في درب مغبرّ عبرناه خلال فترة بعد الظهيرة الحارة. وسجّل مقياس الارتفاع لدينا ٣٨٠٠ متر ثم ٣٩٠٠ ثم ٤٠٠٠.

كان الدرب يرتفع بحدة في جبال الأنديز المتأكلة، فبدأ حملي الثقيل يؤلمني. لكني كنت فخوراً به وبالهوية التي يضفيها عليّ. فقد كان بزداك حاملاً آلات تصوير وأفلاماً لها، ويتم بيغز حاملاً كتبه، وشميلنسكي خرائطه التي يكب عليها كل مساء. وحملت أنا مفكرتي وصوراً من البيت.

ان الطريقة الفضلى للتهيؤ للارتفاع هي شرب مقدار وافر من الماء والصعود ببطء. فعلى ارتفاع ٤٥٠٠ متر يتعرض المرء، اذا فاته التكيف الصحيح، لخطر الاصابة بالاستسقاء الرئوي والدماغي الذي قد يتسبب في الوفاة.

وكنا نحتاج الى أسبوعين لنتكيف جيداً، لكننا كنا متأخرين عن برنامجنا المقرر وعزمنا على بلوغ قمة "الفاصل القارّي"[٢] خلال أيام. فارتقينا الجبل في خط متمعج طويل.

اكفهرّ الجو وتساقط الثلج وعصفت الريح الى حد أنها كانت تعيدني منتصب القامة مهما جاهدت في الانحناء لاتقائها. وفقدت احساسي بوجهي.

شددت عليّ بذلتي المقاومة للريح ورحت أعد خطواتي: واحدة، اثنتان، ثلاث، أربع... ولدى انتهائي الى الخطوة الـ٧٣١ انبسطت الطريق. ورأيت بيوتر شميلنسكي يرسم خطاً في الثلج ويقول لاهثاً: "الآن نجتاز الفاصل القارّي."

وفي لحظات كتب شميلنسكي الى جانب من الخط: "الهادىء"، والى الجانب الآخر: "الأطلسي." فاجتزت الخط وألقيت حملي. وعلى مسافة ٨٠٠ متر الى الشرق ارتفعت قمة مبقعة بشلال جليدي شاحب الزرقة. انه منبع الأمازون.

في وسط الفاصل انتصب ركام من الحجار ارتفع حوالى مترين، في أعلاه خشبتان ربطتا متصالبتين. وبموجب التقاليد، تقدمت وأضفت حجراً الى النصب. ثم استدرت نحو شميلنسكي وقلت له: "كل الرحلة نزول من هنا."

فرد: "نعم، مسافة ٦٨٠٠ كيلومتر."

---

(٢) Continental Divide

كانت الجداول تتفجر مبقبقة من الجبال متباعدة حوالى ١٠٠ متر، فتجري ولا تلبث أن تغيب في بطن الوادي. وعلى بعد ٨٠٠ متر من مخيمنا تجمعت الجداول في أول مجرى ثابت في الجانب الشرقي من الفاصل القارّي. ولكن مضت ثلاثة أيام قبل أن نبلغ نقطة على نهر الأبوريماك عميقة كفاية لحمل زوارق الكاياك.

منحدرات قاتلة

يجري الأبوريماك شمالا غرباً مخترقاً قلب جبال الأنديز، وهو نهر فتيّ جامح يتدفق من قلب جبال فتية وحشية. إنه بعيد عن الحضارة، وعلى ضفتيه قرى وجسور قليلة. في الكيلومترات الثمانين الاولى يتلوى برفق مخترقاً الأنجاد العالية الجرداء، وبعدها ٥٠٠ كيلومتر ينحدر فيها على نحو شبه عمودي هو أكثر من خمسة أضعاف حدة انحدار نهر كولورادو الامريكي في "غراند كانيون" (الوادي الكبير). وقبل انهياله في حوض الأمازون يشق ممراً يزيد عمقه على ١٢٠٠ متر ويمتد كيلومترات.

في لا أنغوستورا (المكان الضيق) حيث لا يزيد عمق النهر على بضعة أمتار، أنزل شميلنسكي وترووران وبيغز زوارقهم الكاياك في الماء. وكنت أنا وبزداك ضمن فريق ثان نضرب سيراً في الأنحاء المقفرة، فيما اهتمت مجموعة ثالثة للمؤن. كان الدرب القديم منبسطاً وممهّداً أمامنا. وفيما تابعنا سيرنا كانت الدلائل قليلة جداً على وجود الانسان في تلك الاصقاع، والعلامات البشرية التي طالعتنا برزت بغتة كصور فوتوغرافية بعيدة عن واقع البيئة: لامة[٣] وحيدة تتدلى من أذنيها خيوط زاهية، دخان يرتفع من وراء قمة، امرأة من الكيخوا تعتمر قبعة مستديرة سوداء وتسير في الدرب مرتدية سترة مصبوغة بالازرق الصارخ وسط قتامة الطبيعة.

وتحتنا نزولا ازداد شق الابوريماك عمقاً في الارض، وبدأ بحارة الكاياك يلاقون فيه تحدياً متعاظماً. وعلى امتداد مئات الأمتار انتصبت صخور يزيد ارتفاعها على خمسة امتار غاب فيها النهر كلياً. فحمل البحارة زوارقهم ونقلوها فوق الصخور العائقة. واذ نال منهم التعب في الحمل ازدادت مجازفاتهم وأسباب الخطر عليهم.

ذات ليلة عاد شميلنسكي الى المخيم وأنفه مدمى وركبتاه متورمتان، فقد سقط من زورقه وجُرف حوالى ١٠٠ متر عبر ثلاثة مساقط قاتلة.

وبدا عليه القلق أيضاً، اذ بلغه من أحد المنقبين عن الذهب أن هناك رجلين أوروبيين في زورقي كاياك يتقدماننا ١٤ يوماً وهما في طريقهما الى الأطلسي. وأعلن شميلنسكي أننا لم نأت الى أمريكا الجنوبية لنكون الطاقم الثاني في قهر الأمازون، لذلك علينا أن نزيد سرعتنا. انه سباق!

---

(٣) اللامة حيوان جنوب - امريكي يشبه الجمل لكنه أصغر منه وليس له حدبة.

وكانت زوارق الكاياك تخوض النهر ببطء، وفي بعض الاحيان لم يجد المجذفون أكثر من ٤٥ متراً من المياه الصالحة للتجذيف يحملون بعدها زوارقهم ثم ينزلونها في النهر ليجدوه مليئاً بالمصافي والدوامات الغادرة وقد ازداد عنفاً. وكانوا أحياناً يعتبرون أنفسهم محظوظين اذا أتيح لهم التقدم كيلومتراً ونصف كيلومتر في اليوم.

وصلنا أخيراً الى كوزكو حيث تقرر أن ننزل طوفاً في النهر نركبه أنا ودوران وبزداك للانضمام الى المغامرة المائية. وتقع كوزكو في واد خصيب، شوارعها مرصوفة بالحصى وجدرانها مبنية بمداميك متداخلة وترتفع حولها جبال رائعة. ان لها تاريخها، أما لنا فهي كانت ملاذاً نأكل فيه وننام ونقلق لما تخبئه لنا المنحدرات الآتية.

استشار شميلنسكي صديقاً اتخذ المدينة مقراً لشركته التي تتعاطى صناعة الاطواف. قال الصديق انه لم يطرق الابوريماك منذ سنتين. فقد اشتد النزاع مع ثوار "الممر الساطع" ولا أحد يعرف في كوزكو ما ينتظره بين جسر كونياك ومستوطنة لويزيانا الباعدة ٣٢٢ كيلومتراً نزولا.

وفيما كنا ننتظر الدليل الذي سيرشدنا في الكيلومترات الاربعين الاولى، تلقينا أنباء مشجعة ومقلقة في آن. اذ علمنا ان الفريق الاوروبي عدل عن ركوب النهر بسبب الاصابة البالغة التي لحقت بأحد عنصريه، وبلغنا أن ساق الرجُل سحقت بحجر كبير سقط عليه.

لم نتباحث في الأمر. ثم بلغتنا رسالة ثانية تفيد أن دليلنا هرب من كوزكو لأنه لم يشأ ركوب أي قسم من نهر الأبوريماك.

"لا تنظر الى أسفل!"

بعد اندفاعنا العنيف الى جسر كونياك واقتحام طوفنا أول المساقط المصنّفة "درجة خامسة"، غادرنا المخيم تحت شمس الظهيرة في ثلاثة زوارق كاياك معدّة للمياه الجارفة. وعبرنا أشهر الجسور المعلقة التي بنتها قبائل الانكا. كان الجو حاراً والأرض مقفرة لا يرى فيها سوى لمحات من القمم الصخرية المثقلة بالثلوج.

اتسع مجرى النهر فبلغ حوالى ٤٥ متراً، وارتفعت أمام الطوف أمواج علت حوالى ثلاثة أمتار كأنها جدران خضر. ورأينا أمامنا سحابة دخان وجدنا لدى بلوغها أنها غبار وليست دخاناً. لقد انهالت مئات الأمتار من جدار الوادي في النهر.

وضاق نهر الأبوريماك فجأة على نحو صعقنا فوقفنا واجمين. لقد حُشر مجراه في مضيق لا يتعدى ربع عرضه السابق، ربما ١٢ متراً، مما ركز الريح المعاكسة بقوة شلَّت تقدمنا. فعلى رغم الجهود التي بذلناها في التجذيف بقينا مجمدين في أماكننا،

فاضطررنا الى التخييم هناك. لكننا لم نجد حولنا منبسطاً من الارض صالحاً للتخييم، اذ لم نرَ سوى جدران عمودية من الصخر ضاربة في العلاء.

عثرنا أخيراً على كومة صخور بينها فسحات رملية تتسع لخيمة أو كيس نوم. وقبالتنا في النهر كان شلال يسقط ١٥٠ متراً فوق صخور ملساء، أطلق عليه شميلنسكي اسم "شلال الرجاء الاخير." وهو سماه كذلك من باب الفكاهة، ولكن تبين لاحقاً أنه لبس اسمه بجدارة.

كانت أعصابنا متوترة، وانعكس التوتر على عشائنا. بدأ المطر ينهمر بغزارة فهرعنا الى خيمنا. ونمت، لكن صوتاً كقصف الرعد أيقظني. كان ذلك صوت تساقط الحجار المنفلتة من الجدران بفعل المطر.

فكّر بزداك وهو في خيمته: "اذا بقيت هنا فربما سقط علي صخر، واذا خرجت فقد يسقط علي صخر، لكني سأتبلل بلا شك. سأبقى في الداخل."

وتوصل تروران الى قرار مماثل، ونام على جنبه لاعتقاده أن ذلك يحدّ من احتمال اصابة أعضاء جسمه. وحذوت حذوه، واعتمرت خوذتي على سبيل الوقاية. وتوالى انقضاض الصخور حتى مطلع الفجر فلم أذق طعم النوم.

في الصباح تقدمنا جيداً في النهر، فاستعدنا ثقتنا التي فقدناها في الليلة الماضية التي شهدت قصفنا بالصخور. ولكن ما عتم النهر أن انعطف بحدة الى اليسار وانساب في أخدود بلغ من انحداره أن جدرانه بدت كأنها تطبق علينا. كان ذلك عند الظهيرة، لكن نور الشمس لم يبلغ صفحة الماء. وضاق الاخدود في مسقط واحد بلغ عرضه ستة أمتار اندفع عبرها الأبوريماك الحانق متفجراً كبركان ثائر. تلك كانت "هاوية أكوبامبا."

صاح بزداك في أذني: "تسبح في تلك الهاوية فلا تخرج منها الى الأبد!"

كانت جدران المضيق شبه عمودية، ووجدنا أنفسنا في مأزق اذ لم يكن في امكاننا اقتحام المنحدر المائي العنيف ولا نقل الأطواف ولا التسلّق ولا نصب المخيم. فلم يبقَ لنا خيار سوى "ربط" الطوف، وتلك عملية شاقة مهدمة للاعصاب تقوم على ارسال طوف خال نزولا في النهر مسافة ٤٥ متراً كل مرة، أي طول الحبل المربوط اليه. وفيما أمسكت الطوف بحبل قصير في مؤخره، سار البولونيان نزولا فوق جلمود اثر جلمود ومعهما حبل لمقدم الطوف. ثم أرخيت حبلي وركلت الطوف الى الشلال الاول. وما هي الا ثوان حتى كان الزورق يندفع نزولا وهو يتراقص بعنف.

تهيأنا لارسال الطوف في الجزء الثاني من الشلال الثائر. فتسلّق بزداك افريزا ناتئاً ممتداً على طول الجدار. وتبعته، لكن الصخر كان زلقاً فلم أجد ممسكاً متيناً، فاذا بي أصاب بما يسميه المتسلقون "أرجل ماكينات الخياطة" التي تعني رجفانا

شبيهاً بحركة المكبس يستحيل ضبطه. وصاح بي بزداك بصوت علا هدير النهر: "لا تنظر الى أسفل!"

رحنا نتمعّج على امتداد الافريز زاحفين كالديدان حتى وصلنا الى جلمود حيث تسنّى لنا تثبيت أنفسنا محاولين تجاهل النهر الصاخب تحتنا.

أمسك بزداك الحبل وشد مشيراً الى شميلنسكي لارسال الطوف الينا. فلففت ساعديّ حول خصر بزداك وانحنيت الى الوراء لموازنة الثقل، فاستقام الحبل لسبب ما واخذ بزداك يسحب الطوف شبراً شبراً نحونا. ثم أمسكت أنا الحبل وقفز بزداك الى الطوف.

تدفقت مياه النهر الغاضب الى الطوف وضربت بزداك وأوقعته. لكنه نهض وجذّف بالطوف نحو الصخر. وما ان صار على بعد متر ونصف متر حتى قفز منه ببراعة خفيت علي، ونجح في ارسال الطوف المتواثب.

أشار اليّ شميلنسكي بالقفز الى الطوف، لكن الحبل كان حزّ في يديّ ولم أقوَ على تحريرهما. فهز بزداك الحبل وأرخاه فقفزت من علو متر ونصف متر عن الجدار الى الطوف.

ركبنا جميعاً، فجرفتنا المياه الى قلب التيار. فعلا صراخ شميلنسكي محذراً: "الى اليسار، الى اليسار!" انعطفنا الى اليسار فتجاوزنا حفرة بشعة، لكننا رأينا أنفسنا مندفعين الى صخر لم يره أحد، ولو ارتطمنا به لانقلب بنا الزورق.

"الى اليمين، الى اليمين!" تجاوزنا الصخر. ثم: "الى الداخل!" ضربت بمجذافي في العمق فاستدار الزورق يمنة، ولفني جدار من الماء ولم أعد أرى الا بياضاً مزبداً. وضربني الموج بقوة وأوشك الزورق أن ينقلب، فلم تكن لي حيلة الا الضرب بمجذافي في العمق على غير هدى، ثم: "بوم!" وتحررنا من جدار الماء وانطلقنا في اتجاه "ذيل" المسقط المائي والمياه المنبسطة الهادئة وراءه.

كان راكبو الكاياك جذفوا بعيداً الى الأمام وغابوا عن أنظارنا. وتملكنا قلق ممضّ في الطوف، اذ على بعد ١٢٠٠ متر منا بدا النهر كأنه توقف عن الجريان وابتلعه جدار اعترض طريقنا. في العادة يظهر خط أبيض بين النهر والجدار كدليل قاطع على وجود منحدر مائي، وانعدام هذا الخط دليل على أن هناك شلالا.

قال شميلنسكي: "هذا شر ما نخشاه دائماً. لا مجال للخلاص منه ولا سبيل الى التراجع. حتى وان يكن هذا شلالا، فالامر الوحيد الذي يمكننا عمله هو الانطلاق الى الأمام."

انطلقنا وكلنا عيون على خط المياه. اقتربنا من نهاية النهر ١٥ متراً ثم ١٢ متراً ثم رسونا الى جانب الجدار. تسلق شميلنسكي الجدار لالقاء نظرة على ما وراءه. ولكن

على ارتفاع أربعة أمتار ونصف متر أفلتت قبضته فسقط في الماء مثيراً رشاشاً عظيماً وانجرفت خوذته الحمراء متواثبة في اتجاه الشلال. فاندفعنا نحوه مجذفين بأقصى طاقتنا وانتشلناه لحظة انحدر الطوف فوق الشلال. ولكن... لم يكن ذلك شلال على الاطلاق، بل مسقط طويل هادىء لا صخب فيه، منحدر لكنه مستقيم يجري موجه برفق سلساً متكاسلاً. فيا للحظ!

المتكلم الاعظم

تقدمنا كيلومتراً ونصف كيلومتر فقط في أول يوم لنا في هاوية أكوبامبا، ثم ثلاثة كيلومترات في اليوم الثاني، وفي يومنا الثالث انطلقنا ولا أمل يحدونا في انجاز أفضل.

بعد خمس ساعات من الجهد واختراق أربعة منحدرات عنيفة لم نتجاوز ٧٢٠ متراً. فتوقفنا لتناول الغداء منهكين محطَّمي المعنويات. الى يميننا شرقاً ارتفعت قمة مكسوة بالثلج ذكرتنا بأننا ما زلنا على علو ١٨٠٠ متر شاقة فوق سطح البحر.

استكشفنا النهر أمامنا، فوجدنا أسوأ المساقط التي واجهت أطوافنا الى الآن. كانت هناك أربعة مساقط راعدة كثيفة الزبد لا يقل طول كل منها عن ١٨٠ متراً. فصنَّفها تروران كلا على حدة: "غرفة الرقص،" "مخفوق الحليب،" "المميِّع،" "الرجل الميت."

اتجهنا عكس التيار، ثم استدرنا نحو المجرى فقذفنا النهر في الهواء. وأفاق في ذاكرتي شعور مماثل خالجني أيام المراهقة عندما قفزت بدراجة نارية من جرف صغير.

ضرب الطوف الماء ثم ارتفع واستدار ١٨٠ درجة، فرجعنا الى مسقط "غرفة الرقص." وخلال ذلك تصادم رأسي ورأس شميلنسكي فكدت ان أقع عن الطوف لو لم أتمسك بالشبكة التي تثبت المؤن في قعر الطوف. وما هي الا ثانيتان حتى اندفعنا في قلب مسقط "مخفوق الحليب" وكنت لا أزال ممسكاً بالشبكة.

"الى الامام!" صاح شميلنسكي آخذاً وضع التجذيف. تخطينا "المميِّع" لكننا فقدنا السيطرة على الطوف لدى اندفاعنا في "الرجل الميت" اذ ارتددنا عن الجدار الأيسر فاصطدمنا بصخر واستدرنا ٣٦٠ درجة كاملة ثم اصطدمنا بالجدار الأيمن وحلَّقنا فوق أحد الثقوب. فشاهدت للحظة الدوامة البشعة وسط الثقب. وهبطنا نزولا في مياه هادئة.

جذَّفنا الى جلاميد على الضفة ونزلنا من الطوف وجلسنا في سكوت تام. كنا قطعنا مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر وبدا أننا قد لا نخرج من الهاوية اذ لم نرَ مياهاً

منبسطة بل منحدرات مائية متعاقبة. وخفض شميلنسكي حصصنا الغذائية الهزيلة الى النصف، على أن نملأ قِدر الطهو بالمادة الفائضة لدينا: الماء.

التهمنا زادنا الهزيل فيما الخفافيش تتدافع فوقنا. واشتمل زادنا على ثلاث علب من التشيلي (لحم مطبوخ بالفلفل الاحمر). وعلبة حساء مجفف وماء، ماء، ماء. ثم تجمّعنا على بلاطة من الصوان نراقب النجوم. في رهبة الليل وسكونه، وسط تلك الأصقاع الموحشة النائية، أحسسنا أننا في مكان جليل لم يطأه قبلنا بشري.

قال تروران: "إن للانهر لغتها الخاصة. نحن لسنا في البيرو. نحن هنا في مكان يتكلم بلغة الدوّامات والتيارات والمساقط والبرك. نعم، لم نقطع اليوم سوى مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر، فهل تعرفون مسافة أجمل من هذه؟"

كان فصل الامطار بدأ في أعالي الأنديز وشرع نهر الأبوريماك يتغير يومياً بفعل الروافد فوقنا. فقد يكون في المساء هادئاً مسالماً، لكنه في الصباح قد يتحول هادراً مهدداً. وهذه التغيرات في "المزاج" أضفت على النهر ميزة كأنما له إرادة ذاتية. انما ما أعطاه خاصة الحياة في النهاية فهو صوته. فكلمة "أبوريماك" تعني "المتكلم الأعظم" بلغة الكيخوا وهذا ما هو فعلا. انه يهدر.

ظُهر يومنا الخامس في الهاوية تطلعنا الى ما وراء أحد الانحناءات علّنا نجد مياهاً هادئة، لكننا رأينا المساقط تزداد عرضاً وارتفاعاً وشراسة.

عدنا الى التجذيف، ولكن لم يتوقع أحد منا عنف التيار الجاري مباشرة تحت قمة

بيوتر شميلنسكي في شرك منحدرات الأبوريماك الشرسة

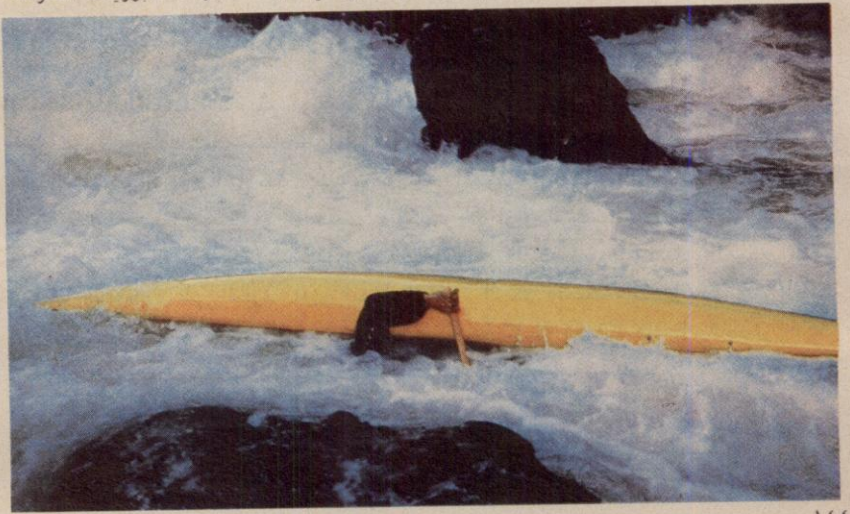

المسقط التالي الهائل. كنت في الطوف، وفي لحظة خاطفة اذا بالظلمة والسكون يطبقان علي، مددت يدي لأتمسك بالطوف لكن يدي لم تقع الا على المياه القارسة. وحاولت السباحة لكني شعرت كأنما قبضة جبارة تعصرني وتخنق أنفاسي. ثم حاولت أن أتبيّن ضوءاً فشدُدت الى العمق ورحت أنقلب مرة بعد مرة. وفي لحظة هدوء ونقاء فكري أدركت أنني أغرق.

أرخى النهر قبضته عني فجأة فرأيت الضوء، فحاولت بكل قواي السباحة في اتجاهه لكني ابتلعت ماء وشرقته الى رئتي. وعاد النهر وشدّني الى أعماقه. فلفني الظلام واصطدم رأسي بالصخور.

هواء! ضوء!

طفوت على سطح الماء فرأيت جدار المضيق يندفع بقربي، ولمحت تروران في الكاياك عند أسفل المسقط المائي فصاح بي: "اسبح!"

لكن لطمة في ظهري دفعتني الى حضن الماء مجدداً، فدخل الماء رئتيّ عبر أنفي. ثم قفزت فوق شيء صلب فطلعت الى سطح الماء الى جانب تروران.

صاح تروران: "أمسك بوسطي!" فشققت طريقي متلوياً الى مؤخر زورقه ولففت ذراعي حوله بكل ما تبقى لي من قوة خائرة.

في تلك الليلة خامرني شك في ما اذا كان سيقدر لي، أو لأي منا، النجاة من الهاوية التي نتخبط في لججها. أشعلت شمعة ورحت أحدق اليها حتى تلاشى قبسها الاخير. وارتعت حين غمرتني ظلمة النهر فأشعلت الشموع واحدة بعد أخرى. وحين أنطفأت الشمعة الرابعة والاخيرة جلست في الظلمة وعيناي مفتوحتان. وأحسست جسمي يهوي في أعماق لا قرار لها.

"الممر الساطع"

حين دخلنا الوادي الادنى أخيراً شعرت كأننا نجونا من الجحيم. إنما خاب أملنا في اليوم التالي. كان ضوء النهار بدأ يتسرّب الى الوادي، وكنا على أهبة انزال الطوف في النهر في أعلى أحد المنحدرات المائية الكبيرة، حين تناهت الى سمعنا، أنا وشميلنسكي، أصوات أزيز تبعتها طلقات أسلحة نارية خفيفة.

صاح بيغز مشيراً عبر النهر الى ستة رجال فوقنا على بعد بضع مئات من الامتار ينحدرون على جدار الوادي. ركع أحدهم ورفع بندقيته وأطلق رصاصة سقطت في النهر على بعد ٦٠ سنتيمتراً من تروران الجالس في زورقه.

صرخ شميلنسكي: "هيا بنا!"

لم يسبق لي أن شعرت بالامتنان للاندفاع في منحدر مائي كما شعرت آنذاك. في

البدء غمرني ارتباك غامر طغا على الخوف. فأنا لم أتعرض للرصاص سابقاً ولم يحاول أحد قتلي. ومضت لحظات قبل أن استوعب ما جرى فعلا فارتعدت خوفاً، لكننا كنا عندئذ اختفينا في غمار المسقط المائي.

كنا في "المنطقة الحمراء" حيث لجدران الوادي العارية عيون ترى وآذان تسمع. ولشدة اضطرابنا اقتحمنا أحد المنحدرات من دون أن نستكشفه، فانقلب الطوف في "ثقب" وقذفنا نحن الاربعة الى النهر.

رحت أترنّح تحت المياه المتلاطمة. وحين أوشكت على الطلوع الى سطح الماء تساءلت: أتراني سأرمَى برصاصة في رأسي؟

لاح ظل فوقي فأمسكت بالطوف المنقلب وسحبت نفسي تحته، فوجدت بزداك يسعل ويحاول تجفيف مجاريه الهوائية. وسألني بصوت ملح أجش: "أين كايت؟ أين كايت؟"

طلعت رغماً عني الى نور النهار.

وما ان قوّمنا الطوف الى الوضع الصحيح حتى هتف شميلنسكي: "أسرعوا!" ورأينا خلفنا، في قلب المنحدر المائي، شيئاً مستديراً يدور في الثقب. كان ذلك رأس كايت. وكان تروران خلفها في المياه الاخف سرعة، فجذف اليها وانتشلها وأسرع بها الينا.

كنا قبلا نسخر من القتال بين الحكومة وثوار "الممر الساطع" ولم يأخذه أحد منا على محمل الجد، جهلا منا وغباوة. كانت المجموعة تعد أشرس التنظيمات الثورية في أمريكا الجنوبية، وهي مسؤولة عن أكثر من ٣٠ الف عملية أسفرت عن مقتل ٦٠٠٠ خلال ست سنوات.

انحدرنا نزولا في النهر بالسرعة القصوى حتى العصر حين اضطررنا الى التوقف لاستكشاف منحدر مائي. تسلّقت وشميلنسكي الضفة ورحنا نعدو بين شجيرات الصبّار. ثم اعتلينا جلموداً ونظرنا الى رفقائنا في زوارق الكاياك فرأيناهم يلوحون باهتياج وإلحاح. ثمة خطب ما.

ركضت الى الطوف. واذ قفزت اليه متخطياً دوران وبزداك هجم رجلان من الغاب، أحدهما يحمل رشاشاً والآخر بندقية قديمة.

بقي حامل الرشاش صامتاً فيما راح حامل البندقية يصرخ كمجنون ووضع فوهة بندقيته على رأس بزداك. فتقدم شميلنسكي ماداً يده اشارة الى رغبته في المصافحة، لكن حامل الرشاش صوّب سلاحه في اتجاهه.

صرخ حامل البندقية: "نحن من الممر الساطع!" كانا حافيين وكل منهما يرتدي سروالا عسكرياً وسترة رياضية ويعتمر قبعة مموهة. كانا يبدوان كعاملين ريفيين لا

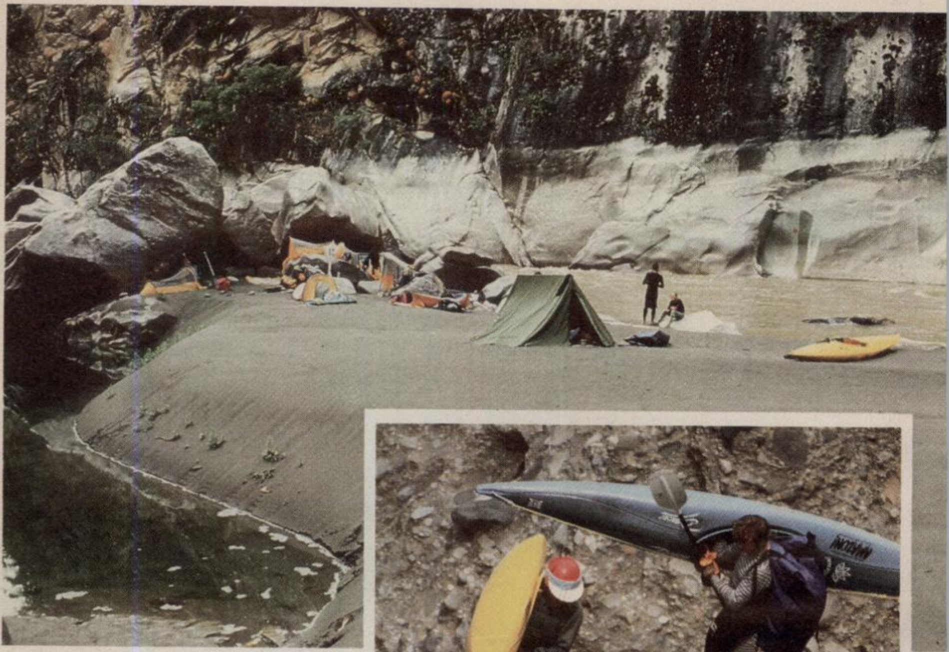

(فوق) نصب المخيم في هاوية أكوبامبا.
(تحت) حمل زوارق الكاياك في أعلى نهر الأبوريماك.

كمقاتلين في فرقة عسكرية حسنة التدريب. ثم ظهر من الغاب ١٢ رجلا آخرون.
سأل حامل الرشاش: "هل بلغتكم أخبارنا؟"
أجاب شميلنسكي: "نعم."
تبسم الرجل وقال: "لقد هاجم قائدنا مخيمكم هذا الصباح."
كان شميلنسكي يتكلم الاسبانية بطلاقة وبصوت خفيض. وحاول اقناع المسلحين

بالسماح لنا بالانطلاق، فقال: "نحن لسنا جنوداً."

بدا حامل الرشاش راغباً في الاقتناع. فمشى هو وشميلنسكي وحامل البندقية بعيداً عن مرمى السمع وجلسوا، فيما بقيت أنا وبزداك ودوران في الطوف تحت الحراسة.

بعد لحظات هرع شميلنسكي الى الطوف وأخرج أوراقاً تثبت هويته وهوية بزداك على أنهما بولونيان، وهمس لي: "ابق على الطوف، اذا عرفوا أنك أمريكي فسنقع في مأزق كبير." ثم عاد لمتابعة التفاوض.

دام التباحث ساعة كاملة. وأخيراً توجه المتباحثون الى الطوف. كان الثوار يريدون اطلاقنا في مقابل هبة.

قال حامل البندقية: "سمك." فقبل شميلنسكي أن يعطيه خمس علب من مؤونتنا.

"ست علب، "قال حامل البندقية.

"خمس علب،" أجاب شميلنسكي بحدة مذهلة.

– ست.

"خمس. هذا كل ما أعطيك."

بقي شميلنسكي حازماً لا يتزحزح عن موقفه، فكدت أن يغمى علي. فبحسب تفكيري: ما هي الحكمة في أن نقتل بسبب علبة من سمك التنّ؟

وفي النهاية قبل حامل البندقية بخمس علب، وتبسّم. وتبسّم حامل الرشاش. فتنفسنا الصعداء وتبسمنا وتصافحنا جميعاً. ثم وثبنا الى التجذيف وانطلقنا مسعورين نحو المسقط التالي من دون أن نلتفت الى الوراء.

وحل الغاب

لفّ أرجاء النهر ضباب رقيق ما لبث أن تبدد، فبانت لنا الهضاب والجبال مكسوة بغابات المطر. لساعة خلت كان الهواء جافاً، والآن كثف وعبق الجو برائحة البلسم العطرة الحادة، وراحت الببغاوات تزعق فوقنا. ورأينا كرات بنية شبيهة بجوزات هند ضخمة، فتبين لنا انها قردة تترجح بين الأشجار الباسقة الوارفة والكرمات المتعرشة الملتفة.

ورأينا روافد جديدة تصب في الابوريماك متباعدة حوالى كيلومترين. وارتفعت مياه النهر وتضخم وازدادت سرعة جريانه. لكنه كان يتدفق سلساً عميقاً، وانخفض صوته الى وشوشة. وانتصبت على ضفتيه أبراج مراقبة من جذوع الشجر ارتفعت فوق مظلة الغاب الكثيفة الخضراء. كانت ميليشيات القرويين تستخدم هذه الأبراج في حملتها ضد رجال العصابات، لكني كنت أكيداً من أنها تستخدمها أيضاً في

مجذفو الكاياك يعبرون تحت جسر معلّق من جسور الانكا مصنوع من العشب المحبوك.

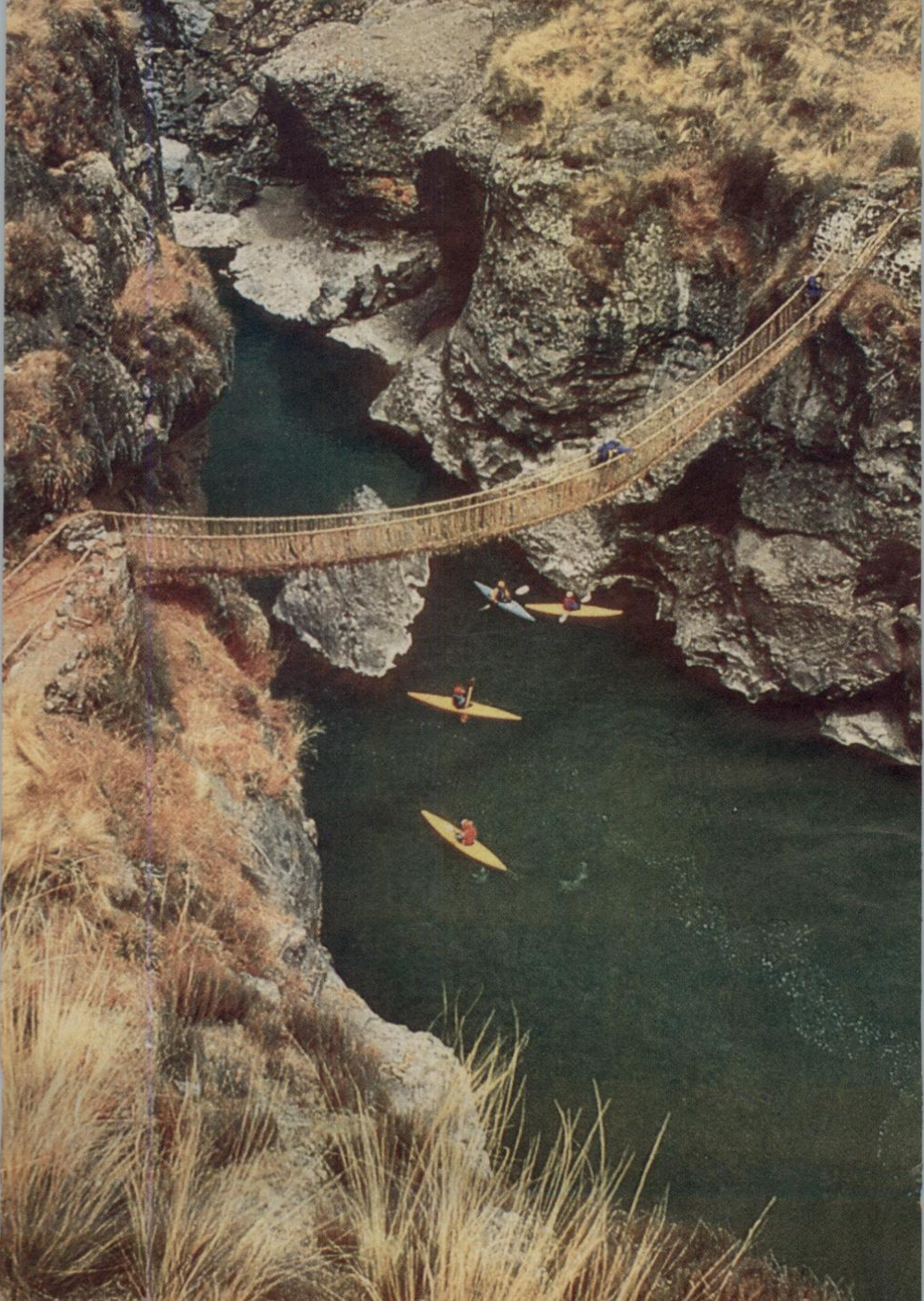

حماية المساحات الصغيرة المستخلصة من الغاب والمزروعة نبتات الكوكا[٤] التي رأيناها في كل بقعة هناك، تتوهج أوراقها الدهنية في نور الشمس كقطع نقد خضر.

بقيت أمامنا مسافة ٦١٠٠ كيلومتر من النهر، سنجتاز معظمها في زوارق الكاياك. أرعبتني الفكرة، اذ بالمقارنة مع الطوف الثقيل بدا الكاياك مثل حشرة خفيفة لعوب. هنا كان النهر حافلا بدوّامات مزبدة يصل اتساعها الى ١٢ متراً وتعلو دوائرها الخارجية أكثر من متر عن "عيون" قعرها.

كان الخوف من الغرق همي الاكبر. انما كانت لدي هموم آخر. فأخطر المشاكل التي ستواجهني في المسيرة الطويلة الى البحر ستكون التعب والتهاب أوتار معصمي اليدين، وهذا يحتاج الى راحة تامة أو جراحة. كان علي أن أتعلم التجذيف الصحيح باستخدام ساعديّ كنقطتي ارتكاز والدفع بيد واحدة من الخصر الى الامام.

وكثيراً ما رأيتني غارقاً في التركيز على هذه الطريقة التقنية الى حد كنت أنسى وجهتي فأجدني مندفعاً نحو دوامة أو ضفة أو جلمود. كان تروران يدربني وينهرني مرة بعد مرة: "ادفع، لا تجذب." وتراكمت خيباتي الواحدة تلو الاخرى حتى لم يسعني الا التفكير بيأس: ٦١٠٠ كيلومتر على هذا النحو؟

ما لبثنا أن لوّحنا بأيدينا مودعين نهر الأبوريماك الذي احتضننا طوال شهرين. وانعكست أشعة الشمس الغاربة على جدار الغاب، وتوهجت كل شجرة وكل كرمة بخضارها الفريد.

انتهينا الى منطقة الادغال. ويا للاستقبال الذي حظينا به. كانت الرطوبة في انتظارنا، وتراكم الطين والوحل في كل زاوية وشقّ. وأبى الحطب أن يشتعل والعرق أن يجف والجروح أن تندمل. وتسرّبت رائحة العفن الى مسامنا وأخذت ملابسنا في الاهتراء.

واجتاحتنا جحافل البق والعناكب والصراصير والعث والنحل والدبابير والنمل والقراد والبعوض. كانت تئز وتطن وتدندن وتصول وتجول حول أعيننا وآذاننا وتعضّ أقدامنا. وغرزت خراطيمها المستدقة النهمة في جلودنا التي سرعان ما تورّمت بالقروح. حتى الفراشات المسالمة تجمعت في حشود هائلة وأصبحت مصدر ازعاج، وهبطت على الطوف كبحر من الغيوم الكثيفة المرفرفة.

الى هنا كان تقدمنا مرهوناً بالتغلب على عوائق مميتة. وقد شحذت هذه الأخطار هممنا واستحثت تركيزنا. إنما في جو الادغال المشبع بالرطوبة والنتن سيطر علينا الخمول وفترت همتنا وسادنا التوتر، فرحنا نتذمر ونتجادل في تفاهات مثل: من

(٤) الكوكا نبتة يستخرج منها الكوكايين.

سيجلب الحطب، وماذا نطهو للعشاء.

ذات يوم قال لنا شميلنسكي بعد مشاحنات تافهة: "انتبهوا يا شباب، إما أن نتجادل ونكون أفظاظاً وإما أن نتقيد بالمبادىء والانظمة."

كانت هذه قاعدة حملها شميلنسكي من "العالم القديم" وانعكست في العناية الفائقة التي كان يوليها كل عمل يؤديه. فحين كان دوره في الطهو كنا ندهش لأناقته المطبخية الممتازة: أدوات الطعام منضدة في متناول الايدي، الطاسات والملاعق والاكواب مرتبة في صفوف، سكب القهوة، العشاء يغلي في القدر على النار.

كان شميلنسكي يتهيأ كل يوم لركوب النهر وكأنه يتأهب للقتال. كان أول من يستيقظ، فيحزم أمتعته وينزل الى النهر. وبذلته اليومية - ملابس تحتية طويلة وسروال قصير للتجذيف - كانت نظيفة وأنيقة على الدوام اذا قورنت بملابسنا التي بدت كأسمال بالية، مما دفعنا الى الظن أنه خبأ ملابس احتياطية في قعر الطوف.

وفي الصباح اتبع طقساً هو الاكثر إثارة، اذ كان يخرج مرآة صغيرة فيمشط شعره بعناية ويطلي وجهه بمزيج من المستحضرات والمساحيق الواقية من أشعة الشمس، شبيه بالدهان الذي يطلي به محاربو القبائل وجوههم. ثم يتمطى وينفخ صدره ويهاجم النهر كمقاتل. فيمشي مشية حربية ويقبض على المجذاف كأنه رمح لخوض المعركة.

الشك والضعف

كان النهر في ذروة فيضانه كوحش هائج، مضخماً بمياه موسم الامطار. كان عكراً بنياً كالطين، يندفع هادراً بسرعة ١٩ كيلومتراً في الساعة كهدير الحصى المتساقط من مقلب شاحنة. في الضفة البعيدة كانت كتل ضخمة من التراب تنهال في النهر ومعها أشجار ترتفع ١٥ متراً.

وأقنعتني خبرتي القصيرة في الكاياك في المنحدرات المائية الخطرة بأن من الحماقة أن أحاول التجذيف ستة آلاف كيلومتر في مياه وحش كهذا. وقررت اجتياز المسافة مع بزداك ودوران على متن مركب كبير مسطح القعر ضيقه يبلغ طوله ١٢ متراً، وهو سيحمل مؤن شميلنسكي ويلاقيه حين يتسنى اللقاء. لكني لم أجد طريقة لائقة أعبِّر بها عن جبني، ولذا كتمت خطتي ولم أبح بها لأحد.

بعد ظهر اليوم التالي انفتحت كوى السماء وانهمر مطر غامر أعمى أبصارنا. انه نذير فصل الامطار الذي لا يبعد أكثر من بضعة أسابيع. تحول النهر مرجلا هائجاً يغلي، وازدحمت فيه جذوع الشجر والأطواف المهجورة وسقوف أكواخ القش وكل غريب من حطام الغاب، تتصادم وتتباعد مندفعة في التيار الجارف، أرعبني المشهد

وجال في فكري أنني لو كنت في كاياك وسط ذلك الخضم لسحقت كحشرة.

وتناقص عدد أعضاء بعثتنا، فالتعب والخوف ومشاكل تأشيرات الدخول على جوازات السفر وسوى ذلك من المسؤوليات استحضرت في نفوس رفقائي الافكار ذاتها التي كانت تراودني. فتروران لم يستسغ فكرة التجذيف عبر كل تلك المنبسطات المائية، وكان على أهبة مغادرتنا ليبدأ التدرب للاشتراك في سباق عالمي.

وبقيت أنا وشميلنسكي وبزداك ودوران. كان من المفترض أن أنزل وشميلنسكي في زورقي كاياك فيما يحاول بزداك ودوران السفر على متن مركب تجاري الى مدينة بوكالبا. لكن اللعبة كانت انتهت عند هذا الحد بالنسبة الي. فقد رأيت الجبال والادغال وتحملت من المخاطر والاهوال فوق ما تعيه ذاكرتي، وحان الوقت لكي أتكلم وأفصح عن قصدي.

بدأت: "حسناً يا بيوتر، كنت أفكر."

"فيمَ كنت تفكر؟" رمقني شميلنسكي بنظرة ثاقبة وثبّت عينيه الزرقاوين الجامدتين في عيني كأنه يمسكهما بقبضة من حديد لا خلاص منها. لم يكن في نظرته انفعال أو تأنيب أو استضعاف، بل سبرٌ لأعماق النفس وسؤال خفي: من أي معدن أنت؟

وكان جوابي: معدني الشك والضعف. لقد غمرتني رغبة جامحة في أن أكون في وطني وفي بيتي ومع صديقتي، حاضري مضمون ومستقبلي لامع، وليبقَ الأمازون وشميلنسكي - ذلك الرقيب البولوني المدرب - بعيدين عني ألوف الكيلومترات.

أجبت شميلنسكي: "كنت أفكر في الاثارة التي تنتظرنا، أنا وأنت، ونحن في الكاياك نخوض هذا النهر العظيم مستكشفين غوامضه."

قال: "حسناً يا جو، هذا هو التفكير الصحيح."

"أنا أغني وأنت تكتب"

بدأنا رحلتنا أنا وشميلنسكي مجذفين بضربات قوية. لكن محاولتي تقليده كانت تزويراً. شعرت بألم في معدتي وبأني سأصاب بالانفلونزا.

انحدرنا في نهر يوكايالي الذي سيحملنا مسافة ١٨٠٠ كيلومتر، أي أكثر من ضعفي المسافة التي اجتزناها منذ بلوغنا منبع النهر قبل ثلاثة أشهر. من ثم سنجذف ٦٥٠ كيلومترا الى الحدود البرازيلية، ومنها ٣٢٠٠ كيلومتر الى المحيط الاطلسي.

الجزء الاعلى من نهر يوكايالي مجرى مائي ملتف كالامعاء ولا خرائط له موثوقاً بها. وكل سنة تغير الفيضانات مجراه كيلومترات عدة. لكنه أيضاً نهر يتسم بالجمال

الرفيع. ففيه تسبح الدلافين ويضرب السمك "الطائر" صفحة الماء. وعلى الضفة ينتصب تمساح كبير على قوائمه ولا يلبث أن ينزلق عن اليابسة ويغيب في الماء لدى اقترابنا.

كان علينا قطع نهر يوكايالي قبل الفيضانات. لذلك وضع شميلنسكي برنامجاً صاعقاً نتقيد به: ١٢ ساعة يومياً في الزوارق، التجذيف ٥٥ دقيقة كل ساعة لسبعة أيام في الاسبوع، ٥٠ ضربة في الدقيقة، ٣٣ الف ضربة في اليوم، مليونان وربع مليون ضربة الى الاطلسي.

بعد ثلاثة أيام أصبت بالتهاب مؤلم في أوتار معصمي، ونزل بي داء الانفلونزا ومضاعفات معدية - معوية واسهال حاد.

ولازمني الانهاك والارق، وكانت الحرارة والرطوبة رهيبتين، والشمس حارقة قاسية لا ترحم، فزاغ بصري وصرت أرى بقعاً وهمية.

كنا في الطوف كأننا عائلة واحدة من خمسة أشخاص، تملأ حياتنا النكات وممازحات الالفة والصداقة. وها قد أصبحنا اثنين فقط، شميلنسكي وأنا. وهنا أريد أن أفيه حقه، فهو أضفى على مغامرتنا رؤية مخالفة تماماً لرؤيتي. فقد بذل كل جهد في سبيل ابقائي على النهر، فحمل جميع أثقالنا وحشر المؤن في مقدم زورقه ومؤخره، وحزمها على ظهر الكاياك وثبتها الى أسفل هيكله برباطات مطاط. فكانت هناك أباريق الماء وعلب الاناناس وقوارير الوقود والموقد والمجاذيف الاحتياطية، حتى بدا زورقه كدكان خردة عائم. ونتيجة ذلك تحتم عليه التجذيف بصعوبة أكثر.

في اليوم الرابع غلبني الخجل والارتباك. فقلت لشميلنسكي: "أعطني شيئاً ما."

قال: "سأعطيك شيئاً يا جويسكي لدى وصولنا الى بوكالبا. سأعطيك أكبر قرن جيلاتي أكلته في حياتك."

كان هو الذي ينتقي مواقع التخييم ويطهو ويتأكد من تناولي الاقراص الواقية من الملاريا. وذات مرة أغمي علي في الكاياك من شدة الحمى، ولما استعدت وعيي وجدته يقطر زورقي وراءه. كان ينشد أغنيات بولونية شعبية، ويتحفني بأعلى صوته عند الفجر. كان صوته ينطلق ملعلعاً من النهر الى أشجار الغاب فيُجفل أسراب الببغاوات ويحمل القردة على الصراخ والولولة.

قال لي ذات عصر: "جو، غنِّ أنت الآن."

قلت: "لا أقدر أن أغني."

فألحَّ: "غنِّ أي شيء يطيب لك."

لم يكن لي بد من الاذعان، فبدأت أغنية: "ترا... لا... لا..."

فقاطعني فوراً: "هاي! أنا أغني، أنت تكتب."

فقدت الحس بالتواريخ وتتبع أيام الأسبوع. كان شميلنسكي يوقظني في الصباح، فأنهض وأتبع مؤخر زورقه المترجح. وفي الليل أنهار محموماً. وأخيراً تعافيت من مرضي، ولم أعرف الى الآن نوع ذلك المرض.

في بلدة بولونييزي العامرة بالاكواخ والدجاج والحشرات والوحل، انطلق شميلنسكي يفتش عن فاكهة فيما تمددت أنا على ربوة معشبة تطل على النهر. وحين انقلبت على ظهري رأيت خمس نساء قرويات يحدقن اليّ.

سألتني احداهنّ: "الى أين أنت ذاهب؟"

فأجبتها: "الى البرازيل."

قالت: "عليك أن تطير الى هناك."

النهر - البحر

عزمت على الاحتفاظ بموقف ايجابي من مسعانا باتباع "طريقة شميلنسكي" كما بدت لي بعد روية وتفكير: التقيد بالتعليمات والامانة في التنفيذ سيوصلاننا الى المحيط. وكان هناك عامل آخر لمصلحتي في هذه المرحلة من الرحلة، وهو أننا في بوكالبا أبدلنا زوارق الكاياك المصممة للمنحدرات المائية العنيفة بزوارق كاياك بحرية أكبر. فهذه تحافظ على مسار مستقيم في التيارات القوية، وهي مجهزة بدفّات تحرك بالقدم مما يخفف الاجهاد على معصميّ وساعديّ المتألمة.

شعرت بالفخر والاعتزاز كقبطان لزورقي الجديد. وعلى مؤخره خطَّ شميلنسكي اسم "إليز" تيمناً بصديقتي في الوطن. وكتب على زورقه اسم "جوانا" تيمناً بزوجته التي سمح لها أخيراً بمغادرة بولونيا وتوقع وصولها الى الولايات المتحدة في غضون بضعة أسابيع.

كانت "إليز" مريحة الى الحد الذي يمكن أن يرجوه المرء اذا تعين عليه الجلوس للتجذيف ١٢ ساعة يومياً. فحجرة القيادة مكشوفة تتيح لي ثني ركبتيّ، وفي متناولي سكين الجيش السويسرية وقارورة الماء ومرهم واق من أشعة الشمس وملابس واقية من المطر ودواء طارد للبعوض وعُدة طوارىء طبية وصندوق مانع للماء يحتوي على أقلام ودفاتر.

وكنت تصورت الأمازون معتماً شديد الرطوبة، ولكن على النهر ذاته كان الضوء قوياً والشمس ساطعة لفترة أطول من المستحب. ولا تُرى في البعيد جبال أو تلال أو أفق، بل امتداد من الغابات الخضر السرمدية المترامية الى اللانهاية. وليس في مجاهل تلك الأبعاد ما يوحي أمل الافلات من قبضتها.

وبعيداً عن بوكالبا عند ملتقى نهري يوكايالي ومارانيون يبدأ استحقاق ذاك

المجمَّع المائي لاسم "الأمازون" وان لم يطلق عليه الاسم بعد، اذ ان عرضه هناك يصل الى ثلاثة كيلومترات. وجذفت طوال ٣٥ دقيقة للوصول الى امتداد رملي مرتفع وسط النهر. وسبقني شميلنسكي الى هناك وراح يعدو جذلا على الرمل الابيض العاجيّ هازاً مجذافه كرمح وهاتفاً: "الأمازون! الأمازون!" ولم يسمع هتافه أحد سواي.

أنعمت النظر لرؤية الضفة البعيدة التي بانت خطاً رفيعاً أخضر فاصلا بين الماء والسماء. ولولا ذلك الشريط الأخضر لحسبتني شاخصاً الى المحيط. ويعرف الأمازون باسم "إل ريو مار" أي النهر - البحر.

وصل دوران وبزداك الى إيكيتوس، المدينة التالية، قبلنا بخمسة أيام. وكانت رحلتهما في النهر حافلة بلعب الورق (الكوتشينة) وموسيقى الديسكو الصاخبة. وهما حملا اليّ رزمة رسائل بريدية هي أول أتصال بي من الولايات المتحدة منذ شهرين ونصف شهر. وجددت دوران تموين عدّتي الطبية وأعطتنا صمغ شجرة قيل انه دواء ممتاز لألم المفاصل والعضلات.

غادرنا ايكيتوس قبل أربعة أيام من عيد الميلاد للعام ١٩٨٥ على أن نلتقي بزداك ودوران ثانية على الحدود البرازيلية. وعلّق شميلنسكي على مقدمي زورقينا شجرتي ميلاد صغيرتين. ومرة غرقت في النوم في زورقي، واستيقظت لاجد شميلنسكي يقطرني مهمهماً ترنيمة ميلادية. ووصلنا يوم عيد الميلاد الى تاباتنغا على الجانب البرازيلي من الحدود حيث أخذت أول حمام ساخن منذ خمسة أشهر وتناولنا عشاء فخماً من الحساء والدجاج المشوي والسلطة.

أما عيد رأس السنة فكان مختلفاً، اذ كنا في نهر سوليمويس الذي يتعرج في ولاية أمازوناس القليلة السكان والتي تلقب "الغرب البرازيلي الموحش" تشبيهاً لها بالغرب الامريكي. نصبنا مخيمنا تلك الليلة في بقعة كريهة الرائحة من الطين والصلصال، وطها شميلنسكي طبقاً من التشيلي ثم جلسنا على جذع شجرة.

قال شميلنسكي: "في بولونيا، هذا هو أعظم أيام السنة. الكل يرقصون والاقارب يجتمعون ويحتفلون بعشاء فخم ويفتقدونني. وفي كل يوم رأس سنة منذ ست سنوات يفردون لي صحناً فارغاً على المائدة."

قلت: "قد يأتي يوم لا يكون فيه الصحن فارغاً."

فرد: "هذا أمر لا يسعني التفكير فيه. كل عام وأنت بخير يا جو."

بعد ١٢ يوماً في نهر سوليمويس بدت قرية كواري مثل باريس. التقينا دوران وبزداك في فندق "بالاس" النظيف الذي كاد يكون فارغاً، فأفرغنا زورقينا وأكلنا دجاجاً مشوياً.

لم أكن عاينت شميلنسكي وهو منهك، ولم أدرك أن رد فعله للارهاق يختلف عن رد فعلي. فأنا أنهار كلياً على نحو مخز، فيما يزداد هو عزماً ويدفع نفسه الى المكافحة بجهد أشدّ مما سبق. كان ينام قليلا في النهر ويدرس خرائطه حتى ساعات متقدمة من الليل أو يجهز الزورقين لليوم التالي. وخلال النهار لم ينقطع عن الكلام، وفي فترة ١٢ يوماً استغرقتها رحلتنا من تاباتنغا سمعت منه تفاصيل تاريخ بولونيا منذ عهد السلافيين.

وفي كواري كذلك لم يعرف شميلنسكي الراحة، اذ أمضى يومين في اتصالات هاتفية محاولا جمع مزيد من المال. فهو راهن غالياً على بعثة الأمازون، فترك عمله وصرف مدخراته والتزم أدبياً لستة ممولين للبعثة. كان يتحتّم علينا اكمال الرحلة.

وعندما أبلَغنا أن مجموعة دعت نفسها "لجنة إنقاذ الأمازون" في كاسبر بولاية ويومنغ، جمعت ما يكفي من المال لاكمال الرحلة، تهلّلنا وتعانقنا. وفتش بزداك في مطبخ الفندق فعثر على جهاز راديو ترانزيستور والتقط محطة موسيقية. ورقصنا على سطح الفندق المعتم في أواسط ولاية أمازوناس، الموحشة.

"لا... لا... لا!"

كنت أجذف غارقاً في أفكاري منساباً مع أحلامي غافلا عن الواقع، فاذا بالأمواج تعلو وتزبد ولم أعِ الا وقد دهمتني وعلت فوق رأسي. وتحولت السماء حمراء ثم أرجوانية ثم سوداء كالحة التمعت تحت ظلامها فقاقيع الزبد البيضاء المتراكضة فوق ذرى الأمواج العاتية التي اجتاحت النهر.

تسمّرت بلا حراك وأنا أراقب العاصفة تقترب. التوت رؤوس الاشجار وغابت الضفة وراء جدار من الزبد الأبيض. ثم أحسست كأن قفيراً من النحل لسع وجهي. وعصفت الريح ورحت أكافح بكل قواي لاحتفظ بالمجذاف الذي كاد يفلت من يدي. وانحنت شجرة الميلاد الصغيرة في مقدم الزورق كرفيقاتها الأشجار الجبارة على الضفة.

شددت جسمي كما علمني شميلنسكي، رافعاً مجذافي كجسر على الماء. وملت عن الموجة وانزلقت على صفحتها. وحين عبرت الموجة تحتي قوّمت وضعي في غورها ورحت أجذف في اتجاه الضفة، الى أن دفعتني الموجة التالية الى اعتماد التقنية ذاتها، وهكذا دواليك موجة اثر موجة. قد يوحي كلامي أنني كنت ممسكاً بزمام الموقف كبحار محنّك، لكن الواقع هو أني كلما اعتليت إحدى تلك الموجات الكاسحة سمعت صوتي المرتعش يردد بذعر: "لا... لا... لا!"

وجذفت مثابراً الى أن لمحت الضفة، وكانت فرائصي ترتعد لشدة الخوف. ولكن

ما ان رأيت الموج الجارف يتكسّر هادراً على الضفة حتى تملكني الذعر فانكفأت بزورقي وأدرت مقدمه في اتجاه مجرى النهر ورحت أجذف نزولا.

بعد ساعة من التجذيف هدأت العاصفة، فرأيت شميلنسكي وقد انعكست صورته على الافق وهو يلوّح لي بمجذافه.

هتف حين رآني أقترب منه: "هاي، أنت الآن مجذّف عظيم!"

لم اكن لأدعي ذلك، انما شعرت بأنني خضت تجربة قاسية عززت ثقتي بزورقي. هتف شميلنسكي مشيراً بيده، فالتفت وشاهدت قوسي قزح يضيئان النهر بألوانهما الرائعة لمسافة بعيدة.

يبدأ نهر الأمازون "رسمياً" حيث يلتقي نهرا نيغرو وسوليمويس. ونهر سوليمويس الغني بالطمي قاتم ضارب الى الصفرة، فيما النيغرو أسود كالفحم. وهما يجريان متوازيين مسافة عشرة كيلومترات قبل أن تلتقي مياههما.

ويخترق الأمازون سهلا تغمره الفيضانات حيث النبات على ضفتيه أقل كثافة وارتفاعاً مما رأينا سابقاً. والعامل الطبيعي في ذلك محدود، والسبب الرئيسي هو الانسان الذي لم يبقِ الا على قلة من الغابات العذراء على امتداد ١٥٠٠ كيلومتر من الضفتين.

ويعود اتلاف "غابات المطر" الى عدة عوامل، لكن العامل الرئيسي حديثاً كان مزارع تربية الماشية التي حوّلت غابات المطر مراعي، فعرّت التربة من غطائها الشجري فخف انتاجها. لكن المزارع التي أنشئت هناك قبل العام ١٩٧٨ هُجرت خلال ١٩٨٣، فتحولت ألوف الهكتارات التي غطتها غابات المطر سهولا جرداء قاحلة.

وفيما تابعنا التجذيف بدت الارض شبيهة بفكرة غامضة. وكادت ان تغيب عن ناظري ضفتا النهر الذي اتسع فأصبح عرضه حوالى ثمانية كيلومترات، وتعاظمت الامواج حتى طاول ارتفاعها الرأس. وقد أمضيت معظم وقتي مدفوناً في أغوار الموج.

أصبت بالانفلونزا ثانية، ومر علي يومان كابدت فيهما الامرّين من القشعريرة والارتجاف والعرق والصداع الحاد. وكان شميلنسكي خلالهما يجذف الى جانبي ويحدثني طوال النهار. وكنت أسمع صوته لكني لم أفهم الا بضع كلمات. في هذا الوقت استبدّ بي هاجس التجذيف الى الأطلسي، وكانت للحمى يد في تصميمي لأني بتّ عاجزاً عن التفكير والتركيز.

استقام مجرى النهر - البحر واختفت الجزر التي كانت تعوقه، وكأنه في شهوة اشتياقه الى المحيط اندفع جارفاً كل العوائق التي تعترضه. وانكمش عالمنا فلم نعد نرى الا الماء والسماء وشريط الغابات الاخضر الرابط بينهما.

كان نهر الأمازون يتعاظم يوماً بعد يوم ويتسع مثل بحر. وبدأنا نشاهد طيور النورس والخرشنة المائية. وإن كنا ما زلنا نبعد حوالى ١٣٠٠ كيلومتر عن الأطلسي الا أننا لاحظنا تغيراً غير مألوف في المدّ، اذ كانت المياه ترتفع وتهبط حوالى ثلاثة أمتار في يوم واحد.

قررنا استعمال المال الذي أمنته لنا "لجنة إنقاذ بعثة الأمازون" فاشترينا الزورق "روبرتو ٢" لكي يتسنى لنا نحن الاربعة الوصول معاً الى الاطلسي. وبلغ طول هذا الزورق ١٥ متراً.

وفيما أبحر "روبرتو ٢" في محاذاة الضفة، كنت وشميلنسكي نجذف في وسط الأمازون حيث يبلغ مجراه أقصى سرعته. وفي المساء كنا نتناول العشاء وننام على الزورق "روبرتو ٢." وقد حرمنا استخدام الزورق بعضاً من شوق المغامرة وبهجتها، لكنّ ذلك كان خسارة يسيرة في مقابل ما نعمنا به من مرح برفقة المصور والطبيبة.

على مصب الأمازون تقوم جزيرة تشطر النهر وتعادل مساحة سويسرا. فيجري سبعة أثمان دفق النهر شمالا حول جزيرة ماراخو، وتجري البقية جنوباً مخترقة متاهات من القنوات والجداول في طريق أطول. ولما كنا بدأنا رحلتنا من منبع النهر، أي من أبعد نقطة فيه، فكان جديراً بنا أن نتتبع أطول مجرى له الى المحيط.

راوحت سرعة المد في ذروته بين ستة كيلومترات وسبعة في الساعة، ولم تكن وجهته واحدة. ففي حين كان يجري معنا في إحدى القنوات، كان يجري عكس

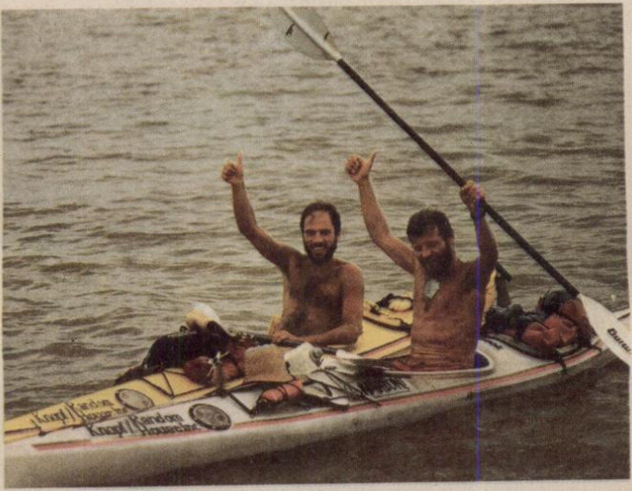

لحظة الانتصار: جو كين (الى اليسار) وبيوتر شميلنسكي يبلغان هدفهما حيث يلتقي نهر الأمازون المحيط الاطلسي.

وجهتنا في قناة أخرى، وفي قناة ثالثة نجده ساكناً جامداً.

وأفادتنا خرائطنا اننا صرنا على بعد ٢٥ كيلومتراً من كبرى المدن على نهر الأمازون، لكن غابات المطر عند المصبّ كانت رطبة معتمة خانقة. وعندما هبت عاصفة التجأنا الى قناة لا يزيد عرضها على طول مجذاف، وكانت معتمة يتسرّب اليها النور من فتحات صغيرة في مظلة الغابة. وما ان انعطفنا حول منحنى حتى انتصبت أمامنا ناطحات السحاب في بيليم.

بيليم هو اسم "بيت لحم" في البرتغالية، وهي كانت هدفنا خلال ستة أشهر قطعنا فيها ما يزيد على خمسة آلاف كيلومتر وجذفنا ثلاثة ملايين ضربة في زوارقنا الكاياك. لقد سئلت مئات المرات: "الى أين أنتم ذاهبون؟" فكان جوابي: "الى بيليم!"

كان "روبرتو ٢" في انتظارنا راسياً في الميناء. وهو بدا لنا عظيماً في النهر، الا أنه بدا كقزم الى جانب أصغر قارب للصيد هناك. وبعد العشاء تبادلنا العناق وكلمات الوداع مع أفراد الطاقم.

عند شقّ الفجر أنزلنا زورقينا الكاياك في المياه المنبسطة الرمادية. ورافقنا بزداك ودوران طوال الصباح في زورق آلي صغير، ثم عادا الى بيليم بعدما تمنيا لنا حظاً سعيداً ووعدانا باحتفال عظيم بعد ثلاثة أيام.

انعطفت وشميلنسكي الى خليج ماراخو ثم شرقاً. لم أكن واثقاً بقدرتي على خوض عرض البحر، ولكن لم يبقَ لي مجال للتراجع الآن، وكما فعلت على مدى خمسة أشهر، سأمضي بجلد وثبات مجذفاً وراء صديقي الطيب.

جذفنا بعيداً الى قلب الخليج للافادة من انحسار المد الى أن غابت عنا اليابسة كلياً. ويذكّر حوض الأمازون – البالغ عرضه ٢٥ كيلومتراً – بشيء في جبال الانديز العالية: إن عظمة اتساعه تبعث على الانقباض. وغالباً ما رأيت عالمي محصوراً كلياً برفيقي البولوني في الزورق أمامي. فقد رآني شميلنسكي في أسوأ حالاتي، مريضاً، وجلا، يائساً، ولم يتخل عني. وانني أرجو أن يكون وجدني رفيقاً طيباً وبي نصف ما أسبغه علي من لطف وعطف ومؤاساة.

لم تخبُ حماسته قط، اذ حين عدنا الى التجذيف انطلق هو في انشاد أغنيات بولونية شعبية بصوت عال مجهداً رئتيه الى أقصى مداهما. وحفظت الكلمات وإن فاتني معناها، فرحت أرافقه في الغناء. فازدادت ثقتي وحلّقْت في أجواء التفاؤل. قريباً سأتخلى نهائياً عن زورقي الصغير، وسأعود الى كاليفورنيا في بداية موسم البايسبول، وسأنام – يا للبهجة والنعيم – في مكان واحد لاكثر من ليلتين متتاليتين. وسأكون مع صديقتي التي أحبها.

سرنا مع المد المتراجع، ولفّ خليج ماراخو سديم رقيق ما لبث أن تكثف الى ضباب. لقد كان منبع الأمازون هو أيضاً متلفعاً بالضباب. وماذا قال البولوني الغريب لدى اجتيازنا خط الفاصل القاريّ؟ "كل الرحلة نزول من هنا."

انساب زورقانا على صفحة الخليج يهدهدهما الموج الرفيق المتطاول. وما لبثت المياه العكرة أن تحولت خضراء شفافة. وتباطأنا عمداً كي يتسنى لنا الانتشاء حتى الثمالة بسحر انتصارنا. وأخيراً رفعنا مجاذيفنا. وفي غمرة تلك اللحظة التاريخية الرائعة التي توّجت مغامرتنا الفريدة، انحنى شميلنسكي ورفع قبضة من الماء الى شفتيه.

وقال: "ملح!"

جو كين ■

ترجمة الياس عقل

تعارف ربيعي

بعد شرائنا بيتاً قديماً مهجوراً، عملت ليل نهار طوال فصلي الخريف والشتاء لجعله صالحاً للسكن. ولم تكن نظرات الجارة المسنّة تفارقني أنى تحركت، لكنها لم تعر ابتساماتي وتحياتي أي اهتمام. وحل الربيع ونحن ما زلنا غريبتين.

وإذ كنت أجزّ عشب المرجة أمام المنزل للمرة الأولى، رأيت زهوراً بيضاء صغيرة منتثرة بين الاعشاب. فجززت العشب بتأن حولها ولم أمسّها لانها أولى بشائر الربيع. وبعد ساعة من العمل الرتيب أصبحت المرجة حسنة المنظر لولا البقع البيض المنتثرة هنا وهناك. وإذ انتهيت من العمل أوقفت الجزازة تحت الشرفة. فرأيت جارتي المسنة متجهة نحوي وفي يدها ابريق شاي وكوبان. وبادرتني: "تساءلت طوال أشهر الشتاء أي نوع من الجيران أنت. وعندما رأيتك تجزين العشب حول هذه الازهار الصغيرة، عرفت أن ليس هناك ما يدعو الى القلق."

ك.ب.

حساب الامهات

قال الصبي لأمّه إنه يواجه صعوبة في حل مسائل الحساب. فأجابته على الفور: "اسأل والدك عندما يعود من العمل، فأنا لم أكن يوماً بارعة في مادة الحساب."

لكنها ما لبثت أن سألته بدافع الفضول: "وما موضوع هذه المسائل؟"

فأجابها: "النسبة المئوية."

فقالت: "آه، أستطيع مساعدتك. فهذا ليس حساباً بل تسوّق."

إ.م.

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي. بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

COLLECTION OF MASSACHUSETTS FINANCIAL SERVICES, BOSTON. COURTESY FISCHBACH GALLERY, NEW YORK

في الصيف يزهر الصبّار للرسام كانداس يانس.